مركز جذور
للبحوث والدراسات

موسوعة مسارات المشروع اليهودي
دراسات موسوعية ( المسار السياسي ) (١)

# المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل في الاتحاد السوفييتي

## جمهورية بيروبيدجان أنموذجاً

## ( 1928 - إلى الآن )

الدكتور خضر الياس جلو

**موسوعة مسارات المشروع اليهودي**

**دراسات موسوعية ( المسار السياسي ) (1)**

# المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل في الاتحاد السوفييتي
# جمهورية بيروبيدجان أنموذجاً
# ( 1928 إلى الآن )

**الدكتور**

**خضر الياس جلو**

**ايلول 2023**

# المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل في الاتحاد السوفييتي
# جمهورية بيروبيدجان أنموذجاً
# ( 1928 إلى الآن )

**الدكتور**

**خضر الياس جلو**

**اشراف ومراجعة**

**الاستاذ داود خلف**

**مدير مركز جذور للبحوث والدراسات**

**الطبعة الثانية**/ مزيدة ومنقحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى
لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا
كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ
أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾

سورة الاسراء: ١- ٥

ب

## الإهـــداء...

إلى والدتي الغالية رحمها الله تعالى أهدي أجر عملي هذا . . .

**المؤلف**

# ثبت المحتويات


| | |
|---|---|
| **المقدمة** | 13-1 |
| **الفصل الأول: المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل اليهودية** | 48-14 |
| المبحث الأول: فلسفة المشروع اليهودي وادواته | 30-15 |
| المبحث الثاني: استراتيجية الاخفاء | 36-31 |
| المبحث الثالث: استراتيجية البدائل اليهودية | 48-37 |
| **الفصل الثاني: الاتحاد السوفيتي وتنفيذ استراتيجية البدائل اليهودية** | 149-49 |
| المبحث الأول: أصل يهود روسيا والاتحاد السوفييتي وأوضاعهم | 90-51 |
| المبحث الثاني: الاتحاد السوفييتي والبديل الأول اليهودي–مشروع جزيرة القرم | 131-91 |
| المبحث الثالث: الاتحاد السوفييتي والبديل اليهودي الثاني – مشروع أوديسا | 149-132 |
| **الفصل الثالث: البديل الثالث مشروع جمهورية بيروبيدجان** | 186-150 |
| المبحث الأول: الموقع الجغرافي والدوافع | 162-152 |
| المبحث الثاني: موقف اليهود من مشروع بيروبيدجان | 186-163 |

| | |
|---|---|
| **الفصل الرابع: الجانب التنفيذي لمشروع بيروبيدجان** | 220-187 |
| المبحث الأول: مرحلة التأسيس ( 1928- ..... ) | 111-189 |
| المبحث الثاني: البعد الدولي وهجرة يهود العالم إلى بيروبيدجان | 220-212 |
| **الفصل الخامس: جمهورية بيروبيدجان واستراتيجية البدائل** | 236-221 |
| المبحث الأول: نهاية مؤقتة لتجربة بيروبيدجان ( 1985 ) | 226-223 |
| المبحث الثاني: عودة بيروبيدجان ( ما بعد الاتحاد السوفيتي – 1991) | 236-227 |
| المبحث الثالث: بيروبيدجان وفلسطينِ | 243-237 |
| **الخاتمة** | 251-244 |
| **الملاحق** | 254-252 |
| **ثبت المصادر والمراجع** | 278-255 |

# المقدمة

# مقدمة الطبعة الثانية

كان للقبول الحسن الذي لقيه الكتاب وللمراجعات والتقويمات البناءة التي تقدم بها الأخوة القراء ، اثره العميق في نفسي وحملني ذلك كله مسؤولية الوقوف عند ملاحظاتهم النقدية المخلصة وتوجيهاتهم الموضوعية الجادة بتَرَوٍّ وتبصر، منذ ان خرج الكتاب على الملأ في طبعته الأولى قبل شهور. وللأثر الذي تركه الكتاب دلالة اعتز بها.. فهي ان موضوع الكيانات السياسية اليهودية لم تحظ بالقدر المناسب من قبل الباحثين ، لذا جاء اختيار موضوع **( المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل في الاتحاد السوفييتي جمهورية بيروبيدجان اليهودية أنموذجاً 1928 إلى الآن )** ، الذي تجرأت على الخوض فيه ، فقد جاء على ما اعتقد يروي في ابعاده واهدافه لأولئك المخلصين من أبناء هذه الأمة الكريمة ، ممن تحققوا بأنفسهم في صورة او بأخرى من الشرور والاساءة البالغة التي تسبب بها المشروع اليهودي الصهيوني للأمة الاسلامية وتاريخها وتراثها ومستقبلها عامة ولفلسطين خاصة. فقد يروي في أبعاده طرفاً يسيراً وقسطاً مقتضباً من قصة العداوة والبغضاء التي ابتليت بها الأمة العربية الاسلامية ، من الصهاينة والمتصهينين الذين لم يألوا جهداً إلا بذلوه ، ولم يتركوا سبيلا إلا سلكوه يعبرون به عن سوء اخلاقهم ، بمختلف الوسائل ، اختراع الاساطير، والرؤى الكاذبة، والجمعيات السرية ، وجميعها قائمة على الأسس العقدية (الدينية) وسيلة لتحقيق أهدافهم.

لذلك ارتأينا اصدار الكتاب بطبعته الثانية ، واقتضى ذلك اجراء بعض التعديلات والاضافات لتكون صورة المشروع اليهودي واضحة ، ولبيان دور الاتحاد السوفييتي الحقيقي في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ، وكذلك أثر اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية ، عن طريق الدعم المالي وتأسيس المنظمات التي اخذت على عاتقها جمع الاموال وإرسالها إلى اليهود في الاتحاد السوفييتي.

وكان من بين أهم تلك التعديلات والاضافات ، التطرق إلى فلسفة المشروع اليهودي وادواته المختلفة ، متخذين واجهات متعددة منها اختراع المفاهيم الصهيونية ، وصناعة القومية اليهودية كبديل للدين للحفاظ على استمرارية اليهود كشعب وعقيدة وتاريخ من خلال اختراع العرق الواحد ( الشعب المختار ) حسب زعمهم. وتطوير فكرة الاستيطان اليهودي من الجيتو إلى المستعمرات الاستيطانية. واختراع الانظمة الاقتصادية العالمية من خلال مشاركتهم في صناعة وادارة الثورة البلشفية في الاتحاد السوفييتي.

**المؤلف**

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

قبل الخوض في الحديث عن مشروع إقامة الدولة اليهودية في بيروبيدجان ( Birobidjan ) لابد من **التطرق إلى الأسباب التي دعتني إلى البحث في موضوع كهذا** ويمكن إجمالها بالآتي:

**أولاً: ضرورة معرفة الآخر** ، إنّ أمر دراسة التاريخ اليهودي يجب أن تأخذ مداها الحقيقي من أجل معرفة دقائق الأمور لمختلف الجوانب العقدية والسياسية والعسكرية الثقافية والاجتماعية لليهود وما ترتب على ذلك من النتائج التي يحتاج لها المهتمون بمثل هذه الموضوعات.

**ثانياً: التجهيل والإخفاء المتعمَّد** من قبل اليهود للكثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بهم ومنها مشاريع ومحاولات الصهاينة إقامة دولة خاصة بهم في أماكن مختلف من أنحاء العالم ومن أهمها مشروع جمهورية بيروبيدجان ، وغيرها من مشاريع التوطين اليهودي في مختلف أرجاء العالم والتي لا يُعلَم عنها شيء يذكر سواء من قبل العالم ، ومن قبل العاملين في المجال البحثي كذلك يجهلون الكثير عنها.

**ثالثاً: أسطورة الأرض الموعودة** في فلسطين وعلاقة بني إسرائيل فيها ، ولم يكن لليهود أي مشروع لإقامة دولة يهودية في فلسطين حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وظهور الصهيونية وما يترتب على ذلك من الأحداث.

**رابعاً: محاولة إثبات الدور الحقيقي للاتحاد السوفييتي** ورجالاته في قضية إقامة كيان لليهود في فلسطين

**خامساً: نقطة التحول** ، متى كانت نقطة التحول التاريخي لليهود نحو فلسطين على الرغم من وجود مشاريع متعددة وبديلة لإقامة وطن لليهود وبالذات في الاتحاد السوفييتي وبرعايته ، سيتم التطرق لها في ثنايا هذه الدراسة.

**سادساً: ندرة الابحاث والدراسات** التي تتحدث عن المشاريع اليهودية البديلة للكيان في فلسطين والتي ما تزال قائمة قبل وبعد إقامة الكيان في فلسطين سنة (1948) وبالذات جمهورية بيروبيدجان ( 1928 إلى الآن )..

## أهمية الدراسة:

وتكمن أهمية الدراسة في معالجة أحد أهم الموضوعات التي تختص بمسألة الصهيونية وما يتعلق بها من الاشكاليات والتساؤلات التي سيتم الحديث عنها في ثنايا هذه الدراسة التي بين أيدينا لعلّ أهمها:

**أولاً: ادعاء الحق التاريخي ( الديني لليهود ) أو أسطورة ( الأرض الموعودة ) في فلسطين ، وهذا أمر مهم سيشار له لاحقاً بعدم وجود مكان محدد لإقامة الدولة اليهودية ، وهو ما حدث في قضية اختيار بيروبيدجان وغيرها.**

**ثانياً: الأسطورة الكبرى ( الخزر ) وما أصل يهود روسيا ؟ وما علاقتهم بأقوام الخزر الوثنيين؟ وما جذورهم وكذلك علاقتهم ببني إسرائيل وتهودهم وما يترتب على ذلك من القضايا المهمة والمحورية للعالم الاسلامي والعربي بصورة عامة وفلسطين بصورة خاصة.**

**ثالثاً: ما السبب الذي يكمن وراء إبقاء جمهورية بيروبيدجان ( منطقة الحكم الذاتي اليهودي ) قائمة منذ نشأتها وإلى الآن.**

**رابعاً: المسألة الأوكرانيةٌ ( 2022 – ... ) والمستجدات التي طرأت عليها جراء الحرب التي ما زالت تدور رحاها بين روسيا ومن يقف معها من طرف ، وبين**

**أوكرانيا ومن معها من اليهود والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية من طرف آخر ، وبأن أهم مشاريع الحكم الذاتي لليهود قبل " بيروبيدجان " كانت تقع على الأراضي التي تتبع أوكرانيا اليوم ومنها شبه جزيرة القرم التي سيطر عليها الروس ، وكذلك " أوديسا " وأهميتها لليهود والتي تحتاج إلى دراسات كلٌ على حده أو منفردة لمعرفة ما جرى وما سيجري من الأحداث مستقبلاً.**

إنّ دراسة المسألة اليهودية أصبحت من متطلبات أي محاولةٍ لفهم المشاريع اليهودية لإقامة منطقة حكم ذاتي أو دولة خاصة بهم وموقف الصهيونية من تلك المشاريع ، وهذا ليس وليد الاحتلال البريطاني لفلسطين ومنحها للصهاينة ، بل قبل ذلك بكثير.

وهذا الكتاب محاولة لتسليط الضوء على بيروبيدجان ( أوبلاست ) الحكم الذاتي لليهود، أو جمهورية بيروبيدجان كما يطلق عليها بعض الكتاب ، فالتاريخ يروي لنا قصة الثورة البلشفية في روسيا التي قامت أكتوبر سنة (1917م) والتي أسفر عنها قيام الاتحاد السوفييتي الشيوعي واستلامهم السلطة[1]، وتاريخ الثورة يؤكد على أن زعماء الحزب الشيوعي الذين أشرفوا على الثورة وأعلنوها وقادوها ثم حكموا روسيا كانوا خمسة: لينين ( Lenin ) ، زينوفييف ( Zinoviev ) ، وكامينيف (Kamenev) ، وتروتسكي ( Trotzky ) ، سفيردلوف ( Sverdlov ) ، يهود كلهم [2]. وقد أكد مدير متحف لينين مؤخراً بأن أصل لينين يهودي ، وفي تموز /

(1) دندل جبر ، الشيوعية منشأً ومسلكاً، ( مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ، ط2 ، 1403هـ/1983م ) ، ص20.

(2) Frank L. Britton, Behind communism, with special 1994 update by Lawrence Patterson, ( Criminal Politics Book Club, 1998 ), p,53

يوليو ( 1991م ) نشرت المجلة اليهودية المعروفة ( Jewish Chronicle ) هذه الحقيقة [3].

إن كثيراً من الناس يظن أن أول من دعا إلى الفكرة الصهيونية ووضع فلسفتها هو اليهودي المعروف تيودور هرتزل ( Theodor Herzl )، لكن الحقيقة أنَّ هناك من سبقه في هذا المضمار ، وهو اليهودي الصهيوني العريق موسى هس ( Moses Hess) [4] ، الذي يعد أستاذاً لهرتزل في فلسفته الصهيونية ودعوته إليها، واستاذاً في الوقت ذاته لرائد الشيوعية وفلسفتها كارل ماركس ( Karl Marx ) ، ومن هنا يتضح لنا أنَّ رائد الفلسفة الصهيونية وداعيها هرتزل ورائد الشيوعية وفلسفتها كارل ماركس رضعا من ثديٍ واحدٍ، وشربا من منبع واحد واستَلهَمَا مبادئها من فكر واحد ومن عقل واحد ، بل إنَّ من الناس من يجهل شخصية كارل ماركس من جهة نسبه ، إذ يخفى عليهم أنه حفيد لأحد رجال الدين اليهودي ، الحاخام مردخاي ماركس. ولقد تعرف كارل ماركس على أستاذه موسى هس سنة (1841م) ، وأعجب به وافتتن بآرائه ومبادئه لاسيما ما يتعلق منها بالاشتراكية العامة فالإعلان عن المبادئ الشيوعية

(3) Britton, Behind communism, Introduction, p.I.

(4) موسى (موشي) هس ( Moses Hess ) ، هو فيلسوف واشتراكي يهودي ألماني، ولد سنة ( 1812 )، في سنة ( 1835 )، التحق هيس بجامعة بون ، ولكن مرة أخرى لم يتبع أي مسار دراسي منهجي، ولم يحصل أبدًا على درجة جامعية. أقام صداقات وثيقة مع كارل ماركس وفريدريك إنجلز وفرديناند لاسال. ويعد أحد مؤسسي الصهيونية العمالية ومن أهم كتبه "روما وأورشليم" الذي صدر سنة ( 1862 ) والذي أضحى نطفة لأدبيات الصهيونية العمالية. للمزيد ينظر:

Ken Koltun-Fromm, Moses Hess and Modern Jewish Identity, ( Indiana University Press, 2001 ), p.3-4,14.

وفلسفتها بالشكل المعروف حالياً بدأ من شخص كارل ماركس ، أمَّا الحقيقة فإنَّ هذه المبادئ وهذه الفلسفة قد استقاها من وحي استاذه الفيلسوف الصهيوني موسى هس[5].

لقد حاول قادة السوفييت حل المشكلة اليهودية التي ورثوها عن روسيا القيصرية ، ووقع الاختيار في زمن ستالين في سنة (1928م) على بيروبيدجان لتأسيس إقليم يهودي مستقل فيها. وهذه التجربة بلا ريب لها أهميتها التاريخية وهي جديرة بالدراسة ؛ لأنها سارت جنباً إلى جنب مع المشاريع الصهيونية ؛ لإنشاء وطن قومي يهودي ثم دولة يهودية ، وكان مشروع بيروبيدجان محل نزاع شديد بين اليهود ، والمهتمين بشؤونهم في الاتحاد السوفيتي وخارجه.

**الدراسات السابقة:**

ولابدّ من الإشارة إلى الدراسات السابقة المشابهة للموضوع ولعل من أهمها:

**أولاً:** كتاب ( **بيروبيجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي** ) لمؤلفه نجدة فتحي صفوة ، الذي كان يعمل دبلوماسياً في السفارة العراقية بموسكو ( الاتحاد السوفيتي سابقاً )، إذ استند في تلك الدراسة إلى الوثائق التي تمكن من جمعها ، ومحادثات وتحقيقات شخصية مع مواطنين سوفييت من مختلف القوميات، يهود وغير يهود ، مسؤولين وغير مسؤولين. وتعد هذه الدراسة من الدراسات الجيدة عن بيروبيجان إلا إنها لا ترقى إلى المستوى المطلوب لسببين ، الأول بسبب القيود التي كانت مفروضة آنذاك على هكذا موضوعات ، والثاني إنَّ الدراسة طبعت قبل ما يقرب من نصف قرن وتحديداً في سنة (1973م) ، وبعد تلك المدة الطويلة طرأت الكثير من التغييرات السياسية لعل من أبرزها تفكك الاتحاد السوفيتي في سنة (25 ديسمبر/كانون

(5) للمزيد عن العلاقة بين الشيوعية والصهيونية ينظر: جبر ، الشيوعية منشأً ومسلكاً ، ص15 وما بعدها.

الأول 1991) ، وظهرت الكثير من الوثائق والدراسات الحديثة التي سيطلع عليها القارئ بين ثنايا هذا الكتاب.

**ثانياً:** كتاب ( **اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي** ) لسلافة حجاوي ، فقد شملت الدراسة اليهود في جميع أنحاء الاتحاد السوفيتي ، والدراسة الثالثة كانت تحت عنوان ( **إسرائيل الأولى بيروبيجان** ) لـ أسعد السحمراني إلا أنها كانت مختصرة وليست أكاديمية وبدون توثيق للمصادر والمراجع ، وبذلك يجد القارئ أو الباحث صعوبة في مراجعة المصادر لتكوين نظرة شمولية ومتكاملة حول الموضوع.

## المراجع الاجنبية:

وفيما يخص المراجع الاجنبية فقد شملت العشرات من الكتب والدوريات والموسوعات ، ولعل من أهمها:

**أولاً:** كتاب دوبنوف ( Dubnow, S. M ) ، تاريخ اليهود في روسيا وبولندا من أقدم العصور حتى يومنا هذا .

**Dubnow, S. M, ( History of the Jews in Russia and Poland from the earliest times until the present day ).**

**ثانياً:** كتاب آرثر روبين ، اليهود في العالم الحديث ( **The Jews In The Modern World** ) ، ولعل من أهم تلك الكتب هو كتاب ( **Yuri Slezkine, The Jewish Century)** ، يوري سلزكين ، القرن اليهودي ، الذي ناقش العديد من الجوانب الخاصة باليهود سواء ما يتعلق بالجانب الثقافي وغيره.

**ثالثاً:** ومن بين المراجع المهمة كذلك يأتي كتيب ليون بينسكر ، التحرر الذاتي: نداء يهودي روسي لشعبه ، ( **Auto-Emancipation: An appeal to his people by a Russian Jew)** الذي أشار من خلاله إلى إقامة وطن لليهود في أي مكان من العالم وهو صاحب القول الشهير: ( **لا نحتاج سوى قطعة أرض كبيرة**

**لإخواننا المساكين ، ستبقى ملكاً لنا ولا يمكن لأي قوة أجنبية تطردنا منها. هناك سنأخذ معنا أقدس الممتلكات التي أنقذناها من حطام سفينة بلدنا السابق، فكرة الله والكتاب المقدس. هذه وحدها هي التي جعلت من وطننا القديم الأرض المقدسة ، وليس القدس أو الأردن ).**

**رابعاً:** وكذلك كتاب الباحثة مارينا أبتيكمان ، ( رحلة العودة إلى الأرض المقدسة: معارضة صهيونيين في الأدب اليهودي – الروسي في ثلاثينيات القرن العشرين ) ،

**( Marina Aptekman, To the Holy Land and Back: The Opposition of Two Zions in Russian– Jewish Literature of the 1930s )**

الذي ناقشت فيه الرؤية الصهيونية لإقامة منطقة الحكم الذاتي في بيروبيدجان وما تتمتع به من مميزات مقارنة بفلسطين في البحث الموسوم " رحلة الى الاراضي المقدسة والعودة منها: تناقض الرواية فيما بين شخصين صهيونيين في ادبيات يهود روسيا في ثلاثينات القرن العشرين.

**خامساً:** كتاب أخيزر ، تاريخ القرّائين في القرم ، **( Akhiezer, The History of the Crimean Karaites )** فقد قدم معلومات تفصيلية عن اليهود القرّائين في شبه جزيرة القرم شملت أعداد اليهود والجوانب الدينية والاجتماعية وغيرها.

**سادساً:** أما عن أوضاع اليهود بعد الثورة البلشفية فيعد كتاب وارن كرين ، مصير المجتمعات اليهودية في القرم: اشكناز ، الكريمشاك ، والقرائين.

**( Warren Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities: Ashkenazim, Krimchaks and Karaite ).**

التي تحدّثت عن أوضاع اليهود بعد الثورة البلشفية. وهي تُعد من أهم المصادر لما قدمته من معلومات مهمة عن الأوضاع الدينية وهجرات اليهود إلى دول أوروبا الشرقية، وكيف تعاملت ألمانيا النازية مع اليهود في شبه جزيرة القرم.

**سابعاً:** بينما قدم كتاب باتريشيا هيرليهي ، أوديسا: التاريخ ، 1794–1914 ،

( **Patricia Herlihy, Odessa: A History, 1794–1914** ) معلومات عن اليهود وتاريخهم في أوديسا 1794–1914 ، وهناك العديد من المصادر التي أغنت الكتاب بالمعلومات المختلفة لا يتسع المجال إلى الاشارة إليها.

أما الدراسة التي بين أيدينا فتختلف عن سابقاتها إذ حاول الكاتب معالجة إنشاء جمهورية بيروبيدجان وفق المنهج الأكاديمي من حيث التوثيق ، وارتأى اتباع اسلوب المقارنة والتحليل والاستنتاج في معالجة النصوص الواردة فيها ، واعتمد فيها العديد من الدراسات الحديثة باللغات الاجنبية ولعل معظمها كان باللغة الانكليزية ، ومن أبرز الاشكاليات التي تواجه الباحث لدراسة هكذا موضوعات هو صعوبة الحصول على المصادر إما لعدم توفرها في المكتبات العربية ، أو ليست من بين اهتمامات القراء والباحثين.

وقد شمل نطاق البحث ، بيروبيدجان ( أوبلاست ) الحكم الذاتي لليهود ضمن المنطقة التي تقع في الشرق الأقصى من الاتحاد السوفييتي ، أما الزمان فشمل الحقبة الزمنية الممتدة من سنة ( 1928 إلى الآن ) ، بينما موضوعياً فقد عالج موضوع المشاريع اليهودية ودور الاتحاد السوفييتي في إقامة تلك الكيانات السياسية.

بينما قُسمّت الدراسة إلى خمسة فصول ، ركز **الفصل الأول** على المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل اليهودية ، أما **الفصل الثاني** فقد عالج دور الاتحاد السوفيتي في تنفيذ استراتيجية البدائل اليهودية، وتضمن أصل يهود روسيا ، والبديل الأول في شبه جزيرة القرم ، أما البديل الثاني فكان محاولة اليهود في انشاء مقاطعة يهودية في مدينة أوديسا ، وقد كانت تعد من أقدم مراكز التجمع اليهودي في روسيا. بينما تضمن **الفصل الثالث** البديل الثالث من بين المشاريع اليهودية واقامة الجمهورية في بيروبيدجان وجرى الحديث فيه عن الموقع الجغرافي والدوافع التي اسهمت في اختيار مقاطعة بيروبيدجان ، وموقف اليهود من مشروع بيروبيدجان ما بين مؤيد ومعارض ، بينما عالج **الفصل الرابع** مراحل تأسيس منطقة الحكم الذاتي اليهودي في بيروبيدجان ، من حيث فكرة التأسيس ، والبعد الدولي وهجرة يهود العالم إلى

بيروبيدجان، أما في **الفصل الخامس** فقد شمل جمهورية بيروبيدجان واستراتيجية البدائل، وتم التطرق فيه إلى نهاية مؤقتة لتجربة بيروبيدجان سنة (1985) ، وكذلك عودة بيروبيدجان ( ما بعد الاتحاد السوفيتي ) (1991) ، وفي الفقرة الأخيرة جرى الحديث عن العلاقات ما بين بيروبيدجان وفلسطين ( الكيان الصهيوني ).

**وارتأى الباحث اتباع منهجية مختلفة عن أنماط البحث التاريخي المتعارف عليها في أوساط العمل والدراسات الأكاديمية ، إذ اتبع المنهج النقدي والتحليلي للنصوص التاريخية التي تخص الموضوع ومقارنتها ، وتم التركيز على ما ذكره الكتاب والمؤرخون اليهود بالدرجة الأولى قبل غيرهم ، خصوصاً الكتابات قبل قيام " الكيان الصهيوني " بعقود ، بغية التوصل إلى الحقائق التي لا تقبل الشك بخصوص " المشاريع اليهودية واستراتيجية البدائل الصهيونية، لإقامة مناطق حكم ذاتي أو كيانات سياسية خاصة بهم في مناطق متعددة غير فلسطين ".**

**الدكتور خضر الياس جلو**

**22 حزيران 2023**

# الفصل الأول :

## المشروع اليهودي واستراتيجية البدائل اليهودية

المبحث الأول: فلسفة المشروع اليهودي وادواته

المبحث الثاني: استراتيجية الاخفاء

المبحث الثالث: استراتيجية البدائل اليهودية

## المبحث الأول: فلسفة المشروع اليهودي وادواته:

قبل الحديث عن فلسفة المشروع اليهودي لابد من الاجابة عن التساؤل التالي وهو ، هل هناك مشروع يهودي أم لا ؟ وهل هناك فرق بين المشروع اليهودي والصهيوني ؟ وإن كان موجوداً فما هي الأسس والادوات التي قامت عليها فلسفة المشروع اليهودي ؟.

وأبرز ما سيتم الحديث عنه في فلسفة المشروع اليهودي هو الاجابة عن التساؤلات أعلاه من خلال ما يلي:

**أولاً: إن المشروع اليهودي موجود بلا أدنى شك ، وهو قائم إلى يومنا هذا.**

**ثانياً: إن المشروع الصهيوني هو أحد مكونات المشروع اليهودي ، ويمثل أحد الوسائل المستخدمة لتحقيق ما يخطط له من قبل القائمين على المشروع اليهودي.**

**ثالثاً: إن فلسفة المشروع اليهودي قائمة ثلاث محاور أساسية هي:**

**أ- الفكرة: وهي قائمة على الجوانب العقدية ( الدينية ) ، السياسية ، الاجتماعية ، الثقافية... وغيرها ، ومحورها ضمان استمرارية اليهود بأي طريقة أو وسيلة.**

**ب-القدرات: وتشمل الجوانب المادية التي يعمل اليهود على تأمينها عن طريقين التبرعات الذاتية، والدعم الخارجي عن طريق تأثير اللوبيات اليهودية في الولايات الامريكية المتحدة وغيرها في مختلف بقاع العالم.**

**ج-الزمن: ويشمل التاريخ اليهودي على مّر العصور وتطويعه عن طريق التلاعب به لتحقيق ما يصبون إليه.**

ولتحقيق ما ذكر أعلاه أقدم اليهود على استخدام العديد من الأدوات والواجهات حسب مقتضى الحاجة ، وتختلف من حقبة زمنية عن غيرها ومن بلد لآخر ، ولعل من

أهمها استخدام استراتيجية المشاريع البديلة وخصوصاً المشاريع السياسية ، عن طريق الدول الكبرى ، ومنها الاتحاد السوفييتي ( السابق ) منذ بدايات تأسيسه ، وكل ذلك سيتم التطرق له في الصفحات اللاحقة.

إن أيّة معالجة لموضوع الثورة الروسية والمشكلة اليهودية تتطلب من الباحث أن يكون متحسباً في معالجته للأمور ، وذلك لشدة تعقيد المشكلة ولتعدد جوانبها. فلا شيء أسهل، واكثر أذى من تبسيطها ، ومحاولة توزيع الملامة ، لوم اليهود أو الثورة أو الروس. وعلينا ان نحترس من التفكير في هذه المشكلة بالتعابير المألوفة بشأن العلاقة بين روسيا الثورية والقوميات الأخرى في الاتحاد السوفياتي. بهذا المعنى تكون المشكلة اليهودية ، فريدة من نوعها ، ولذا نراها بجميع تعقيداتها الحقيقية، علينا ان نرجع لأصولها كأن نُحلل بإيجاز التركيب السكاني لليهود في بداية الثورة ، وأن نتحقق من مكانة اليهود في المجتمع الروسي وأن نتابع التغيرات والتحولات في الثورة الروسية ذاتها وان نقيم اثر جميع هذه المتغيرات على مصير اليهود في الاتحاد السوفياتي. ولا بد من ان نجيب بصراحة على السؤال الأساسي التالي: لماذا لم تنجح الثورة الروسية في مسار يقرب من نصف قرن تقريباً، في حل المشكلة اليهودية ؟[1].

**❖مأسسة المشكلة اليهودية:**

ولابد من التطرق إلى التغيّر في توجهات اليهود الروس لمعرفة كيف نشأت المسألة اليهودية فعلى سبيل المثال لا الحصر كان ليو بنسكر Leo Pinsker (1821-1891)[2] ، قد بدأ في سنة (1861) في كتابة مقالات أسبوعية لأقدم

(1) اسحق دويتشر ، اليهودي اللايهودي ، ترجمة: ماهر الكيلاني ، ( المؤسسة العربية للدراسات وللنشر، بيروت، ط1 ، 1978 ) ، ص41.

(2) ليون بينسكر (LEON PINSKER ) ، أو يهوذا ليب ، ( 1821-1891م ) ، زعيم حركة شبات صهيون. ولد بينسكر في بولندا ، وهو كاتب وعالم عبراني في أوديسا. كان من أوائل اليهود=

صحيفتين أسبوعيتين يهوديتين باللغة الروسية وكانت كتاباته ذات طابع اندماجي تدعو لجعل اللغة الروسية والثقافة الروسية تتغلغلان في صلب حياة اليهود الداخلية بما فيها مقوماتها الدينية والفكرية. وقد أصبح بنسكر زعيم المسكيليم Muskilim في مدينة أوديسا وأحد المشرفين على نشاط فرع **جمعية انتشار الثقافة بين يهود روسيا** ( **Society for the Diffusion of Culture among the Jews of Russia** ) والتي تأسست سنة (1863). في تلك الفترة من حياته تجاوز "المنتسبين" "الذين كتبوا بالعبرية بإصراره على أن اللغة والثقافة الروسية يجب أن تكون مهيمنة بالكامل في الحياة الداخلية ، وحتى في الدين اليهودي. على الرغم من اهتزاز هذه

---

=الذين التحقوا بجامعة اوديسا، حيث درس القانون. ومع ذلك ، اكتشف أنه لكونه يهودياً ، لم تكن لديه فرصة أن يصبح محامياً ودرس الطب في جامعة موسكو ، وعاد لممارسة المهنة في اوديسا في سنة (1849). وكان بينسكر أحد مؤسسي أول صحيفة أسبوعية يهودية روسية، ( Razsvet Dawn). وحاول المحررون تعريف السكان اليهود بالثقافة الروسية وتشجيعهم على التحدث بالروسية. وتم التعبير عن هذه الأهداف بقوة أكبر في المجلة الأسبوعية الصادرة باللغة الروسية ( Sion ) ، والتي حلت محل ( Razsvet ) والتي كان بينسكر أحد محرريها. وكان أيضًا أحد مؤسسي فرع اوديسا لجمعية نشر التنوير بين اليهود. ساهم بينسكر في الصحيفة الأسبوعية ( Den Day ) التي تصدر باللغة الروسية والتي أسستها الجمعية التي كانت تدعو اليهود إلى الاندماج في المجتمع الروسي. ثم توقفت الصحيفة الأسبوعية ، وأغلق فرع اوديسا للجمعية. وبعد ذلك ركز بينسكر على الطب. كما أصبح بارزاً في الحياة العامة المحلية. عندما أعيد فتح فرع اوديسا لجمعية نشر التنوير ، بعد فترة فاصلة مدتها ست سنوات، وتم انتخابه لعضوية لجنتها وساعد في جمع الوثائق تاريخ اليهود في روسيا. للمزيد ينظر:

David Hadar, Lilac Hadar, Leon Pinsker's Ghosts, ( Shofar: An Interdisciplinary Journal of Jewish Studies, Spring. 2021 ) , Vol.39, NO.1, p.141-146 , Alex Bein, Translated BY Haray Zohn, A The Jewish Question Biography of a World Problem, (Associated University Presses, 1990 ), P.284-288.

الإدانات بسبب المذابح العنيفة التي اندلعت في أوديسا خلال أيام عيد الفصح سنة (1871) ، إلا أنه سرعان ما عاد إلى أعماله لاستيعاب اليهود داخل روسيا الليبرالية[1].

أما عن عمل تلك الجمعية – التي اشترك بنسكر في وضع خطتها – هو " **مساعدة اليهود على اكتساب اللغة الروسية كلغة شعبية** " بغية تسهيل اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها بحيث يتمسكون فقط بالدائرة الدينية للحياة اليهودية. وقد قامت الجمعية بمحاولات شتى لنشر اللغة الروسية بين اليهود عن طريق إصدار كتب تدريس الديانة اليهودية باللغة الروسية، وبدأت العمل على ترجمة المزامير والتوراة إلى هذه اللغة ايضاً. ومن الجدير بالذكر أن الأغلبية الساحقة من يهود روسيا كانت لا تعرف لغة البلاد. وتتخذ من اليديشية لغة التخاطب بينهم. وقد أظهر بنسكر حماساً هائلاً لخطة عمل الجمعية مما جعله يتعرض ليس لهجوم ونقد الفئات المتدينة من اليهود فقط، وإنما أيضاً للتعريض والذم من مختلف الأوساط الصهيونية حينذاك. ويعد فكر بنسكر في هذه المرحلة نموذجاً لفكر المسكيليم دعاة حركة الهسكلاه ، وهو فكر أبعد ما يكون عن الفكر " القومي اليهودي" الذي لا يدين بالولاء للدولة التي يعيش اليهود بين ظهرانيها[2].

بقي بنسكر طيلة الفترة ما بين سنتي (1861–1881) متمسكاً بدعوته لاندماج اليهود في المجتمع الروسي وفي بقية المجتمعات الأخرى التي كانوا يعيشون فيها. وظل يدعو اليهود إلى ضرورة الأخذ باللغة الروسية والثقافة الروسية أوجه الحضارة الروسية كافة. وكان تبرير بنسكر لالتزامه بهذه الدعوة طيلة تلك الفترة بأن نظام الحكم

---

(1) Arthur Hertzberg, The Zionist idea: a historical analysis and reader, (The Jewish Publication Society Philadelphia and Jerusalem, 1997 ),p.179.

(2) أمين عبدالله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي في مرحلة التكوين ، ( عين للبحوث والدراسات، الجية ، ط1 ، 1432–2011 )، ص76.

الروسي لا بد أن يتطور تأخر ليصبح ملكياً دستورياً على النسق البريطاني وتعيش في ظلاله الشعوب جميعها بمساواة تامة[1].

ويفسر غالبية الكتاب تحول بنسكر إلى صهيوني "متقد حماسة" سنة (1882) حينما أصدر كراس " **التحرر الذاتي** " بأن ذلك جاء نتيجة مباشرة للاضطهادات التي تعرض لها اليهود في روسيا سنة (1881) وأنه لولا حدوث الاضطهادات ضد اليهود لما أقدم بنسكر على طرح فكره الصهيوني، إن اندلاع العنف الموجه ضدهم لم يكن ظاهرة جديدة في حياة اليهود الروس عندما حدثت مرة أخرى في سنة (1881). لذلك يجب أن نسأل السؤال: لماذا كانت المذابح الأخيرة أكبر بكثير في تأثيرها حتى تشكلت؟ أزمة عاطفية بالنسبة للكثيرين ، ومن بينهم بنسكر... في غضون بضعة أشهر ، شهدت ما لا يقل عن ( 160 ) مدينة وقرية مثل هذه الاعتداءات التي أبلغ بها السفير الأمريكي في سانت بطرسبرغ ، جون دبليو فوستر ، إلى وزارة الخارجية أن " الأعمال التي تم ارتكابها تستحق أكثر من العصور المظلمة من القرن الحالي"... وحرضت الحكومة الروسية ضمنياً على المذابح. غداة هذه الأحداث ، غادر بنسكر رسميًا جمعية انتشار الثقافة ، معلنًا أنه يجب إيجاد "علاجات جديدة ، طرق جديدة". ذهب إلى وسط وغرب أوروبا للدفاع عن أفكاره التي تشكلت حديثاً حول تركيز الجزء الأكبر من اليهود في دولة وطنية ، لكنه لم يجد أتباعاً[2]. وبعبارة أخرى فإن حلول وآراء بنسكر الصهيونية جاءت كرد فعل للمعاناة اليهودية. **إن هذا هو المنطق الصهيوني التقليدي في تفسير المبادرات الصهيونية باستمرار على أنها مجرد ردود فعل، الهدف منها حماية الكيان اليهودي من خطر خارجي يتربص بأفراده ليدفع بهم**

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص76.

(2) Hertzberg, The Zionist idea, p.180. سيتم الحديث عن بعض طروحات بنسكر في ثنايا الكتاب لاحقاً.

**صوب مزيد من الشقاء والمعاناة فهل كانت آراء وحلول بنسكر الصهيونية حقيقة مجرد رد فعل للمعاناة اليهودية ؟**[1].

❖ **الأصول العقدية وتأسيس القومية اليهودية:**

أما بيرتس سمولينسكين Peretz Smolenskin ( 1842–1885 ) وهو من المسكيليم اليهود الروس ، الذين عملوا في مجال الكتابة. **وقد انضم منذ بداية نشاطه إلى معسكر الهسكلاه، على الرغم الثقافة التلمودية التقليدية التي تلقاها في صغره ، وانتقل في سن مبكرة للسكن في اوديسا** ، حيث عمل في كتابة المقالات والقصص القصيرة لصحيفة هاميليتس (Ha–Melitz ). وفي سنة (1868) ، هاجر الى فيينا ، حيث تولى رئاسة تحرير مجلة هاشاحار ( ha–Shaḥar )، حتى وفاته وقد برعت هذه المجلة في انتقاد أسلوب المعيش اليهودي على الطراز القديم المتدين، بينما كانت تشن في الوقت نفسه، حملات الانتقاد ضد المسكيليم الداعين الى الانصهار ، ومحاولاتهم التنكر لأخوتهم...[2] تصور سمولينسكين أن بإمكانه الاندماج بسهولة مع باقي الفئات الروسية المسيحية ولكنه سرعان ما اكتشف أن الاندماج مطلب غير مطروق من جانب جماعته فأنهى قصته "حزيناً " **وفضل التخلي عن الحياة الحرة العلمانية وعاد إلى بني جلدته ليموت بينهم ميتة الشهداء**[3].

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص77.

(2) Hertzberg, The Zionist idea, p.143–144. ؛ صبري جريس ، تاريخ الصهيونية 1862–1917 ، ( مركز الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ط2 ، 1981 ) ، 85/1.

(3) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص84–85.

وكذلك نشر سمولينسكين عددا من الروايات والقصص، التي تعالج جميعها اوضاع اليهود ومشاكلهم، من خلال نظرة ترى اليهود قومية قائمة بحد ذاتها، بحيث اطلق بعضهم على سمولينسكين ، بسبب ذلك لقب " **أبو فكرة القومية اليهودية** "[1].

إلا أن الجانب العقدي يبدو واضحاً في طروحات سمولينسكين فقد نقل عنه ديفيد فيتال ما نصه: " **فقط بحكم التوراة نحن أحياء بالكامل، وإذا سمحنا لأنفسنا بأن نُسرق منها، فقد نكون أيضاً أمواتاً. عندها ستهلك حياتنا وتتلاشى ذاكرتنا. لأننا حينها سنكون مسؤولين ليس فقط عن موت أنفسنا، ولكن لمئات الأجيال، لأربعة آلاف سنة من وجودنا. بضربة واحدة كنا نمحو أنفسنا من صفحات التاريخ، وكأننا لم نكن كذلك من قبل. ومن أجل ذلك نحارب بدم قلوبنا ولا نعتبر أي تضحية عزيزة علينا. نحن على استعداد لنقدم لأنفسنا وأطفالنا تماماً على مذبح هذا الحب ، حب إيمان أجدادنا، توراة آبائنا وذاكرتهم**"[2].

وأضاف قائلاً: " **لذلك كان الاستيعاب انتحاريًا ولا يمكن تصوره ، خيانة. كان هناك الكثير من الانتقادات في الحياة اليهودية ( روايات سمولينسكين معبأة بأوصاف المؤامرة والنفاق والأفعال المظلمة ) لكن عملية التجديد ، حسب اعتقاده ، يجب أن تكون داخلية وتستند إلى فرضية أن اليهود أعضاء في أمة ، وإن كانت أقدم من الأمم الأخرى، تختلف عن الأمم الأخرى ، مرتبطة بإيمان ومشاعر مشتركة، وليس بأرض ، أمة روحية، لكنها أمة كاملة لأنها تحترم نفسها ولأنها حافظت على ذلك. وحدتها بطريقتها الخاصة في الواقع ، حتى عندما كانت هناك أرض تربط اليهود ببعضهم البعض، كانت لأمور الروح الأسبقية على الاعتبارات والحسابات الدنيوية للمصالح الشخصية والسياسية والمادية. وكانت التوراة واللغة العبرية هما**

---

(1) Hertzberg, The Zionist idea, p.144. ؛ جريس ، تاريخ الصهيونية ، 1/85-86.

(2) David Vital, The origins of Zionism, ( Oxford University Press, 1975 ), p.46-47.

**اللذان جعلتا اليهود شعباً ، وإذا كان اليوم اليهود مجرد شعب بالمعنى الروحي... فالتوراة واللغات العبرية هي أرض ( وطن ) اليهود**"[1]. يؤكد بأن فلسفة المشروع اليهودي قائمة على صناعة الأساطير ومنها أرض الميعاد.

وعلق فيتال على ذلك بقوله: محاولة سمولينسكين لإعادة تعريف الهوية اليهودية بمصطلحات حالت دون أي ميل نحو الاستيعاب كمسألة ، أولاً وقبل كل شيء، من الأخلاق الأساسية واللياقة – أي أن الاستيعاب سيشكل خيانة – بدلاً من الأسس العملية التي لا يمكن أن تعمل من أجلها أكثر من جزء صغير من اليهود. ويمكن لليهود بل ويجب عليهم أن يكونوا متطلعين إلى الخلف وإلى الأمام ، ومخلصين لماضيهم ومهتمين بالحاضر والمستقبل ، وكلاهما جزء من عالم خاص بهم وفي الوقت نفسه ، وليس أقل إخلاصًا وفعالية جزء من العام... لقد كان معتدلاً ، ليبرالياً ، بارعاً في مفهومه لكيفية حل معضلات الخصوصية اليهودية ، وقبل كل شيء متفائل. لم يشارك جميع المسكيليم في ارتباط سمولينسكين بالتقاليد وميله إلى الاعتذار عن مؤيديه المؤسسيين، لكن رأيه القائل بأن الاندماج عمداً هو الخضوع لعملية إطلاق النار من خلالها ومن خلال الإهانة والخداع الفكري كان شائعًا بدرجة كافية، وشارك الجميع وجهة نظره المتفائلة عن تطور اليهود في الغرب وآفاق تطور مماثل في الشرق. انتهى عهد نيقولاس الرهيب. كان العهد الجديد قد بدأ بشكل جيد حتى بالنسبة لليهود. كان كل شيء في حالة حركة، بقي لليهود فقط أن يغتنموا الفرصة: لأنهم إذا لم يرغبوا في التغيير فلن يكون هناك بالتأكيد شيء. ولأنهم يعلمون أنهم هم أنفسهم أقلية صغيرة داخل كتلة مضطربة بشكل متزايد ولكنها لا تزال في الغالب محافظة، كان تفاؤل المسكيليم مشوبًا بشدة بالغضب والشعور بالإلحاح[2].

---

(1) Vital, The origins of Zionism, p.47.

(2) Vital, The origins of Zionism, p,47-48.

ولهذا دعا إلى تشكيل جمعيات تستطيع الأخذ على عاتقها دراسة وتدريس اللغة العبرية وتقديم العون لكل من يريد دراسة هذه اللغة. كما دعا إلى تأسيس مدارس لتدريب المعلمين والحاخامات وحثّهم على إدخال مفاهيم حياتية جديدة لدى الأجيال النامية عن طريق تعليمهم العبرية وتنمية شعورهم القومي وتعميق إخلاصهم لتراثهم وتقاليدهم[1].

**وفي معرض هجومه على المصلحين اليهود الألمان تناول مشكلة القلق النفسي التي تعتري اليهود فعزاها إلى تشتتهم في مختلف بلدان العالم، ودعا إلى التغلب على هذا التشتت عن طريق " بعث قومي" يهدف إلى تجميع اليهود في مكان معين. ومن اللافت للنظر أنه اتجه بادئ الأمر إلى دعوة الجماهير اليهودية للتجمع في مكان يختارونه إما في شمال أمريكا أو جنوبها.** وبقيت فلسطين حتى سنة (1882) غير مطروحة لدى سمولينسكين كمكان لاستيطان اليهود وقد أشار سمولينسكين في تحليله لسر الكراهية التي كان يتعرض لها اليهود فأوضح أن مرد ذلك لا يعود للعامل الديني فحسب وإنما يعود إلى صورة التشرذم والتفتت والنقص التي كان يعيشونها اليهود لمجموع ، ويلاحظ في هذا الصدد أن سمولينسكين حشر في كتاباته الكثير من صدور البؤس والمتاعب والآلام وأسهب في الحديث عن التشرد والاضطهاد والتجوال كما اختارها لحياته الخاصة ، وحاول الصاقها بجيله ومعاصريه بشكل خاص، والأجيال اليهودية بشكل عام ولعله كان يهدف من وراء ذلك إلى تشويه أفكار التنوير كي تبرز الصهيونية كحل وحيد ويعلن استحالة التحرر دون الارتداد عن الدين اليهودي[2].

وقد استغل سمولينسكين أول موجة من الاضطرابات الداخلية التي تعرضت لها روسيا سنة (1881). **فبادر إلى إثارة اليهود الروس وإقناعهم بأن هذه الاضطرابات**

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص87.

(2) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص89.

**كانت موجهة ضده بالذات. وأخذ يدعوهم لمغادرة روسيا إلى بلدان أخرى وبالذات نحو العالم الجديد كما مر بنا قبل قليل. غير أنه ما لبث في نهاية سنة (1882) أن غير موقفه وأخذ يدعو إلى هجرة فقراء اليهود ومعوزيهم إلى فلسطين بهدف استيطانها وإقامة كيان يهودي فيها**[1].

**انضم سمولينسكين إلى حركة أحباء صهيون وكان من أشد المتحمسين لدعوتها إلى تهجير اليهود إلى فلسطين ، ولكن حماسه لم يتجاوز نطاق الكتابة والدعوة. أما من حيث القيام بأنشطة عملية لتنفيذ أفكاره ومخططاته فهذا ما لم يتطرق إليه سمولينسكين ولم يقم بأي شيء يذكر في هذا الصدد**[2].

❖ **حركة الاصلاح الديني اليهودي:**

مثل الحركة الاصلاحية موشيه ليب ليلينبلوم Moshe Leib Lilienblum (1843–1910) والذي نشأ في أسرة يهودية تقليدية متواضعة ، بدأ دراسته قبل أن يبلغ الخامسة من العمر وحرص والده على أن تكون نشأته دينية ، والرجاء له أن يبدأ بدراسة التلمود في السابعة ، وفوق كل شيء ، وأن يصبح من بين أكثر الشخصيات المرموقة ، وهو رجل معروف بتعليمه الحاخامي. وما أن بلغ التاسعة من عمره حتى حقق شأناً عالياً من التفوق في الدراسات التلمودية... يذكر ليلينبلوم: " **بأن طفولتي ومراهقتي كانت مريرة فعندما كنت بعمر أربع سنوات وثلاثة أشهر ، وقبل أن تشتد قواي ، أصبحت تحت رعاية معلمي التوراة ، ومنذ ذلك الحين كنت أُسجن طوال اليوم في غرفة مدرستي. لم يكن مسموحا لي أن أتمتع بأي متعة من سنوات الطفولة الممتعة. لم يُسمح لي بممارسة حياة الطفولة من حيث الحرية واللعب كباقي**

(1) Hertzberg, The Zionist idea, p.168.

(2) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص89.

**الأطفال... لقد حرمت من كل المعرفة وكل الأمور التي لا تدخل في نطاق دراسة التلمود**"[1].

لحق ليلينبلوم في أثناء إقامته في مدينة فيلكومير **بركب حركة الاستنارة اليهودية وخضع لتأثير أفكارها ، ومفاهيمها وأخذ يدعو للقيام بإصلاح ديني معتدل يتناول بعض ما ورد في التلمود من تعاليم وتشريعات، مما أثار عليه غضب المتدينين ، وأدى إلى أن يتخلى عنه الكثير من أهله وأتباعه.** لقد تناول ليلينبلوم في دعوته الإصلاحية الأسس التي قامت عليها الديانة اليهودية وميز بين ركنين أساسيين فيها **الركن الاول:** هو الشريعة الإلهية التي نزلت على موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء وهي الركن الثابت الذي لا يجوز إجراء أي تغيير فيه. أما **الركن الثاني:** فهو التلمود بما تضمنه من تشريعات وتعليمات وهو من وضع حكماء اليهود في مراحل الشتات الأولى وذلك لتلبية احتياجات اليهود وتنظيم حياتهم العملية في مختلف نواحيها[2].

**وقد استعرض ليلينبلوم ظروف اليهود في العصور الوسطى والمعاصرة فوجد أن الحاجة ملحة أكثر من أي فترة مضت لأن يقوم حكماء اليهود بتعديل وإضافة تشريعات وتعليمات جديدة على التلمود لتسهيل مهمة تفاعل اليهود مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بهم. وبتعبير آخر فإن ليلينبلوم حاول التوفيق بين حرفية الشرع التلمودي والأفكار التحررية والمجددة التي كانت منسجمة مع روح العصر، ولم يتوقف في دعوته عند هذا الحد، وإنما دعا إلى ضرورة القيام بهذه الإصلاحات بأسرع وقت ممكن، وحذر من مغبة التهاون والتقاعس حيث ان ذلك يؤدي إلى عواقب وخيمة ، كاضطهاد متزايد لليهود ، أو اندماج اليهود في مجتمعات**

(1) Vital, The origins of Zionism, p,111.

(2) Vital, The origins of Zionism, p,112.

**الجوييم ( الأغيار ) والتخلي عن تراثهم ودينهم** [1]. وأشار ليلينبلوم في تشخيصه بأن مصدر الداء اليهودي داء ذاتي لا يتم التغلب عليه إلا بعلاج داخلي في صميم المجتمعات اليهودية، مبيناً عدم جدوى انتظار معجزة خارجية تخرج من مجتمعات " الجوييم" لإنقاذ اليهود من دائهم ومشاكلهم[2].

يعتقد الكثير من المؤرخين أن اعتناق ليلينبلوم الدعوة الصهيونية قد جاء نتيجة للصدمة التي احدثتها اضطرابات سنة (1881) وأدت إلى ارتداده المفاجئ عن الاتجاهات العلمانية، ولعله ليس من قبيل الصدفة أن تجيء دعوة ليلينبلوم إلى الصهيونية بما تضمنته من حث اليهود الروس على الهجرة في الوقت الذي بدأت فيه الطبقة الوسطى الروسية تأخذ مكانها وتقتلع اليهود من حرفهم ومهنهم، خاصة في مجال التجارة، مما جعل اليهود مهيئين للجوء من روسيا والبحث عن مكان آخر، ومما قاله في هذا الصدد: "... **إن أمم أوروبا اليوم أصبحت تجيد فنون التجارة كاليهود ، لذا فهم ليسوا بحاجة إلينا... فإلى أين سنهرب...**"[3].

والملاحظ أن التغيير عند ليلينبلوم يضع استراتيجية للعمل بمقتضاها ، وذلك بقوله إن أمام اليهود ثلاثة خيارات:

**أ- البقاء على ما نحن فيه ، مضطهدون دائماً.**

**ب-الانصهار في الشعوب التي نعيش بينها وبشكل كامل ، نتخلى عن ديانتنا ونعتنق ديانات تلك الشعوب.**

---

(1) Vital, The origins of Zionism, p,113.

(2) Walter Laqueur, A History of Zionism: From the French Revolution to the Establishment of the State of Israel, ( New York, 1972 ), p.68.

(3) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص91 ؛ جريس ، تاريخ الصهيونية ، 89/1.

**ج- بدء نشاطنا من أجل بعث اليهود على أرض ابائهم ، حيث ستعيش هناك اجيالنا الصاعدة حياة طبيعية وقومية ، بكل معنى الكلمة عليكم ان تختاروا**[1].

أكد ليلينبلوم أن معاداة السامية لم تكن ظاهرة عابرة ، وليست مفارقة تاريخية. بل بدت العودة إلى العصور الوسطى غير متصورة للعديد من اليهود ، لكن ليلينبلوم كان أقل تفاؤلاً. **ولا يمكن حل المسألة اليهودية إلا إذا تم نقل اليهود إلى بلد يشكلون فيه الأغلبية ، حيث لم يعودوا غرباء ولكنهم قادرين على عيش حياة طبيعية. مثل هذا الاحتمال لم يكن موجودًا في إسبانيا ولا في أمريكا اللاتينية ولا حتى في الولايات المتحدة ، ولكن فقط في فلسطين. كان من غير المجدي انتظار مبادرة من جانب الأثرياء اليهود**[2].

ومن بين المفكرين الصهاينة اليعيزر بن يهودا Elizer Ben Yehuda (1858-1922) الذي يعد من آخر المفكرين الصهاينة الأوائل ، **وهو بن يهودا الذي تلقى في صغره تربية دينية محافظة في أسرة تنتمي لفئة يهودية ذات مركز اجتماعي واقتصادي متميز في مدينة لوشكي بمقاطعة لتوانيا الروسية. ثم قضى بعض سني شبابه في أكاديمية التلمود في بولوتسك ( Polotosk )** ، التحق بعدها بمدرسة علمانية حيث وقع تحت تأثير الآراء الثورية التي كانت منتشرة بين المثقفين الروس وخصوصاً العدميين ( Nihilists ) منهم. استهوته الأفكار الاشتراكية والعدمية وحركة الأحياء القومية الروسية المعروفة نارودينكي ( Narodniki ) أي ( العودة إلى الشعب ) ولكنه بالرغم من ذلك ظل يهتم بالثقافة العبرية. وانضم إلى أسرة مجلة الفجر التي كان يصدرها سمولينسكين معتنقاً نظرية القومية الثقافية التي كانت تعبر عنها

(1) جريس ، تاريخ الصهيونية ، 91/1.

(2) Laqueur, A History of Zionism, p.68.

المجلة في مقالاتها وتقاريرها. وحاول تقليد فكرة القومية الروسية ( الحركة السلافية ) بالدعوة إلى " **قومية يهودية** " على أساس علماني وسياسي وبعد فترة قصيرة قضاها في باريس والجزائر (1878–1881) هاجر إلى القدس سنة (1881)، وقد بقي مقيماً في القدس منذ ذلك الحين حتى موته، باستثناء أربع سنوات قضاها في أمريكا خلال الحرب العالمية الأولى[1].

سبق بن يهودا غيره من المفكرين اليهود الروس بتبنيه الحل القومي للمسألة اليهودية فقد أعلن أن اليهود ظلوا يشكلون وحدة قومية متكاملة بفضل ديانتهم وعزلتهم، ولكنه حذر من أن الشعور الديني بدأ يضعف بين اليهود في أواخر السبعينات كما انهم بدأوا يخرجون عن نطاق العزلة وباتوا مهددين بالانصهار في الشعوب الأخرى، ولذا فقد دعا بن يهودا إلى إنشاء جمعية استيطان يهودية لشراء أراض في فلسطين وتوطين اليهود فيها من أجل المحافظة على الوجود اليهودي في المكان الذي وصفه بأنه "الوحيد المناسب لذلك"[2].

**الاستنتاجات:**

**بعد استعراض آراء عدد من المفكرين اليهود الروس الذين طرحوا الصهيونية حلاً عملياً للمسألة اليهودية، يُستدل على العديد من المسائل منها:**

**أ- إن الأسس العقدية ( الدينية ) التلمودية كانت الأساس الذي تربى عليه مفكروا اليهود الروس منذ نعومة أظفارهم.**

**ب-كان لليهود الروس أثرا كبيرا في وضع الأسس التي قامت عليها الصهيونية.**

(1) Vital, The origins of Zionism, p,219.

(2) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص92-93.

**ج- كان هناك تغيير في طروحات أولئك المفكرين وفق مقتضى الحاجة من الديني إلى الثقافي إلى القومي ثم الصهيوني، مع بقاء الأسس العقدية للمشروع اليهودي.**

**د- في نهايات القرن التاسع عشر كان يرى بعض المفكرين بأن هناك حاجة ملحة لأكثر من أي فترة مضت بأن يقوم حكماء اليهود بتعديل وإضافة تشريعات وتعليمات جديدة على التلمود لتسهيل مهمة تفاعل اليهود مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بهم.**

**هـ- من اللافت للنظر أنّ فلسطين لم تكن هي الوجهة ليهود روسيا، بل كانت الدعوات لمغادرة روسيا إلى بلدان أخرى نحو العالم الجديد شمال أمريكا أو جنوبها بالذات. غير أنه ما لبث في نهاية سنة (1882) أن تغير موقف مثقفي يهود روسيا وأخذوا يدعون إلى هجرة فقراء اليهود ومعوزيهم إلى فلسطين بهدف استيطانها وإقامة كيان يهودي فيها.**

**و- تؤكد الفقرة أعلاه ما ذكره هرتزل في يومياته حول خطورة موقع فلسطين على اليهود فيقول: " بأنه يرى من مساوئ فلسطين ، قربها من روسيا وأوروبا ، وعدم وجود مجال لتوسعها، وكذلك مناخها الذي لم نعد معتادين عليه، ولصالحها الأسطورة العظيمة، في البداية سوف يدعمنا معادوا السامية من خلال العودة للاضطهاد لأني مقتنع أنهم لا يتوقعون النجاح وسوف ترغب في استغلال الاحتلال "[1]. وبموضع آخر قال: " إذا ذهبنا إلى أمريكا الجنوبية ، سيكون فيه مصلحة كبيرة لنا بسبب بعدها عن أوروبا**

---

(1) Theodor Herzl, The Complete Diaries of Theodor Herzl, Edited Raphael Patai, ( U.S,A, 1960 ), p.56.

**المعسكرة والبذيئة ، فإن أولى معاهداتنا الحكومية يجب أن تكون مع جمهوريات أمريكا الجنوبية"[1].**

**وذلك يشير إلى أن من بين أولويات هرتزل في مشروعه المحافظة على الأمن اليهودي بغض النظر عن الموقع الجغرافي للمشروع وعبّر عنه في العنوان الأصلي في كتابه " دولة لليهود " ، وليس " دولة يهودية "[2]. بل كان هرتزل وآخرين معه يخشون أن تصبح فلسطين كمصيدة الفئران لليهود[3].**

**ز- تبلور استراتيجية البدائل في روسيا من الاندماج إلى الهجرة والتوطين مروراً بظهور فكرة القومية اليهودية من خلال مؤسسي الفكر الصهيوني.**

**ح- دور الشباب المتدين والعقائدي واضح من بينسكر إلى سمولينسكي إلى هرتزل في بلورة خيارات واستراتيجيات البدائل لمعالجة المشكلة اليهودية.**

**ط- الحفاظ على اليهود واستمراريتهم هو القاسم الاستراتيجي المشترك لكل دعاة معالجة المشكلة اليهودية.**

---

(1) Herzl, The Complete Diaries, p.69.

(2) ديز موند ستيوارت ، هرتزل أول دراسة موضوعية عن حياة هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ، ترجمة: فوزي وفا - إبراهيم منصور ، ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1974 ) ، ص254.

(3) ستيوارت ، هرتزل أول دراسة موضوعية ، ص291.

## المبحث الثاني: استراتيجية الاخفاء:

### ❖ فلسفة الاخفاء:

أشار الكاتب إدوارد سعيد الذي يعد أحد أهم المثقفين الفلسطينيين ، بأنه من أجل معرفة المشروع اليهودي لابد من تفحص الأفكار السياسية الفعالة مثل الصهيونية تاريخياً إلى طريقتين:

**اولاً:** من حيث الأنساب ، من أجل إثبات أصلهم ، ونسبهم ، وانتمائهم إلى كل من الأفكار والمؤسسات السياسية الأخرى.

**ثانياً:** كأنظمة عملية من أجل تراكم " السلطة والأرض والشرعية الأيديولوجية "وإزاحة" للناس ، والأفكار الأخرى ، والشرعية السابقة ". إنّ تجعل الحقائق السياسية والثقافية الحالية تجعل مثل هذا الفحص صعباً بشكل استثنائي ، بسبب الصهيونية في الغرب الرأسمالي المتقدم قد اكتسبت لنفسها هيمنة بدون تحدٍ تقريباً في ترسيخ الخطاب المؤسسي الرأسمالي ، لأنه يتماشى مع إحدى خصائصها الأيديولوجية المركزية التي أخفتها الصهيونية ، أو تسببت في اختفاء الأرضية التاريخية الحرفية لنموها ، وكلّفَتها السياسية نحو السكان الأصليين في فلسطين ، والتمييز العنصري القمعي بين اليهود وغير اليهود[1].

وأضاف قائلاً: " **أن كامل المدة التاريخية لدولة يهودية في فلسطين قبل سنة (1948) كانت فترة ستين سنة قبل ألفي سنة ، وأن تشتيت الفلسطينيين لم يكن حقيقة طبيعية ولكن نتيجة قوة واستراتيجيات معينة. لذلك فإن هناك إخفاء**

---

(1) Edward W. Said, Zionism from the Standpoint of Its Victims, ( Duke University Press, No.1 Winter, 1979 ), p.11 ;
إدوارد سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ( دار شفق ، الكويت ، ط1 ، 2019 ) ، ص15-16.

**الصهيونية لتاريخها قد أصبح مؤسساتياً الآن ، وليس في إسرائيل فقط. ولإظهار تاريخها وفق وجهة نظرها كان منتزعاً من فلسطين والفلسطينيين، هو هؤلاء الضحايا الذين اعتمدت الصهيونية وإسرائيل على قمعهم وهي مهمة ثقافية سياسية محددة ، وجزء مهم من الصراع العالمي ضد الإمبريالية وضد تقنيات السرية والهيمنة ، وفصاحة تاريخية، و ( في الولايات المتحدة على الأقل ) ضد الهيمنة الليبرالية"**[1].

وما ذكر أعلاه يشير إلى العديد من الجوانب المهمة وهي:

**أ- هيمنة الصهيونية على الخطاب المؤسسي الرأسمالي ؛ لأنه يتماشى مع إحدى خصائصها الأيديولوجية المركزية التي أخفتها الصهيونية.**

**ب- هناك استراتيجية يهودية لإخفاء تاريخ الصهيونية بحرفيّة ومنهجيّة.**

**ج- الطابع المؤسسي من أجل العمل على إخفاء ذلك التاريخ ليس في اسرائيل فقط بل على مستوى عالمي في البلدان ذات التأثير مثل الولايات المتحدة الأمريكية بالذات.**

❖ **فلسطين بين التجهيل اليهودي وصعوبة الفهم:**

يؤكد إدوارد سعيد على أمر مهم للغاية وهو عملية تبني التجهيل بالقضية الفلسطينية والفلسطينيين وتاريخهم ليس القديم فحسب بل الحديث بقوله: " في حالة الصهيونية والفلسطينيين إن أي محاولة في الولايات المتحدة لإضفاء بعض الفحوى المادية على الحالة الفلسطينية – ولو بمجرد الكتابة عنها فقط – يجب أن يُنظر إليه على أنه جزء ملموس من النضال ضد الصهيونية والعنصرية والإمبريالية. لأن الصهيونية وأنصارها في الأساس، نتيجة سيطرتهم على مصادر الانتشار والتمثيل في الغرب، قد طمسوا الفلسطيني في الغرب وتاريخه، وحقيقته. **ولنأخذ مثالاً بسيطاً عن**

(1) سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ص16.

**هذا الطمس حقيقة عدم وجود كتاب واحد في الولايات المتحدة حول الفلسطينيين من تأليف فلسطيني. وتظهر المقالات من وقت لآخر في الصحافة، لكن تراكم واعتبار وجاذبية نص/ كتاب، بالإضافة إلى الإحساس الدلالي الحيوي للصراع الإنساني ضد الظلم تمنع عن الحالة الفلسطينية.** حتى الكتاب الذي اقتبست منه مقالتي هذه رفضه الناشر الذي تعاقد أصلا من أجله، ويرجع ذلك بشكل أساسي إلى وجود إجماع على أن الفلسطينيين باستثناء كونهم مصادر إزعاج أو إرهابيين أو لاجئين مجهولين غير موجودين، وليس لهم تاريخ سياسي "[1].

ويؤكد ما ذكره سعيد الكاتب مايكل آدامز إذ يشير في كتاب بعنوان " **لا تنشره... تغطية الشرق الأوسط** "، وبسرد مفصل للرقابة لمفروضة على الصحافة والنشر على القضية الفلسطينية، وجزء مما ذكره: " **إذن العقل المنفتح الذي ذهبت به في النهاية إلى الشرق الأوسط لم يغمض عليه سوى الإدراك العميق لمصير اليهود في أوروبا المعاصرة. لا أستطيع أن أقول بصدق ، في هذه المسافة من الزمن ، هل شعرت أن هذا أعطى اليهود – كان الصهاينة في ذلك الوقت مصطلحًا الذي بالكاد أفهمه – الحق في منزل أو دولة في فلسطين. كل ما يمكنني التأكد منه هو أنني كنت سأستمع بتعاطف مع أي شخص حاول إقناعي بأن الأمر كذلك. من ناحية أخرى ، لم أكن أعرف شيئًا عن الفلسطينيين. عندما وصلت إلى الشرق الأوسط ووجدت نفسي غارق في العمل مع مراسل أجنبي ، وجدت نفسي واقع في مشاكل مع السلطة. وحكومات الشرق الأوسط ليست معروفة بالتسامح ولا تقبل مسألة النقد. كما أن الكثير من الناس قد لا يتجاوبون معك ، كما يلاحظ احجام الصحفيون عن النقد. وهذه المعضلة لا نهاية لها ، ولكن النقطة المهمة هي أنه يجب رسم خط فاصل بين التعليق الموضوعي والنقد غير المتحيز ، فالمراسل الصادق ، والمراسل**

---

(1) سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ص19 ؛ Said, Zionism from the Standpoint,p.13

**الذي يروي الاحداث كما يراها ، سوف يوقع نفسه في المشاكل بين الحين والآخر ، إنها أحد مخاطر العمل الصحفي. فكيف يمكن للصحفي ان يتعامل مع المشكلة ؟**

**ما رأيته باختصار هو حقيقة الظلم الذي تم ارتكابه عن علم كان وما زال يطال عمدا الفلسطينيين ، ويمكن إرجاعه مباشرة إلى القرار الذي اتخذته الحكومة البريطانية. وتحديداً وعد بلفور في سنة ( 1917 )، تلك الوثيقة التي عرضت الحكومة البريطانية من خلالها على الصهيونية فلسطين كوطن لهم في فلسطين، والذي وتم بموجبه نزع ملكية أراضي فلسطين ، أراض ليس لهم أي حقوق فيها. عندما تعرفت لأول مرة في سنة ( 1956 ) ، على الخطوط العريضة لهذه القصة، شعرت بالفزع ، وأكثر من ذلك لأنني أدركت أن معظم الناس كانوا جاهلين كما كنت حتى تلك اللحظة بشأن المأساة الفلسطينية. ومع ذلك ، بمجرد أن استوعبت الحقائق، أعتقد أنه كان بإمكاني قبول ، تلك الحجة القائلة بأن الضرر قد حدث، وأنه لا فائدة من البكاء"**[1].

والكلام المذكور **نموذج واضح عن عملية التجهيل المتعمد ليس بالقضية الفلسطينية فحسب بل بالمشروع اليهودي الصهيوني بصورته الحقيقية، ولا يحتاج إلى شرح أو تعليق عليه.**

وأكد عملية التجهيل واخفاء المعلومات بعض كتاب اليهود لعلل من أبرزهم أرثر كوستلر[2]، وبنيامين فريدمان[3].

---

(1) للمزيد ينظر: Michael Adams and Christopher Mayhew, Publish it not... The Middle East cover-up, ( Great Britain, London, 1975 ), p.3-15.

(2) أرثر كوستلر ، امبراطورية الخزر وميراثها القبيلة الثالثة عشرة ، ترجمة: حمدي صالح ، ( دار اليوسف ، بيروت ، 2004).

(3) بنيامين فريدمان ، يهود اليوم ليسوا يهوداً ، ترجمة: زهدي الفاتح ، ( دار النفائس ، بيروت ، ط2، 1403هـ/1983م ).

وأضاف سعيد قائلاً: لذلك فإن دراسة تاريخية مثل هذه أن يجب تطرح بوعي وبقصد ليس لتقديم التاريخ الفلسطيني المقموع بشكل مبرمج من الصهيونية والإمبريالية الليبرالية للغرب، ولكن أيضاً كعنصر مكمل لهذه الذاكرة المضادة، ولتوفير أرشيف مضاد من المادة حول الاستعمار الاستيطاني إلى الراديكاليين حول القصب الغربيين. وحقيقة إنني أستطيع أن أكتب وأتحدث كفلسطيني، بأي طريقة محدودة كانت هي إشارة إلى أن الهيمنة الإمبريالية تبدأ أخيراً بأن تتعرض للتحدي ووضع ما دعاه ماركس بأسلحة النقد للاستعمال بهذه الطريقة أيضًا تضييق المسافة بين كماليات الحوار الأكاديمي وعمليات الصراع السياسي. لذلك فإن تأكيد الهوية الفلسطينية يتخذ شكل تحدٍ سياسي، لأن الفلسطينيين في إسرائيل يعتبرون رسمياً "غير يهود" فحسب، وفي مكان آخر يكون وجودهم إما موضع شك وإما يعتبر مزعجاً[1].

حين يتولى وكلاؤها ووكالاتها مشاريع حقيقية للحرب العنصرية والإبادة الجماعية والظلم الاقتصادي والهيمنة الفكرية والبناء المتلاعب... وأنا أعني اقتراح قسوة الرقابة الفكرية الحقيقية والمنظمة بشكل منهجي موضع نقاش مفتوح ، **لذلك إن ما أقصد عمله هو تسجيل التاريخ المخفي للصهيونية كما جرى انتزاعه من الفلسطيني المحلي ، وهذا مجرد شكل أولي من الصراع لكنه من الواضح سمة هامة من الارتقاء الفلسطيني إلى الوعي السياسي ، وحركته نحو تقرير المصير ، ونحو ملء دور تاريخي في العالم المعاصر**[2].

ويستمر سعيد في حديثه حول صعوبة **تعريف الصهيونية** ، فذكر: ومع ذلك في عمل هذا سيكون ظلماً كلياً تجاهل قوة الصهيونية كفكرة لليهود ، أو لتقليل قيمة النقاش الداخلي المعقد الذي يميز الصهيونية ومعناها الحقيقي وقدرها المسيحي ، وهكذا

(1) سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ص19.

(2) سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ص25.

وحتى التحدث حول هذا الموضوع أقل بكثير من " **تعريف الصهيونية** " ، **هو بالنسبة إلى شخص عربي مسألة صعبة تماماً**. سأستخدم نفسي مثالاً هنا. إن أغلب تعليمي ، وبالتأكيد كل تشكيلي الفكري الأساسي هما: غربيان وفيما قرأت وحول ماذا أكتب أو حتى فيما أفعل سياسيا ، أنا متأثر بعمق بالمواقف الغربية السائدة نحو تاريخ اليهود ومعاداة السامية وتدمير اليهودية الأوروبية. وعلى عكس غالبية المفكرين العرب الآخرين ، الذين من الواضح أن معظمهم ليس لديه نوعيتي من الخلفية كنت معرضاً مباشرة إلى تلك السمات من التاريخ والتجربة اليهوديتين اللذين كانا مهمين بشكل كبير لليهود ولقراءة غير اليهود الغربيين وتفكيرهم حول التاريخ اليهودي وأنا أعرف كما يمكن لأي غير يهودي أن يعرف ماذا عنت معاداة السامية لليهود ، خصوصًا في هذا القرن. **لذلك يمكنني أن أفهم الرعب والبهجة المندمجين اللذين تغذت الصهيونية بهما ، وأعتقد أنني يمكن أن أدرك على الأقل معنى إسرائيل لليهود ، وحتى لليبرالي الغربي المتنور. ومع ذلك ، لأنني فلسطيني عربي يمكنني أيضًا أن أرى وأحس أشياء أخرى وهذه هي التي تعقد الأمور إلى حدٍ كبير**[1].

(1) سعيد ، الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، 25-26.

## المبحث الثالث: استراتيجية البدائل اليهودية:

من بين أهم ما تميز به المشروع اليهودي والذي يهدف للحفاظ على استمرارية البقاء اليهودي كان العمل بـ **( استراتيجية البدائل ) ، التي تكون قائمة على تعددية الخيارات والمسارات لتحقيق أي مشروع وتنفيذه ، ولتجاوز المخاطر والتهديدات التي تكتنف مسيرة وتحول دون تحقيق أهداف المشروع وغاياته واستمراريته ، ولمعرفة تلك الاستراتيجية لابد من الإشارة إلى أن اليهود كانوا يمثلون كبار الطبقة الثرية ويشكلون الرأسمالية التجارية في كل من فرنسا والمانيا والنمسا ، إذ لم يكن في هذه الدول تجمعات يهودية كبيرة كما كان الحال عليه في أوروبا الشرقية وروسيا بشكل خاص.**

لقد كانت غالبية اليهود في أوروبا الغربية يعملون في التجارة والصيرفة وزاد ارتباطهم أكثر فأكثر بالنظام الرأسمالي مع تطور المجتمعات الغربية في أعقاب الثورة الصناعية وتداعياتها[1]. وقد ترتب على ذلك الوضع الاجتماعي الخاص بمسار اليهود التاريخي وضعاً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً مختلفاً لليهود في روسيا وأوروبا الشرقية حيث كانت تتنازعهم اتجاهات ثلاثة:

أ- **الاتجاه الصهيوني** الذي ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وأخذ يتحول تدريجياً إلى حركة سياسية تستمد دعمها من الجاليات اليهودية في أوروبا وتدعو إلى تكتل اليهود وعدم اندماجهم في المجتمع الروسي تمهيداً لهجرتهم إلى أرض الميعاد لينشئوا فيها وطناً قومياً لليهود.

ب- **الاتجاه الثوري** الذي تبنته مجموعة صغيرة من اليهود الذين لعبوا دوراً بارزاً في الحركة الثورية الروسية منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر، والذين كانوا

---

(1) محمود ، أمين عبدالله ، الاتحاد السوفييتي وتأسيس دولة إسرائيل ، ( عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، القاهرة، ط1 ، 1434هـ/2013م ) ، ص22.

يرون أن حل المسألة اليهودية يكمن في انصهار اليهود مع الجماهير الروسية والمشاركة في تحرير الشعب الروسي بمختلف مكوناته من الطغيان القيصري والاستبداد الاقطاعي والاستغلال الاجتماعي، وأصبح أصحاب هذا الاتجاه من المنتسبين للحركة البلشفية، حيث لعب بعضهم دوراً قيادياً في هذه الحركة أمثال تروتسكي وغيره.

ج- **حركة البوند** اتجاه ثالث كان دوره دوراً وسطاً بين الاتجاهين السابقين وكانت تمثله حركة البوند[1]. وقد تبنت هذه الحركة في بداياتها معظم برامج الماركسية، ولكنها تحولت فيما بعد لتكوّن تنظيماً يهودياً مستقلاً يحافظ فيه العمال اليهود على استقلالية حركتهم العمالية بعيداً عن العمالة الروسية وتنظيماتها النقابية والحزبية على اعتبار أن للعمال اليهود وضعاً خاصاً بهم[2].

**هذه الاتجاهات الثلاثة كانت تمثل جزءاً من استراتيجية بدائل المشاريع ( المسارات ) التي سار بموجبها اليهود لتحقيق أهدافهم ، لكن جميع تلك التيارات**

---

(1) البوند ( BUND ) ، الحزب الاشتراكي اليهودي ، تأسس في روسيا سنة (1897م). وجاءت للدفاع عن الحقوق المدنية والوطنية لليهود في روسيا واحتضنت قضية النهضة الثقافية اليهودية ، عملت مجموعة البوند ، وهي جماعة مسلحة ، من أجل الإطاحة بالحكومة القيصرية الروسية ، ونظمت مظاهرات وإضرابات. هرب بعض البونديين إلى الولايات المتحدة وأصبحوا ناشطين في الحركة الاجتماعية اليهودية في أمريكا. بعد الثورة الروسية سنة (1917) ، انضم جزء من البوند إلى القسم اليهودي في الحزب الشيوعي. وأنشأت مدارس ، وأجرت أعمالًا ثقافية باللغة اليديشية ، ونظمت مجموعات شبابية وتعاونيات عمالية. وعلى الصعيد الداخلي ، عارض البوند الصهيونية بشدة واعتبرها " يوتوبيا برجوازية ". كانت معادية للعبرية مثل اللغة اليهودية القومية. لا تزال بقايا البوند نشطة في أمريكا وإسرائيل وبعض الدول الأوروبية. للمزيد ينظر:

Hirsz Abramowicz, Profiles of A lost World Memoirs of East European Jewish Life before World War II, ( NEW YORK, 1999 ), P.14.

(2) محمود ، الاتحاد السوفييتي وتأسيس دولة إسرائيل ، ص22.

**تعود في جذورها إلى الرؤية التوراتية وقد تم الإشارة إلى بعض الشخصيات اليهودية التي وضعت الأسس التي قامت عليها الصهيونية.**

## ❖ استراتيجية البدائل السياسية ( من الجيتو إلى الدولة ):

يعزو الكثير من الباحثين اشتداد أود الصهيونية وازدهارها إلى الصدمة التي أحدثتها الاضطرابات والمجازر التي شهدتها روسيا القيصرية سنة (1881) وما ترتب عليها من الارتداد المفاجيء للعديد من اليهود عن الاتجاهات العلمانية واعتناقهم الدعوة الصهيونية، ولعله ليس من قبيل الصدفة أن تجيء دعوة المفكرين اليهود الروس: ليو بنسكر وليلينيلوم وسمولينسكين وبن يهودا وغيرهم إلى الصهيونية، بما تضمنته من حث لليهود الروس على الهجرة، في الوقت الذي بدأت فيه الطبقة الوسطى الروسية تأخذ مكانها وتقتلع اليهود من حرقهم ومهنهم، خاصة في مجال التجارة، مما جعل اليهود مهيأين للهجرة من روسيا والبحث عن مكان آخر[1].

وقاله ابراهام ليون في هذا الصدد: " **وابتداء من القرن الثاني عشر ، ومع تطور الاقتصاد في أوروبا الغربية ونمو المدن ، ونشوء طبقة تجارية وصناعية محلية ، بدأ وضع اليهود بالتفاقم بجدية ، مما أدى إلى اخراجهم شبه التام من معظم البلدان الغربية ، واتخذ اضطهاد اليهود طابعاً عنيفاً متزايداً ، بينما استمر وضعهم مزدهراً حتى عهد قريب ، في بلدان أوروبا الشرقية المتخلفة. بهذه الاعتبارات الأولية نرى مدى خطأ المفهوم العام المسيطر في ميدان التاريخ اليهودي. ويشكل اليهود في التاريخ ، قبل أي شيء آخر ، مجموعة اجتماعية لها دور اقتصادي محدد: انهم طبقة أو على الأصح شعب – طبقة. ان مفهوم الطبقة لا يتعارض قط مع مفهوم**

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص101.

**الشعب، فلأنهم حافظوا على كيانهم ضمن طبقة اجتماعية ، فقد أبقى اليهود على بعض الخصائص الدينية والعرقية واللغوية "**[1].

وللحديث أعلاه العديد من الدلالات وهي:

**أ- الحفاظ على الجانب العقدي ، فعلى الرغم من التغييرات التي طرأت على اليهود إلا أن الجانب العقدي يبقى ماثلاً للعيان والحفاظ عليه يعد من الثوابت اليهودية.**

**ب-دلالات الحصار الاقتصادي ، إنّ عملية التحول في اقتصاديات دول أوربا الغربية ونمو المدن فيها ترك أثراً واضحاً على اليهود، يمثل حصاراً اقتصادياً بالنسبة لهم وفقدانهم لمكانتهم.**

**ج- الملاحظ بأن المصلحة اليهودية هي التي اقتضت تنفيذ استراتيجية البدائل بمساراتها المختلفة السياسية وغيرها.**

ومن بين أهم الشخصيات اليهودية آشر تسفي جينسبيرج Asher Zevi Ginsberg المشهور بـ أحد هاعام Ahad Ha-Am (1856-1927) ، الذي ولد في بلدة سكفيرا (Skvira) الأوكرانية الواقعة قرب كييف (مملكة الخزر اليهودية سابقاً) والتي كان يقطنها غالبية يهودية انتقلت أسرته وهو في الثانية عشرة من عمره إلى العزلة في إحدى الضياع قرب برديشيف ، كان والده قد أستأجرها من أحد أفراد الأسر الروسية النبيلة، وأخذ يفلحها باستمرار على مدى ثمانية عشر سنة حتى سنة (1886)، عندما حال تنفيذ قوانين أيار دون تجديد أجرة الأرض، **كان والده استثنائياً لزمنه وطبقته ميسور الحال بحيث استمرت أسرة جينسبيرج تعيش في مستوى حياة النبلاء الروس، وقد كان شخصية تقليدية متمسكاً بدينه، وكانت رغبته أن يرى ابنه الموهوب**

(1) ابراهام ليون ، المفعوم المادي للمسألة اليهودية ، ترجمة: عماد نويهض ( دار الطليعة ، بيروت، ط1 ، 1969 )، ص27.

**يكتسب السلطة والهالة التي لا تقدر بثمن لعالم حاخامي عظيم وقد فعل كل ما بوسعه لإحضار آشر في التقليد كما تم تفسيره بدقة لاستبعاد كل ما كان دنيوي وعلماني... وهو ما يعني أنه شاب يتمتع بمواهب فكرية فائقة وأستاذ في التعلم التلمودي.** لكن آشر رفض البقاء ضمن حدود التقاليد ، وبفضل مزيج من الحيلة والاجتهاد غير المألوف ، تمكن من تعليم نفسه واكتسب في النهاية ، إتقانًا للغة الروسية ولغات أوروبا الغربية الرئيسية ، جنبًا إلى جنب مع أدب كل منها، والتأصيل في العناصر الرئيسية للقانون الفلسفي والتاريخي المعاصر. لقد فعل ذلك في تناقض واضح مع رغبات والده: في وقت مبكر في طفولته ، **أصيب والديه بالرعب عندما اكتشفوا أنه كان يعلم نفسه الأبجدية الروسية من خلال فك رموز لافتات المتاجر في طريقه إلى المنزل من المدرسة. لكن لم يكن هناك انقطاع. فقط مقاومة صامتة تتراكم ببطء للتقاليد التي سعى والده من خلالها لاحتوائه. خرج من سجنه الإقليمي كما رآه...** بعد أن بلغ رجلاً في الثلاثين من العمر، يشعر بالمرارة حيال الأعوام الضائعة لعدم حصوله على التعليم العلماني الرسمي الذي كان يريده وحيداً منطوياً ، لكنه حصل عليه معتمداً على قدراته الذاتية... **رجل اختتم سنوات تعليمه بحلقة مزدوجة من الاغتراب عن الروس من خلال إحساسه المقنع وغير المشكوك فيه بالهوية اليهودية وعن اليهود برفضه الحديث للتقاليد الدينية**[1].

يرى الباحث بأنه هناك تركيز لدى اليهود الروس لتعليم أبنائهم وفق التعاليم الحاخامية بغض النظر عن المستوى المعاشي فقيراً كان أو غنياً ، لم يكن اعتباطياً بل كان مقصوداً ويحمل في ثناياه الكثير من الإجابات الواقعية والمقنعة لفك شيفرة المشروع اليهودي.

(1) Vital, The origins of Zionism, p,188-189.

اتخذ أحد هاعام منذ البداية موقفاً فكرياً مخالفاً لموقف هرتزل ومن سبقه من غالبية المفكرين الصهاينة، كما أعلن رفضه لغايات الصهيونية السياسية وأساليبها، ورأى أنها لا تتلائم والتشخيص الصحيح لأمراض الصهيونية، واتهم هرتزل زعيم الصهيونية السياسية بالسطحية في التفكير والافتقار إلى الرصانة واستشهد على ذلك من خلال ما أورده هرتزل من معلومات خاطئة ومضللة حول انجازاته السياسية وكان مما قاله أحد ها عام ، في هذا الصدد: " **لقد تحدثت لبرهة وجيزة مع هرتزل بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر الصهيوني الأول ، وتوصلت إلى نتيجة مفادها أن جميع إشاراته إلى ما قام به من أعمال في القسطنطينية ، كانت كلها عديمة القيمة ، إذ لم تعط لـ هرتزل أية وعود. وكما يبدو فأن الحكومة العثمانية ستنقض علينا بعنف أكثر من ذي قبل**" [1].

رفض أحد هاعام الشتات " بشكل ذاتي": أولاً ، كان أمل اليهود عبر التاريخ أن يعودوا إلى أرض إسرائيل. ثانياً ، يمكن أن تظهر ثقافة يهودية حديثة ومستقلة هناك فقط وليس في الشتات. **لم يرفض أحد هاعام الشتات "بشكل موضوعي" لأنه كان يعتقد ( عكس هرتزل ) أن الشتات سيكون موجوداً دائماً وأن الالتقاء الكامل مع صهيون أمر مستحيل... لم يكن وجود اليهود خارج صهيون شيئاً سلبياً لأنه بإمكانهم أن يعيشوا فقط من خلال الطاقة الروحية للوطن. كان لكل فرع من فروع الشتات احتياجاته الخاصة ، للبقاء على قيد الحياة ، يجب أن تحافظ على مؤسساتها الخاصة وتروج بنشاط للثقافة اليهودية. كان اليهود في أوروبا الشرقية يتمتعون بثقافة شعبية يديشية مميزة يجب تشجيعها على التطور جنباً إلى جنب مع**

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص103.

**اليهودية التي عبرت عن نفسها باللغتين الروسية والعبرية... وأصر على أن العبرية وحدها كانت قادرة على الاعتماد على الماضي اليهودي برمته وكسبه لليهودية**[1].

ولهذا النص دلالات مهمة:

**أ- بدائل الأوطان ، يمكن لليهودي أن يكون وطنه البديل الحياة التي يكون محورها الجانب الروحي (العقدي) حتى وإن كان خارج صهيون حسب زعمهم، ويحدد بأن لكل مجموعة منهم احتياجات خاصة ليتمكن من البقاء على قيد الحياة.**

**ب-الأمن الثقافي والمؤسسات ، ضرورة أن تحافظ الجماعة اليهودية على مؤسساتها الخاصة وتروج بنشاط للثقافة اليهودية.**

**ج- البدائل الثقافية ، يؤكد على أحد البدائل المهمة التي يستعملها اليهود وهو الجانب الثقافي، ويجب الحفاظ على تطويره جنباً إلى جنب مع اليهودية التي عبرت عن نفسها باللغتين الروسية والعبرية.**

وكان أحد ها عام يخالف الرأي القائل بأن المسألة اليهودية يكمن حلها ضمن إطار الصهيونية السياسية، فهي في نظره مشكلة حضارية روحية أخلاقية. وقد جاء في خطاب ألقاه في الاجتماع العام للصهاينة الروس في مينسك سنة (1902) قوله: " **ليس من قبيل المصادفة أن مسألة الثقافة اليهودية قد ظهرت في المقدمة مع صعود الصهيونية السياسية. – الصهيونية – غير المؤهلة بأي لقب – كانت موجودة من قبل ، لكنها لم تكن تعرف شيئًا عن أي مشكلة ثقافية. لقد عرفت فقط هدفها الواضح والبسيط: وهو وضع الجنسية العبرية في ظروف جديدة، والتي ينبغي أن تمنحها إمكانية تطوير جميع جوانبها المختلفة. ولأن هذا هو هدف الصهاينة الأوائل، فإن**

---

(1) Robert M. Seltzer, Jewish People, Jewish Thought: The Jewish Experience In History, ( U S A, 1980 ), P.702.

**المقال الأول في برنامجهم كان بطبيعة الحال إنشاء مركز مستقل لجنسيتنا في أرض أجدادنا. لكنهم في نفس الوقت كانوا يراقبون كل جانب من جوانب حياة الجنسية العبرية كما هي موجودة في الوقت الحاضر، واستخدموا كل الوسائل المناسبة لتقويتها وتعزيز تطورها. مجتمع من الصهاينة في وارسو ، على سبيل المثال ، انخرط في وقت واحد في تأسيس مستعمرة في فلسطين ، ومدرسة من الطراز الحديث في وارسو ، وجمعية لنشر الأدب العبري. وهذا يعني أن هؤلاء الرجال اعتقدوا أنه من واجبهم الجمع بين العمل " السياسي" و " الثقافي" ، وكل هذا باسم الصهيونية أو ( احباء صهيون كما كانت تسمى آنذاك ). لم يعترض أحد على هذا المزيج. لم يطرح أحد السؤال عما إذا كان هذا العمل "الثقافي" صحيحًا أم خاطئًا ، أو إلزاميًا أو مسموحًا به. كان مفهوماً من جميع الجهات أن مفهوم الصهيونية يجب أن يشمل كل ما يأتي ضمن تعريف القومية العبرية. أي عمل من شأنه أن يساعد في تعزيز وتطوير الجنسية هو عمل صهيوني لا يقبل الشك "**[1].

وأضاف بموضع آخر مقترح ما نصه: " **بعد تحليل ومناقشات مطولة بشكل غير عادي ، اختتم باقتراح أن هناك صهاينة سياسيون لا أهمية لهم بالنسبة للجانب الروحي للحركة ، وعلى الطرف الآخر ، هناك صهاينة روحيون غير راضين عن العمل السياسي. في شكله الحالي ، يجب علينا إنشاء منظمة خاصة لهذا الغرض لاحتضان كل هؤلاء ، سواء أكانوا صهاينة أم لا، الذين يدركون أهمية الثقافة اليهودية ويرغبون في نموها وتطورها بحرية. يجب أن تركز هذه المنظمة حصرياً على مشكلة خاصة بها، ولا ينبغي أن تعتمد على المنظمة السياسية المصاحبة لها**"[2].

---

(1) Ahad Ha-Am, Selected essays, ( Philadelphia the Jewish Publication Society of America, 1912 ), P. 253-254.

(2) Hertzberg, The Zionist idea, p.52.

يؤكد ما أشار إليه أحد هاعام إلى ما يلي:

**أ- شمولية الصهيونية ، إن من واجبهم الجمع بين العمل السياسي والثقافي ، وكل هذا باسم الصهيونية.**

**ب- تعدد المفاهيم الصهيونية ، أن مفهوم الصهيونية يجب أن يشمل كل ما يأتي ضمن تعريف القومية اليهودية وليس السياسة أو الثقافة لوحدها.**

**ج- اليهودية والبديل الصهيوني ، أي عمل من شأنه أن يساعد في تعزيز وتطوير الجنسية ( اليهودية ) هو عمل صهيوني لا يقبل الشك.**

**د- مؤسسة لكل اليهود ، أشار بأنه عليهم إنشاء منظمة تحتضن جميع اليهود سواء أكانوا صهاينة أم لا.**

**هـ-عقائدية المشروع اليهودي ، وهو أنه لا يجب أن لا يعتمد على الجانب السياسي لوحده ولابد من اخذ الجانب الروحي ( الديني ) للحركة بعين الاعتبار ويجب مأسسته.**

عندما التقى هرتزل وأحد هاعام في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سنة (1897) ، لم يتحدثا مع بعضهما البعض بأي معنى ذي جدوى وانفصلا محبطين. **إن الصعوبة الكامنة في الاتصال بين هذين الموقفين يرمز إليها بشكل أكثر حدة من خلال تبادل الحديث الذي يقال إنه حدث بين أحد هاعام ونورداو ( Nordau ) ، زميل وتلميذ هرتزل ، سأل أحد هاعام: " لكن هل أنت صهيوني ؟ كانت إجابته واعية بفخر: " أنا صهيوني" ، مما يعني ، من خلال استخدامه الضمير ، هو الصهيونية الحقيقية "**[1].

وفي مناسبة أخرى افترض أحد هاعام تجاوزا أن الحركة الصهيونية قد بلغت هدفها وأن دولة يهودية أقيمت في فلسطين، وأن بمقدورها استيعاب موجة اثر أخرى من

(1) Hertzberg, The Zionist idea, p.51.

المهاجرين اليهود ، فتساءل فيما إذا كان إنشاء " **دولة يهودية** " كهذه يعد حلاً حقيقياً للمشكلة اليهودية بمجملها ؟ وهل يستطيع جميع اليهود في العالم – وكان عددهم آنذاك حوالي عشرة ملايين – أن يهاجروا فوراً إلى أرض إسرائيل كي يتخلصوا من معاناتهم الاقتصادية والروحية؟ كما افترض أحد هاعام من ناحية أخرى أن إقامة دولة يهودية لا يعني تجميعاً فورياً وشاملاً لليهود في المنفى ، بل سيعني في البداية الاقتصار على توطين جزء صغير من شعبنا في فلسطين وتساءل عندها عن كيفية حل المشكلة المادية للجماهير اليهودية في أراضي الشتات[1].

أما بالنسبة للمشكلة الروحية اليهودية فإنها – في رأي أحد هاعام تظهر في شكلين مختلفين مشكلة روحية شرقية أي خاصة بيهود أوروبا الشرقية، ومشكلة روحية غربية خاصة باليهود الغربيين. وتوصل أحد ها عام إلى أنه باستطاعة الصهيونية حل المشكلة اليهودية الغربية بصورة أسرع من حلها للمشكلة الشرقية. **وفي معرض تحليله لموقف اليهود الغربيين أشار أحد هاعام إلى أن هذه الفئة التي تركت حياة الجيتو بلغت مرحلة اليأس، إذ أنها كانت تشعر من ناحية بأنها أصبحت غير مقبولة لدى الشعوب التي كانت تعيش بين ظهرانيها، وتدرك من ناحية أخرى أن حياة الجيتو أصبحت لا تحقق آمالها بعد أن تعودت على حياة اجتماعية وثقافية وسياسية في مجتمعات " الأغيار". كما اتضح لأحد هاعام أن اليهود الغربيين بادروا إلى اعتناق الصهيونية لأن الإنسان اليهودي عندما لا يجد مكانه في المجتمعات الغربية ولا يستطيع من ناحية أخرى تحقيق رغباته في الجيتو، فهو يفكر تلقائياً في الدولة اليهودية التي يستطيع فيها أن يحقق الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي ينشدها** [2].

---

(1) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص105 ؛ Hertzberg, The Zionist idea, p.61

(2) محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي ، ص105-106.

تعد هذه المرحلة نقطة التحول لدى اليهود وهي الخروج من الجيتو إلى مشروع إقامة الكيان ( الدولة ). وهو بديل استراتيجي آخر لم يتم بوجوده ( الدولة ) التخلي عن الجيتو في حياة الشتات اليهودي.

**الاستنتاجات:**

**أ- بدائل المفاهيم ، في اختراع مفهوم الصهيونية والقومية كبديل لليهودية ولإخفائها والحفاظ على استمراريتها.**

**ب- إن الكثافة السكانية اليهودية في الاتحاد السوفييتي في القرن التاسع عشر قد اسهمت في تطور استمرارية اليهود ، وتطبيق استراتيجية البدائل الشاملة، السياسية ومسارات العمل الصهيوني بمختلف مجالاته.**

**ج- تطور الفكر الاستيطاني اليهودي من بديل فلسفة الجيتو إلى الانتشار ، وتكوين المستعمرات الاستيطانية.**

**د- البعد العقدي والتمسك به وممارسته في جميع مراحل تطور المشروع اليهودي وعلى مر الاجيال.**

**هـ-صناعة القومية اليهودية كبديل للدين للحفاظ على استمرارية اليهود كشعب وعقيدة وتاريخ من خلال اختراع العرق الواحد ، واستنساخ الخيار القومي اليهودي الذي انتشر في أوربا في الفترة نفسها بين المفكرين اليهود في روسيا وتبلورت طروحات التوطين ، وإقامة مشاريع الدول مثل ( بيروبيدجان ، القرم ، اوديسا التي تقع ضمن الرقعة الجغرافية لمملكة الخزر اليهودية ( المتهودة ).**

**و- البديل الثقافي ، إن أحد البدائل المهمة التي استخدمتها حركة البوند اليهودية وتركيزها على الجانب الثقافي والعمل على الحفاظ عليه ، وتطويره**

**جنباً إلى جنب مع اليهودية التي عبرت عن نفسها باللغتين اليديشية والعبرية.**

**ز- اختراع الانظمة الاقتصادية العالمية من خلال مشاركتهم في صناعة ، وادارة الثورة البلشفية في الاتحاد السوفييتي وأثره على استمرارية الوجود اليهودي ومشاريعه وكياناته في القرم وأوديسا وبيروبيدجان وفلسطين.**

# الفصل الثاني :

## الاتحاد السوفيتي وتنفيذ استراتيجية البدائل اليهودية

المبحث الأول: أصل يهود روسيا والاتحاد السوفييتي وأوضاعهم

المبحث الثاني: الاتحاد السوفييتي والبديل الأول اليهودي- مشروع جزيرة القرم

المبحث الثالث: الاتحاد السوفييتي والبديل اليهودي الثاني – مشروع أوديسا

## المبحث الأول: أصل يهود روسيا والاتحاد السوفييتي وأوضاعهم:

تشكل مملكة الخزر التي تهوَّدت في القرن الثامن الميلادي ، المصدر الرئيسي ليهود روسيا وجوارها مثل أوكرانيا وبيلاروسيا وسائر دول أوروبا الشرقية. وقبائل الخزر من أصل تركي ، زحفوا في القرن السابع الميلادي مخترقين جبال القفقاس إلى جنوبي روسيا ، مؤسسين مملكتهم على ضفاف قزوين المسمى يومها " بحر الخزر "[1].

ويؤكد ول ديورانت الأصل التركي ليهود الخزر بقوله: " **وكان الخزر من أصل تركي زحفوا في القرن السابع مخترقين جبال القفقاس إلى جنوبي روسيا، وأنشأوا مُلكاً منظماً امتد من نهر الدنيبر إلى بحر قزوين ( بحر الخزر ) ، وشيدوا عاصمة لهم في مدينة إيتيل ( Atil ) على مصب نهر الفولجا ( Volga ) بالقرب من مدينة استراخان الحاضرة، واعتنق ملكهم هو والطبقات العليا منهم الدين اليهودي وكانت تحيط بهم الدولتان المسيحية والإسلامية ، لكنهم فضلوا في أكبر الظن أن يغضبوا الدولتين بدرجة واحدة عن أن يغضبوا واحدة منهما غضباً يعرضهم للخطر**"[2].

وتقع بلاد الخزر إلى الخلف من مدينة باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد ذي القرنين[3]، ويحده من جهة الشرق بلاد خوارزم [4]، أما من الغرب فيحده

---

(1) اسعد السحمراني ، اسرائيل الأولى ( بيروبيجان) ، ( دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 1425هـ/2004م ) ، ص11.

(2) ويليام جيمس ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين ، ( دار الجيل، بيروت ، 1408هـ/1988م ) ، 14/200-201.

(3) الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ( ت 626هـ/1229م ) ، معجم البلدان ، ( دار صادر، بيروت ، ط2 ، 1995م ) ، 2/367.

(4) ابن جعفر ، قدامة أبو الفرج ( ت 337هـ/948م ) ، الخراج وصناعة الكتابة ، ( دار الرشيد للنشر ، بغداد، ط1، 1981م ) ، ص193.

اقليم برطاس وهم أمة من الترك تقع على النهر المسمى باسمهم " نهر برطاس "[1]، ومن جنوبها بلاد السرير وشمالها براذاس ووننذر[2]. وبذلك امتد سلطان هذه المملكة فيما بين نهري الأورال والدنبير ، والتي كان يحميها بحر الخزر من الشرق ، وجبال القوقاز من الجنوب ، وبحر بونتطس ( البحر الأسود ) من الغرب ، بل ليس أدل على امتداد سلطان الخزر في المنطقة من أنَّ بحر قزوين صار يعرف آنذاك باسمهم ، وأن نهر الفولغا وعاصمتهم صارا يحملان اسماً واحداً هو اتيل[3].

وكان اعتناق الخزر لليهودية وفق رواية المسعودي التي أشار فيها: " **وكان تهود ملك الخزر في خلافة هارون الرشيد وقد انضاف إليه خلق من اليهود وردوا عليه من سائر أمصار المسلمين ومن بلاد الروم ، وذلك ان ملك الروم في وقتنا هذا، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وهو أرمنوس ، نقل من كان في ملكه من اليهود الى دين النصرانية وأكرههم...**"[4]. ويرجح الكاتب اليهودي آرثر كوستلر أن اعتناق الخزر لليهودية كان في سنة (123هـ/740م) تحت حكم الملك بولان (Bulan)، وبلاطه والطبقة العسكرية الحاكمة الدين اليهودي ، وصارت اليهودية هي الدين الرسمي للدولة عند الخزر[5].

---

(1) المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي ( ت 346هـ/957م ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: يوسف البقاعي ، ( دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، د.ت ) ، 123/1 ؛ للمزيد عن برطاس ينظر: الحموي ، معجم ، 384/1-385.

(2) مجهول ( توفي: بعد 372هـ/982م ) ، حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تحقيق وترجمة: السيد يوسف الهادي ، ( الدار الثقافية ، القاهرة ، ط1 ، 1423هـ ) ، ص196.

(3) محمد ، طارق منصور ، الروس والمجتمع الدولي ( 945-1054 ) ، ( دار مصر العربية ، القاهرة ، ط1، 2001م ) ، ص183-184.

(4) المسعودي ، مروج الذهب ، 122/1.

(5) آرثر كوستلر، امبراطورية الخزر ، ص20.

وأضاف كوستلر قائلاً: " **لكن يجب أن نستدعي اهتمام القارئ إلى قضية الدين الرسمي لمملكة الخزر. لقد صار الدين اليهودي هو العقيدة المعترف بها لدى الطبقة الحاكمة في المجتمع. وليس ثمة حاجة إلى القول أن قبول الدين اليهودي كعقيدة رسمية لشعب وثني من عرق غير يهودي يمكن أن يكون موضوع لتأملات مثيرة. ومع ذلك سنقصر أنفسنا على ملاحظة أن هذا التحوُّل الرسمي يعد تحدياً للدعوة المسيحية البيزنطة ، وللنفوذ الإسلامي في الشرق ، ورغم الضغط السياسي لهاتين القوتين ، هذا التحول إلى دين لم يكن يلقى دعماً من أية قوة سياسية ، بل كان يقابل بتبرم من جميع القوى تقريباً ، هذا التحول قد باغت جميع المؤرخين المعنيين بالخزر ، ولا يمكن أن يعتبر أمراً عارضاً ، بل ينبغي النظر إليه باعتباره دلالة على السياسة المستقلة التي تنتهجها هذه المملكة** "[1].

وهنا لابد من التوقف عند النص أعلاه ، فكوستلر ، **يؤكد بأن الخزر لا علاقة لهم بالساميين وأنهم من عرق غير يهودي ، أما أمر تعرض الديانة اليهودية للاضطهاد من قبل الجميع غير دقيق ، وذلك هو ديدن اليهود عندما يكتبون ، ويحتاج إلى اعادة النظر فيه ، ففي العالم الاسلامي لم يتم مطلقاً أي عملية اضطهاد لا لليهودية ولا غيرها ، على العكس مما كان يجري في العالم الغربي إذ كان الاضطهاد عملياً يشمل كل من يخالف ديانتهم وهو أمر لا يحتاج إلى دليل فالتاريخ والواقع الحالي يشهد على ذلك.**

ويتسأل كوستلر بقوله:

" **الأمر الذي يتركنا في حيرة من أمرنا أكثر من ذي قبل. رغم اختلاف المصادر في التفاصيل الصغيرة ، إلا أنَّ الحقائق الرئيسية لا جدال فيها. لكن محل**

(1) امبراطورية الخزر ، ص20.

**الخلاف هو مصير اليهود الخزر بعد تدمير إمبراطوريتهم في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر. فالمصادر شحيحة حول هذه المشكلة ، لكنها ذكرت العديد من مستوطنات الخزر في أواخر العصور الوسطى في شبه جزيرة القرم وأوكرانيا والمجر وبولندا وليتوانيا. وتكسف الصورة العامة من المعلومات هي صورة هجرة قبائل وجماعات الخزر إلى تلك المناطق من أوروبا الشرقية – بشكل أساسي روسيا وبولندا – إذ وجدت فيهما أكبر تجمعات اليهود فجر العصر الحديث. وهذا ما دعا مؤرخين كُثر إلى القول بأن نسبة كبيرة وربما غالبية اليهود في شرق أوروبا – وبالتالي يهود العالم – قد يكونون من الخزر ، وليس من أصل سامي ، وإذا كان الأمر كذلك ، فهذا يعني أن أسلافهم لم يأتوا من الأردن بل من من نهر الفولغا ولكن من القوقاز مهد العرق الآري ، وأنهم أكثر ارتباطاً وراثياً بقبائل الهون وأويغور ( Uigur ) والمجر أكثر من ارتباطهم بنسل أبراهيم وإسحاق ويعقوب "** [1].

وأشار بنيامين فريدمان بخصوص ذلك في قوله: " **إنَّ من يزعمون أنفسهم يهوداً ، المتحدرين تاريخياً من سلالة الخزر ، يشكلون أكثر من ( 92% ) بالمائة من جميع من يسمّون أنفسهم يهوداً في كل مكان من العالم اليوم. والخزر الآسيويون الذين أنشأوا مملكة الخزر في أوروبا الشرقية ، أصبحوا يسمون أنفسهم يهوداً بالتحول والاعتناق سنة (720م)، وهؤلاء لم تطأ أقدام أجدادهم قط الأرض المقدسة في تاريخ العهد القديم حقيقة لا تقبل جدلاً. يؤيد أكثر مشاهير العالم**

---

(1) Arthur Koestler, The Thirteenth Tribe the Khazar Empire and its Heritage, ( The Anchor, Printed in Great Britain, Second impression, 1976), p.16-17 ;

كوستلر، امبراطورية الخزر ، ص21.

**وعلماء علم الانسان وعلماء الآثار وعلماء اللاهوت والمؤرخون والعلماء عامة في كل حقل من حقول البحث العلمي. المختصون بموضوع خزر أمس ويهود اليوم. المراجع والاسانيد التي تبرهن بدون أي شك عن حقائق وأرقام تظهر ما وراء هذه المسألة ، مؤكدةً على أنَّ ما لا يقل عن ( 92% ) بالمائة من جميع من يزعمون أنفسهم يهودا في العالم اليوم. يتحدرون ممن عرفوا بيهود السلالة الخزرية تاريخياً"**[1].

ولا بد الاشارة إلى أن تاريخ تهود الخزر الذي أشار إليه فريدمان يختلف عما ورد في المصادر العربية أو اليهودية ، والمشهور منها تم تحديده اعتماداً على المناظرة أشار إليها يهودا بن صموئيل هليفي اللاوي[2]، **والتي قيل أنها تمت في بلاد الخزر قبل أربعمائة سنة ، وتحديداً في سنة (123هـ/740م) ، وكان الذين شاركوا في تلك المناظرة هم الملك الخزري وآخرون ، ولم يعتنِ المؤلف بتوسيع نطاق الحدث فلقد تركز اهتمامه على الأمور اللاهوتية وليس التاريخية ، ولكنه عد تحول الملك إلى اليهودية في هذا التاريخ بمثابة حقيقة تاريخية**[3].

---

(1) يهود اليوم ليسوا يهوداً ، ص44-45.

(2) ابو الحسن يهودا بن صموئيل هليفي اللاوي (468-536هـ/1075-1141م) ، ولد في مدينة طليطلة ، اشتهر كشاعر وفيلسوف ، وفي سنة (503هـ/1109م) انتقل إلى قرطبة ، خرج من الأندلس إلى الشرق بيت المقدس الذي كان في قبضة الصليبيين حينذاك ، وزار مصر والشام ولكنه توفي قبل أن يصل إلى بيت المقدس سنة (536هـ/1141م). للمزيد ينظر: حمزة ، سامية السيد ، العرب في الشعر العبري في الاندلس ، ( دار النابغة ، طنطا ، ط1 ، 1438هـ/2017م ) ، ص42 هامش4 ؛ شعشوع ، سليم ، العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي ، ( مطبعة دار الشرق ، فلسطين ، ط2 ، 1990م ) ، ص27-42.

(3) اللاوي ، ابو الحسن يهودا بن صموئيل (536هـ/1141م) ، الكتاب الخزري ، ترجمة وتحقيق: نبيه بشير، (منشورات الجمل ، بيروت ، ط1 ، 2012م ) ، ص151.

أما في المصادر الاسلامية فقد كان تاريخ تهود الخزر في خلافة هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) [1]. وعلق دنلوب على تحديد تاريخ تهود الخزر، بقوله: **وفي ضوء جميع الأدلة لا يوجد أدنى شك بالنسبة لحقيقة تهود الخزر، إنما لا ندري مدى عمق إيمانهم بها ، ولا نعرف أيضاً درجه تـ عن الوصول إلى الحاخامية الكاملة، علماً بأننا لا ترغب في الإصرار على القول: إن التحول الرسمي قد تم حوالي سنة (740م)**[2].

أما عن اوضاع اليهود في روسيا فإن يهود مملكة الخزر ، الذين انتشروا في أوروبا الشرقية لاسيما روسيا ، تعاطوا كعادتهم لجهة الانعزال وإنشاء " الجيتوات " التي كانت مغلقة عليهم حصراً ، وكانوا يسعون للمحافظة على لغتهم اليديشية[3] – التي فيها

---

(1) المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي ( ت 346هـ957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: يوسف البقاعي ، ( دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، د.ت )، 122/1؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ( ت 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، ( دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1992م ) ، 1/ 263 ؛ شيخ الربوة ، محمد أبي طالب الانصاري الدمشقي (ت654هـ/1256م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق: أ. مهرن ، ( دار ومكتبة بيبليون ، جبيل ، لبنان ، 2008م ) ، 263.

(2) د.م. دنلوب ، تاريخ يهود الحزر ، ترجمة: سهيل زكار ، ( دار قتيبة ، دمشق ، ط1 ، 2005)، 185.

(3) اللغة اليديشية ، هي اللغة المستخدمة من قبل اليهود الأشكناز على مدى الألف سنة الماضية. وكانت اللغة التقليدية – للمهاجرين من يهود الخزر– الأشكناز هي اللغة اليديشيَّة ( وهي لغة جرمانية مع عناصر من اللغة العبرية والآرامية ) ، وضعت بعد أن انتقلوا إلى شمال أوروبا: بداية من ألمانيا وفرنسا في العصور الوسطى. لعدة قرون إذ إنهم استخدموا العبرية كلغة مقدسة فقط ، حتى إحياء العبرية كلغة مشتركة في إسرائيل. طوال فترة وجودهم في أوروبا، قدم الأشكناز العديد من الاسهامات المهمة في الفلسفة، والأبحاث، والأدب، والفن، والموسيقى والعلوم. وقد حقق المجتمع الذي استخدمها أحد أعلى مستويات الاستقلال الثقافي في التاريخ= =اليهودي. وكانت كذلك الوسيلة التي لا جدال=

جذور ألمانية – وعلى ثقافتهم التلمودية ، وفي كل ذلك ينطلقون من ادعاء مكانة " الشعب المختار " ويتصرفون باستعلاء مع الناس جميعاً من غير يهود ، وهذه الرؤية الاستعلائية جعلتهم يرفضون الاندماج في النسيج الاجتماعي في أماكن إقامتهم وهذا شأنهم في كل مكان أقاموا فيه حتى يومنا هذا ، كما إنهم رفضوا العمل في الزراعة، وهي المورد الأساس في روسيا يومئذ ، وأصروا على البقاء في المدن ، ليعملوا في المال ( الصيرفة ) والتجارة والإعلام وما شابه ذلك[1].

## ❖ اعادة تموضع اليهود والانتشار ( بدائل التوطين ):

حصلت في روسيا القيصرية تطورات مهمة جدا في عهد كاثرين الثانية ( Catherine II) (1762–1796) منها ذلك الاتساع الكبير الذي نالته الدولة نتيجة استيلائها على أراضي إضافية من الدولة العثمانية بسبب حربين كبيرتين جرت الأولى في (1768–1774م) واستغرقت الثانية المدة من سنة (1787م) إلى سنة (1792م)،

---

=فيها تقريباً للتواصل الشفوي بين اليهود من هولندا إلى أوكرانيا ، وقد اختفى الاستخدام العام لليديشية فعلياً في أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى في بعض المناطق...وأقدمت حكومة الاتحاد السوفياتي السابق بإغلاق المدارس والمؤسسات الأخرى في الثلاثينيات ، وتصفية الأدب والصحافة والمسرح في سنة (1949م) ، مع انتعاش محدود في فترة ما بعد ستالين. ومع ذلك بقيت منتشرة بين اليهود الأشكناز متعددي اللغات أمراً تقليدياً في كل مكان ، ولا تزال معرفة اللغة اليديشية على الأقل كلغة ثانية واسعة الانتشار. للمزيد ينظر:

Encyclopedia Judaica, ( Thomson, USA, 2 EDITION, 2007 ), VOL.21. p.322–338 ; T. C. W. Blanning (ed.), The Oxford History of Modern Europe, ( Oxford University Press, 2000 ), pp. 146–48 ; Glenda Abramson (ed) Encyclopedia of Modern Jewish culture, Vol. 1, ( London and New York, 2006 ) ; Jean Baumgaryen, Introduction to Old Yiddish Literature, ( Oxford, 2005 ).

(1) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص14.

ونتيجة لاتساع روسيا القيصرية بسبب تلك الأراضي التي استولت عليها واطلق عليها اسم روسيا الجديدة ، ونتيجة لما حصلت عليه من أقاليم نتيجة لاقتسامها الدولة البولندية مع النمسا وبروسيا[1]، وبعد التقسيم الأول لبولندا سنة (1772م) ، عندما كانت الجماهير من اليهود الذين يعيشون داخل الدولة السابقة خضعوا لحكم الروس، وتقرر سنة (1791م ) السماح بوجود اليهود ليس في مناطق إقامتهم السابقة وحسب، بل أيضاً في مناطق جديدة تم ضمها بعد ذلك من تركيا على شاطئ البحر الأسود، الذي كانت الحكومة الروسية مهتمة باستعماره السريع، ومن ناحية أخرى فإن التجار اليهود كانوا ممنوعين من التجارة في المقاطعات الداخلية لروسيا إذ تهدف هذه السياسة إلى خدمة المصالح الوطنية والاقتصادية للدولة من خلال منع المنافسة بين أي تاجر يهودي مع التجار الروس ، وتشجيع الاستيطان في سهول جنوب روسيا المقفرة بعد مدة من الزمن شكل هؤلاء مقاطعات خرسون ( Kherson ) ، ودنيبروبيتروفسك ( Dnepropetrovsk ) ، وتوريدا (القرم)[2].

وسعت الحكومة الروسية للحد من حركة اليهود في مختلف انواع التجارة وتقييدها داخل الأراضي التي ألحقت من بولندا. وفي سنة (1794م) تم التصديق على المرسوم السابق الذي يقضي بمنع تجارة اليهود وتطبيقه في المناطق التي تم ضمها بالقسم الثاني من بولندا (1793م) اضافة مقاطعات مينسك ( Minsk ) ، وفولينيا ( Volhynia ) ، وبودوليا ( Podolia ) وكذلك إلى المنطقة الواقعة إلى الشرق من

(1) هاشم صالح التكريتي ، اليهود في روسيا القيصرية ، ( دار الجواهري ، بغداد ، 2013 ) ، ص39.

(2) التكريتي ، اليهود في روسيا القيصرية ، ص39.

النهـــر دنيبـــر ( Dnieper ) مقاطعـــات تشـــرنيغوف (Chernigov) وبولتافـــا (Poltava)[1].

وعندما حصل التقسيم الثالث لبولندا سنة (1795م) سعى الروس إلى تطبيق سياستهم في منع اليهود من التجارة أيضاً، وقد سرت هذه السياسة على مقاطعات فيلنا ( Vilna ) وغرودنـو (Grodno) [2]، وكـان مـن نتيجـة ذلـك أن انتقلـت لتوانيـا وبيلاروسيا وأوكرانيا وبعض المناطق البولندية الأخرى إلى روسيا وأصبح سكان هذه المناطق من رعايا روسيا ، وكان من بينهم ما يقرب من مليون يهودي يعملون في التجارة والحرف المرتبطة بالإقطاعيين. وقد شكل هؤلاء فئة اجتماعية متميزة تحتل موقعاً وسطاً بين الأرستقراطية وملاك الأراضي من جهة ، وجماهير الفلاحين المستعبدين من جهة أخرى. وكان بعضهم يكسب رزقه من استثمار الأرض أو الطواحين والحانات والخانات، وبعضهم كان من التجار وأصحاب الحوانيت أو باعة متجولين ، أو حرفيين يشتغلون لحساب ملّاك الأراضي[3].

وحينئذ ساء الوضع الاقتصادي لليهود بعد حصرهم في حظيرة التوطن ولا سيما بعد أن تزايد عددهم نتيجة للتقسيمين الثاني والثالث لبولندا ، الأمر الذي أدى إلى زيادة نسبة الفقر بينهم وأسهمت الدولة الروسية في التضييق على التجار منهم ففي مرسوم صدر في حزيران/ يونيو سنة (1794م) فرضت من خلاله بأنه على من يرغب من اليهود بتسجيل نفسه في طبقة التجار أو سكان المدن أن يدفع ضعف الضريبة

(1) Encyclopedia Judaica, VOL.15. p.577.

(2) Encyclopedia Judaica, VOL.15. p.577.

(3) التكريتي ، اليهود في روسيا ، ص39-40.

المفروضة على سكان المدن والتجار المسيحيين[1]. ومع إن الهدف من هذا المرسوم كان الحصول على مورد إضافي للخزينة من جهة، ودفع اليهود للانتقال للسكن في روسيا الجديدة من جهة اخرى ، إلا أنَّ ذلك لا ينفي أنَّ هناك تمييزا مناوئاً لليهود كانت تمارسه الحكومة القيصرية آنذاك. ويبدو ذلك جلياً من التقييد الذي فرضته عليهم في الجانب الحقوقي ، فقد عدّتهم من الرعايا ، وهؤلاء كانوا في روسيا في ذلك الوقت يشملون الفلاحين والطبقة الوسطى الدنيا والحرفيين والتجار ، ولم يكن لهم الحق في التنقل والسكن في أي مكان ، بل كان كلٌ واحدٍ منهم منتسباً إلى جمعية محلية معينة ، ولا يستطيع العمل إلا في المحل الذي خُصص له[2].

وفي سنة ( 1799م ) تمت إضافة كورلاند ( Courland ) إلى قائمة التوطين، وفي "**النظام الأساسي اليهودي**" الصادر سنة (1804م) ، أضيفت مقاطعة أستراخان (Astrakhan) وأضيف شمال القوقاز إلى المناطق المتاحة لليهود في سنة (1812م) وبعد الحاقها ، اضيفت بيسارابيا ( Bessarabia ). أما مملكة بولندا المنظمة لروسيا سنة (1815م) ، والتي شملت عشرة اقاليم والتي عرفت فيما بعد بمنطقة فيستولا ( Vistula Region ) ، فلم يتم ضمها رسمياً في وثيقة التوطين ، إذ كان القانون يمنع انتقال اليهود منها الى المناطق الليتوانية والأوكرانية حتى سنة

(1) Simon M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland from the earliest times until the present day, ( Varda book, U. S. A, 2001 ), vol.1, p.318.

(2) Andrey L. Diky, Jews in Russia and the Ussr, Historical Sketch ( Paperback , New York, 1967 ), p.48-49 ؛ التكريتي ، اليهود في روسيا القيصرية ، ص46.

(1868م) ، ولكن على ارض الواقع كانت اقاليم ( منطقة فيستولا ) ضمن قائمة التوطين[1].

## ❖ التوزيع الاستيطاني القانوني ( الدستور اليهودي ):

وعندما اعتلى القيصر الكسندر الأول ( Alexander I ) (1801-1825) العرش الروسي، عمل على إلغاء إجراءات كان قد اتخذها القياصرة الروس قبله منذ سنة (1772م) ، وتقضي بالتضييق على اليهود وتحديد مكان إقامتهم ، أو جهة الاشتراك في الشأن العام والوظائف[2]. وقد شكّل الكسندر الأول لجنة سميت " **مجلس الشؤون اليهودية** " ، وقدمت اللجنة اليهودية إلى الإسكندر الأول في تشرين الأول/ أكتوبر سنة (1804م) ، تقريراً لم يكشف عن أي أثر لتلك الليبرالية الراديكالية التي ظهرت في محضر اللجنة. يبدأ التقرير بتحديد الحجم التقريبي للسكان اليهود ، بحساب عدد الذكور المسجلين الخاضعين للضريبة عند (174.385) وهو رقم يمثل أقل من خُمس إجمالي السكان اليهود. وبعبارة أخرى ، فإن العدد الإجمالي لليهود في تقدير اللجنة اقترب من المليون. ويقدم التقرير إشارة إلى أن هذه الكتلة بأكملها متجمعة معاً في المقاطعات البولندية والليتوانية وفي روسيا الصغيرة وكورلاند ، ومنعت من دخول الحكومات الداخلية ، وتلاه بيان فيه استعراض تاريخي يهدف إلى إظهار أنه " لم يُسمح أبدًا لليهود بالاستقرار في روسيا "[3].

---

(1) Encyclopedia Judaica, VOL.15. p.577.

(2) Dubnow, S. M, History of the Jews in Russia and Poland vol. 1, p.306-307.

(3) Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.1, p.341.

وصاغت تلك اللجنة قانوناً صدر بموافقة القيصر ، وبعد مدة وجيزة في (9 كانون الأول 1804م) عرف بـ " **الدستور اليهودي** " ، وهو مزيج من الحريات والمعوقات ، كما هو مذكور في الديباجة ، " **من خلال الاهتمام بالصالح الحقيقي لليهود** " ، وكذلك من أجل " **تمييز السكان الأصليين لتلك الحكومات التي يمكن أن تسمح لهؤلاء الناس بالعيش فيها** ". **وحدد الجزء الختامي الطريقة التي يتم بها حل مسألة منطقة الاستيطان اليهودية. وسمح لليهود بالعيش في ثلاث عشرة حكومة (مقاطعة): اثنتان في ليتوانيا ، واثنتان في روسيا البيضاء ، واثنتان في روسيا الصغيرة ( أراضي أوكرانيا الحديثة ) ، وحكومات مينسك وفولينيا وكييف وبودوليا ، وأخيراً ثلاث في روسيا الجديدة.** تم التنازل عن مساحة أكبر قليلاً من قبل وفق القانون الجديد لفئة المزارعين اليهود المستقبلية المتوقعة في القانون نفسه. ويسمح لهم بالاستقرار بالإضافة إلى منطقتين داخليتين هما أستراخان والقوقاز. أما من الناحية الاقتصادية ، يؤسس القانون الجديد قطبين متعاكسين: قطب سلبي فيما يتعلق بالمهن الريفية المتمثلة في الحفظ وحيازة الأراضي ، والتي يجب القضاء عليها ، وقطب إيجابي فيما يتعلق بالزراعة ، والتي على العكس من ذلك يتم تحفيزها وتشجيعها بين اليهود بكل الطرق الممكنة [1].

## ❖ تطور الاستيطان اليهودي في روسيا:

وكان مرسوم القيصر الإسكندر الأول الذي صدر في سنة (1804م) ، الذي ينظم وضع اليهود ، يمثل المحاولة الأولى لإعادة توطينهم في الزراعة ، حيث لم يشاركوا فيها عملياً في أي مكان منذ العصور الوسطى. وبموجب هذا المرسوم ، **مُنعوا من السكن في القرى أو ممارسة تجارة الخمور، إذ كانت في ذلك الوقت تجارتهم**

(1) Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.1, p.342.

**الرئيسية في داخل المستوطنة اليهودية فحسب، وسمح لهم بشراء أو زراعة الأراضي في مستعمرات يهودية خاصة، خارج القرى الموجودة. علاوة على ذلك، تم منح أراضي الدولة لهم في ما يسمى بروسيا الجديدة – محافظتا خرسون ويكاترينوسلاف – ذات الكثافة السكانية المنخفضة اللتين كانتا قد وضعتا للتو تحت إدارة نظامية**[1].

بعد انتصار ألكسندر الأول في مقاومته لحملة نابليون بونابورت على روسيا سنة (1812م) ، خاطب حكام أوروبا قائلاً: " **على حكام أوروبا ألا يضعوا ثقتهم في قوة جيوشهم ، بل في متانة إيمانهم ودينهم** ". وهكذا توصل ألكسندر إلى اتفاق التزم بموجبه حكام أوروبا بأن يحكموا رعاياهم بوحي روح المسيحية ، وأن توجههم مبادئ العدالة والمحبة والسلام ، وقد وُقِع اتفاق بينهم ، عرف بالحلف المقدس ، وكان أطراف هذا الحلف كل من ألكسندر الأول، وفردريك وليم الثالث (Friedrich Wilhelm III) ملك بروسيا ، وفرانسيس الأول ( Francis I ) إمبراطور النمسا ، وكان ذلك في (29 ايلول/سبتمبر 1815م). وكان ألكسندر يعلن دوما بأن المسيحية واحدة في كنيستيها الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الغربية ، وكل هذه المواقف كانت تزيد من حقد اليهود عليه ، إذ تآمروا عليه وسعوا لاغتياله ، وكان لهم ذلك من خلال السم الذي وضعوه له في طعام تناوله في كنيس لهم ، بعد دعوة وجهوها له ، وقضى نحبه في (1 كانون الاول/ديسمبر 1825م). إنَّ كل تسامح ألكسندر الأول مع اليهود لم ينجه من

(1) Ruppin, Arthur, The Jews In The Modern World, ( London, 1934 ), p.159.

غدرهم ، فقد فتح لهم أبواب المدارس الحكومية العلمانية ، وقدم مساعدات للمصانع التي تقوم باستقبال عمال حرفيين يهود ، وطالبهم بعدم تمييز أنفسهم بلباس خاص[1].

**وثمة بعض الملحوظات التي ينبغي ذكرها وهي:**

**أ- الاغتيال القيادي ، إن ما جرى من أحداث في زمن ألكسندر الأول لليهود في روسيا لم ينحصر بالجانب الاقتصادي فحسب ، بل كان العامل الديني محركاً في كثير من الأحداث وخير مثال على ذلك ما ورد في خطاب ألكسندر لملوك أوروبا بأن قوتهم ليست بجيوشهم وإنما بمتانة إيمانهم ودينهم.**

**ب-حقد اليهود على المسيحية ، إن إعلان ألكسندر بأن المسيحية واحدة في كنيستيها الأرثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الغربية ، زاد من حقد اليهود عليه وهو دافع ديني ، لاغتياله عند اليهود.**

**ج- شمولية الدراسات ، هناك كثيرٌ من الباحثين يناقشون الموقف من اليهود وتاريخهم موجهين جهدهم على الجانب المادي دون غيره ، وهذا أمر غير صحيح بل ينبغي النظر إلى تاريخ اليهود بجوانبه الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بغية التوصل إلى رؤية واضحة وشمولية عن اليهود.**

**د- غدر اليهود ، أثبت موقف اليهود من ألكسندر الأول الذي كان متسامحاً معهم أنه لا عهد لهم ولا أمان، فاغتالوه في دار عبادتهم بعد دعوته.**

**هـ-تعدد المستوطنات ، تعددية مواطن التموضع اليهودي وتقنين المستعمرات اليهودية وانتشارها في اقاليم روسية عدة.**

---

(1) للمزيد ينظر: Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.1, p.335-413 ; Tim Chpman, Imperial Russia1801-1905, ( Routledge, London, 2001 ), p.12-44.

### ❖ استمرار حركة التوطين اليهودي:

واستمرت محاولات توطين اليهود في بروسيا الجديدة , من قبل الحكومة الروسية التي كانت تأمل في توطين ( 60 ) ألف أسرة يهودية هناك ، وكانت تعمل حتى ذلك الوقت في تجارة الخمور وحرمت من سبل عيشها ، ولكن بحلول سنة (1815م) ، كانت المستعمرات التسع ، التي تأسست منذ سنة (1804م) – وكلها في خرسون – تتألف من ( 600 ) عائلة فقط ويبلغ مجموع سكانها ( 3852 )[1].

إن تحول الكسندر الأول في السنوات العشر الأخيرة من حكمه إلى انتهاج سياسة رجعية[2]، انعكس سلباً على اوضاع اليهود في روسيا فاستؤنفت في سنة (1822م) عمليات ترحيلهم ولاسيما من المناطق الجنوبية حيث انتشرت بين الناس هناك ممارسات بها شبه باليهودية الامر الذي استثار القيصر فعمد إلى استئصال هؤلاء ونفيهم إلى القفقاس وسيبيريا ومنع اليهود من العيش في المناطق التي انتشرت فيها تلك الممارسات كذلك منع اليهود من الاقامة في "المستوطنات العسكرية" التي اقامها الكسندر الأول على طول الحدود الغربية لروسيا ومن السكن في الموانئ التي تؤلف قواعد للبحرية الروسية. وفي سنة (1824م) أي في السنة الاخيرة من حكم الكسندر الأول اصدر هذا القيصر أوامره بترحيل اليهود على من منطقة تؤلف امتداداً من الأرض عرضه خمسون فرستا ( 53كم ) مع طول الحدود الغربية باستثناء المقيمين في القرى والمستوطنات الصغيرة [3].

---

(1) Ruppin, The Jews In The Modern World, p.159.

(2) هاشم صالح التكريتي ، روسيا ( 1700–1914 ) ، ( بغداد ، د.ت ) ، ص77.

(3) التكريتي ، اليهود في روسيا ، ص54 ؛ Abram Leon Sachar, A history of the Jews, Publisher Knopf, New York, 1967 ), p.313. (

استأنفت الحكومة الروسية ، بقيادة القيصر نيكولاس الأول ( Nicholas I ) (1825– 1855م) ، سياسة توطين اليهود ، وبمبادرته ، بين سنتي (1835 و 1850م) ، **تم إنشاء ثمان وعشرين مستعمرة يهودية جديدة في جنوب روسيا. وتم تقديم حافز خاص يتمثل في اعفاء المُستعمرين من الخدمة العسكرية ، والتي امتدت في ذلك الوقت لأكثر من خمسة وعشرين عاماً، فهاجرت مجموعات من اليهود من ليتوانيا وبولندا إلى جنوب روسيا للعمل في الزراعة**[1].

**وفي سنة (1826م) أوعز نيكولاس الأول لوزرائه بصياغة قانون خاص للخدمة العسكرية لليهود ، يهدف إلى شمول المنطقة الغربية من روسيا** ، وتم إرسال المسودة إليه إلى وارسو للحصول على مزيد من الاقتراحات والموافقة عليه ، إلا أنَّ السيناتور نيكولاس نوفوسيلتزيف ( Nicholas Novosiltzev ). كرجل دولة متمرس ، أدرك المخاطر الجسيمة التي ينطوي عليها المخطط الإمبراطوري. **وقدم مذكرة ناقش القانون وبصورة مقنعة بأن فرض الخدمة العسكرية بصورة مفاجئة على اليهود ستتسبب ذلك في إثارتهم ومن الواضح أن نوفوسيلتزيف كان يمتلك خبرة جيدة بالحالة الذهنية للجماهير اليهودية**... ولا يُتوقع بأن اليهود في تلك المنطقة يقبلوا بأداء الخدمة العسكرية لمدة خمسة وعشرين عاماً. فتلك المدة بحسب وجهة نظرهم كفيلة بأن يفقد الأبناء إيمان أجدادهم ، وتفصلهم عن لغتهم الأم وعاداتهم ، وتلقي بهم في بيئة غريبة ، وغالباً ما تكون معادية ... وقد بذل اليهود كل ما باستطاعتهم لإلغاء القانون. وسافر ممثلوهم إلى سانت بطرسبرغ ووارسو لأجل ذلك ، ودخلوا في مفاوضات مع المسؤولين والشخصيات المتنفذة. **وترددت شائعات عن تقديم رشاوى ضخمة إلى نوفوسيلتزيف وللعديد من كبار المسؤولين في سانت بطرسبرغ بغرض الحصول على تعاونهم. لكن تدخل كبار الشخصيات لم يثني القيصر عن قراره ، وانزعج من**

(1) Ruppin, The Jews In The Modern World, p.160.

**الإجراءات الرسمية التي أعاقت إقرار القانون. وبدون انتظار لمذكرة نوفوسيلتزيف ، توجه وزير الداخلية ورئيس هيئة الأركان العامة إلى نيكولاس الأول للتوقيع على القانون الخدمة العسكرية لشمول اليهود به ، وتم التوقيع على التشريع في (26 أب/ أغسطس 1827م)**[1].

**وفرض نيكولاس الأول عليهم ارسال أولادهم إلى المدارس الحكومية لينشأوا على قاعدة الاندماج بالمجتمع ، وكي يزيل من أذهانهم مزاعم مفادها أن أبواب المجتمع الروسي مسدودة أمامهم.** لكن إلزامية دخول المدارس الحكومية لأطفال يهود، وعدم تطبيق ذلك على الأطفال الروس كان له مردود سلبي ، إذ تقدم اليهود علمياً على حساب أبناء المجتمع الروسي ، وقد فرض نقولا الأول رقابة على كتبهم ، ومنعهم من استخدم اليديشية – لغتهم الخاصة – في الأعمال التجارية وسائر النشاطات الثقافية ، وقد أدرك القيصر بأن الثقافة التلمودية قد أشبعت نفوس اليهود بالاستعلاء والميل إلى الانعزال[2].

تم تخفيف قوانين نيكولاس المعادية لليهود بشكل كبير. ألغى القيصر تعليمات والده السرية بمنع اليهود من تولي مناصب حكومية. لم يجرؤ الإسكندر على اخراج جميع اليهود من حضائر التوطن الخاصة بهم. لكن التجار اليهود من النقابة الأولى والحرفيين ، واليهود الحاصلين على درجات علمية ، والجنود اليهود الذين خدموا الخمسة وعشرين عاماً المطلوبة في جيش نيقولاس، تم منحهم الإذن بالعيش خارج منطقة البادية[3]. وبذلك يكون الأكثر تسامحاً من بين القياصرة الروس الذين سبقوه.

---

(1) Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.2, p.16-17.

(2) Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.2, p.41.

(3) Edvard Radzinsky, Alexander II: The Last Great Tsar, ( Simon & Schuster, New York, 2005 ), p.150.

### ❖ التسامح الروسي مع اليهود:

وفي سنة (1835م) صدر قانون جديد بشأن اليهود عرف باسم " **الأنظمة اليهودية** " تضمن قيودا جديدة فرضت على اليهود منها: إنّه قَلَّص مساحة حظيرة التوطن اليهودية ، وفرض عقوبات قاسية على من يغادر روسيا منهم دون اذن من السلطات ، ونص على اسقاط جنسيتهم ومنعهم من العودة إلى البلاد ، كما فرض على اليهود أن يختاروا القابا لعوائلهم ويسجلوها لدى الدولة ، ومنعهم من الزواج دون سن الثالثة عشرة للذكور ، والسادسة عشرة للنساء ، ولم يسمح لهم باتخاذ خَدم من المسيحيين ، بينما حدد القانون التكميلي لسنة (1836م) المعدل ، باستثناء مدينة فيلنا إذ كان اليهود منفصلين تماماً من الحكم الذاتي المحلي. وعدم جواز بناء المعابد اليهودية بالقرب من الكنائس. وتكون المدارس الروسية من جميع الصفوف مفتوحة للأطفال اليهود ، وليسوا مجبرين على تغيير دينهم. غير أن هذا القانون لم يشتمل ، كما هو حال القوانين الأخرى ، على بند يقضي بترحيل اليهود من القرى[1].

وبحلول سنة (1845م) ، تم توطين (1661) عائلة ، بإجمالي (12.779) شخصاً في تلك المستعمرات. وكذلك في أجزاء أخرى من ستولنت ، في ليتوانيا ، وبولندا ، وشمال أوكرانيا، وبيسارابيا ، واستخدم اليهود حقهم في شراء الأرض والانخراط في الزراعة في مزارع متناثرة أو في مستوطنات يهودية خاصة. يذكر أنه في بولندا في سنة (1859م) ، كان عدد اليهود العاملين في الزراعة (27.971) شخصاً. استمر موقف الحكومة الروسية لصالح الاستعمار الزراعي اليهودي حتى الستينيات ، عندما تم عكس السياسة. في سنة (1866م) تم إيقاف استيطان اليهود في المستعمرات الزراعية في سنة (1872م) ، وتم مصادرة (30.000) ألف هكتار من أصل (70.000) ألف

(1) Dubnow, History of the Jews in Russia, vol.2, p.39-41.

هكتار من أراضي الدولة التي خصصت لهم في ليتوانيا وأوكرانيا بحجة أن الأرض لم تتم زراعتها بشكل صحيح ، وفي سنة (1882م) قامت الحكومة بوضع حد لجميع التوترات الإضافية التي نتجت عن إنشاء مستعمرات يهودية ، إذ عارضت استئجار أو شراء الأراضي من قبل اليهود. ووفقاً للإحصاء الروسي لسنة (1897م) ، كان (40.611) يهودياً يعملون في الزراعة ، بنسبة ( 2.67% ) من مجموع (1.530.307) من اليهود الذين يعملون في المهن المربحة ، بلغ عدد اليهود الذين يكسبون رزقهم الزراعة ( 192.721 ) ، أي ( 3.81% ) في المائة من السكان اليهود[1].

ويستشف مما ذكر أعلاه ما يلي:

أ- **الاستمرار في عمليات توطين اليهود في مناطق متفرقة من روسيا ، وعمد اليهود إلى شراء أرض وإقامة مستوطنات خاصة عليها ، واستمرت تلك السياسة إلى ستينيات القرن التاسع عشر.**

ب- **كانت هناك حالة من التوتر جراء إنشاء المستعمرات اليهودية ، واصبحت هناك زيادة واضحة في عدد العاملين من اليهود في الزراعة من (2.67%) إلى (3.81%).**

واعترفت الحكومة الروسية باليهود بصفتهم رعايا وليسوا مواطنين , تحت اسم رعايا الإمبراطورية الروسية من اتباع الدين اليهودي ، إذ إنّه لو تم تصنيفهم كمواطنين لتحتم اعطاءهم حقَّ العمل في كافة الأراضي الروسية ، وذلك ما أرادت السلطة أن

(1) Ruppin, The Jews In The Modern World, p.160.

تحول دونه ارضاءً للبورجوازية الروسية النامية[1]، وقد عدّ الكاتب اليهودي جوزيف ندافا (Joseph Nedava) ، أنَّ التمييز القيصري إزاء اليهود قد انطلق من منطلق ديني ، فقال: " **وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في عهد أسرة رومانوف التي امتدت لثلاثمائة سنة ، كان التمييز ضد اليهود على أساس ديني وليس على أسس عرقية. ويمكن لأي يهودي التحول إلى الأرثوذكسية اليونانية ، أو حتى البروتستانتية ، أن يصل إلى أي منصب رفيع في البيروقراطية الحكومية** "[2]. بينما تشير القرائن الاخرى إلى نفي ذلك ، لأن السياسة الاقتصادية هي الأساس الذي حكم قرارات السلطة بهذا الشأن ، فهي قد اعترفت مثلا باليهود غير التجار بين كالكرانيين ( الاوكرانيين ) والكريمشاك ، والقوزاق ، والغيريم ، كمواطنين ولم تورد المصادر المختلفة ذكراً لقيام السلطة بتشجيع اعتناق هؤلاء للديانة الأرثوذكسية ، بالرغم من أنَّ السلطة كانت بالفعل تشجع اعتناق يهود المناطق الغربية لتلك الديانة في محاولة منها لتقليص وظيفتهم الاجتماعية التجارية التي عمدت بعد ذلك باستمرار إلى محاربتها بشتى الوسائل[3].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل فرضت الحكومة الروسية على اليهود ضرائب أعلى ، وصعوبات في الحصول على التعليم العالي ، وكانوا بحاجة إلى تصاريح خاصة للعيش في المراكز الحضرية ، من بينها كييف وموسكو وسانت بطرسبرغ. وظل السكان اليهود في تعدادات سانت بطرسبرغ أقل من ( 3000 ) آلاف حتى سنة (1881م) ، عندما تضاعفت من ( 2179 ) ( ثلاثة أعشار واحد في المائة من

(1) سلافة حجاوي ، اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي ، ( مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، 1980 ) ، ص17.

(2) Joseph Nedava, Trotsky and the Jews, ( The Jewish Publication Society of America Philadelphia, U. S. A, 1971 ), P.20.

(3) حجاوي ، اليهود السوفييت ، ص17.

الإجمالي ) في سنة (1869م) إلى حوالي ( 16.826 ) أي نحو ( 2% ) بعد اثني عشر عاماً[1].

ويمكن إدراك النمو السكاني لليهود من بعد ما صدر أمر دائرة شرطة سانت بطرسبرغ بوضع خريطة في سنة (1890م) لكثافة السكان اليهود وتبين بأنهم يتواجدون في ( 22 ) منطقة [2]. وأشار زوتوف ( Zotov ) ، أن المسألة اليهودية لا يمكن حلها بمنح حقوق متساوية بين اليهود وغيرهم. وكانت الجهود المبذولة لتعزيز الحضارة بين اليهود من خلال نظام المدارس اليهودية الحكومية الخاصة قد فشلت بشكل واضح... وأضاف زوتوف ناصحاً بالعيش بين اليهود لمدة سنة ، ويمكن للمرء أن يدرك استحالة اندماجهم في المجتمع المسيحي. وكانت هناك أسباب وجيهة لإبقاء اليهود في مناطق محظورة وتقييد حقوقهم المهنية. تم تطبيق القيود والامتيازات بشكل متساوٍ على المجموعات العرقية المختلفة في جميع أنحاء الإمبراطورية الروسية ، ولكن استمر نظرائهم المثقفون من غير اليهود في النظر إلى اليهود وعلى وجه الخصوص ، وعلى أنهم جواسيس أثرياء وفاسقون أصبحوا أثرياء... وسطاء انتهازيون بين النبلاء البولنديين والفلاحين[3], وبالرغم مما تعرض له اليهود من التمييز في روسيا ، ظلت

(1) Benjamin Nathans, Beyond the Pale The Jewish Encounter with Late Imperial Russia, ( Berkeley Los Angeles, London, 2002 ), p.92.

(2) Nathans, Beyond the Pale The Jewish, p.118.

(3) John Doyle Klier, Imperial Russia's Jewish Question: 1855-1881, (Cambridge,1995), p.53-54.

الحياة اليهودية قائمة إلى حد كبير على التجارة [1]. ويتبين لنا من خلال الحديث أعلاه أمران:

**أولاً: إن كل ما يسعى له اليهود هو الحفاظ على مكتسباتهم الاقتصادية.**

**ثانياً: إن تعرض اليهود للتمييز سببه سياستهم الفاسدة التي يتبعونها في الجانب الاقتصادي وهي أولى الخطوات التي طالما يبدأون بها للسيطرة على البلدان.**

## ❖ صناعة القومية ( اللغة والشعب ):

وأشار يوري سلزكين ( Yuri Slezkine ) قائلاً: " ألا يمكن أن يتحول اليهود من جنسية وهمية إلى جنسية طبيعية ؟ ، ألا يمكن أن يكون لديهم وطن خاص بهم ؟ ألا يمكن أن يكونوا محميين من الرأسمالية في تصورهم الخاص ؟ ، ألا يمكن تخليصهم مثل أي شخص آخر كأمة ؟ ربما يمكنهم ذلك. اعتقد الكثير من اليهود أنها فكرة غريبة ( الشعب المختار بدون إله ؟ دم وتربة اليديشية ؟ ) ، لكن الكثيرين كانوا على استعداد للمحاولة. بدأت القوميات "الطبيعية" بتقديس اللهجات وتقديس الشعراء الوطنيين. ووفقا لذلك فإنه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، اكتسبت اليديشية مكانة اللغة... فقد مرت بآلام الولادة نفسها مرة أخرى ، مثل الروسية قبل مائة سنة أو النرويجية في نفس الوقت تقريباً. تمت ترجمة هوميروس وغوته وأناتول في الوقت نفسه ، كما لو كانوا معاصرين. وتم العثور على جمال وليونة اليديشية لتكون لافتة للنظر... الهدف من القومية هو إلحاق الحديث خلق

(1) Marc J. Frankel, Birobidzhan: An Historical and Personal Account of the Jewish Autonomous Region, ( Russian Studies at Colgate University, 2006), p.14.

ثقافة وطنية عالية لأساطير أبولون[1] المحلية وعلم الأنساب والمناظر الطبيعية. وأن تُنسب تلك الثقافة الرفيعة إلى "روح الشعب" ، لتحديث الثقافة الشعبية من خلال فولكلور الدولة الحديثة. وذلك منطقي لمشروع من هذا النوع لحالة مثل حالة اليهود[2].

ولم يكن لدى اليهود أي ارتباط أو مطالبة جادة بأي جزء من المشهد المحلي ، ماضيهم الذي له مغزى رمزي يكمن في مكان آخر ، ودينهم ( الذي وصم اليديشية ) بدا لا ينفصل عن يهوديتهم. لا يمكن لأي دولة أوروبية ، مهما كان تصميمها ، أن تصبح أرض الميعاد اليهودية. ربما الأهم من ذلك ، أن القومية القائمة على اليديشية لم تفعل شيئاً يذكر للتخفيف من مشكلة الآباء غير الأبطال. يمكن للمرء أن يتعاطف معهم ، أو يصنع قصة قوية عن استشهادهم غير المريح ، لكن لا يمكن لأحد أن يدعي أنهم لم يكونوا من البدو الرحل ( أي الإساكفيون ، الباعة المتجولون، أصحاب النزل ، المقرضون الذين يعتمدون على زبائنهم غير اليهود ). بعبارة أخرى، لا يمكن للمرء أن يساعد الأبناء والبنات اليهود في سعيهم للحصول على كرامة أبولون بالقول إنَّ الماضي اليديشي لم يكن موجوداً. إذا كان أبطال الكتاب المقدس الفخورون والمعترف بهم عالمياً متاحين بسهولة في التقليد اليهودي السائد والذي لا يزال نابضاً بالحياة ؟ وأثبتت القومية اليبدية (اليديشية) أنه من الغريب جداً أن تنجح كحركة ، في كل المجالات المهمة للسياسة وصناعة الأساطير ، لم تكن قادرة على منافسة القومية العبرية والاشتراكية العالمية. كان معظم اليهود الذين كانوا مرتبطين أيديولوجياً باليديشية

---

(1) أبولون ( Apollonian ) ، من المفاهيم الفلسفية والأدبية تتمثل في الازدواجية بين شخصيات Apollo و Dionysus من الأساطير اليونانية. للمزيد ينظر: Adrian Del Caro, Dionysian Classicism, or Nietzsche's Appropriation of an Aesthetic Norm, ( Journal of the History of Ideas, 1989), Vol.50, No.4 , pp. 589-605.

(2) Yuri Slezkine, The Jewish Century, ( Princeton University , 2004 ), 105-106.

" لغة الجماهير اليهودية " اشتراكيين ، وكانت لغات الاشتراكية في أوروبا في على الرغم من جهود البوند الألمانية والروسية. في النهاية ، انتصرت القومية العبرية وأصبحت بالتحالف مع الصهيونية ثالث نبوءة يهودية كبرى[1].

وأضاف سلزكين قائلاً: بشكل مذهل وتحدي "غير طبيعي" في مبانيها ، كان يتطلع إلى حالة طبيعية ونهائية كاملة مع دولة قومية وكرامة محارب. كانت القومية في الاتجاه المعاكس: لم تكن الفكرة تقديس الخطاب الشعبي بل تدنيس لغة الله ، وتحويل منزلك إلى أرض الميعاد بل إخفاء أرض الميعاد إلى منزل. بدا الجهد المبذول لتحويل اليهود إلى أمة طبيعية مثل أي قومية أخرى في العالم. إنها القومية الميركورية التي اقترحت قراءة حرفية وعلمانية ظاهرياً لأسطورة المنفى... وكان على سكان المدن الأبديين تحويل أنفسهم إلى فلاحين ، بل ويُنظر إلى الفلاحين المحليين على أنهم غزاة أجانب. فيما كانت الصهيونية أكثر القوميات راديكالية وثورية. وفي علمانيتها أكثر تديناً من أي حركة أخرى باستثناء الاشتراكية ، التي كانت حليفها الرئيس ومنافسها"[2].

وثمة العديد من الملحوظات حول ما ذكره يوري سلزكين لعل من أهمها:

**أ- يتسائل سلزكين حول تحول اليهود من جنسية وهمية إلى جنسية طبيعية ، ألا يمكن أن يكون لديهم وطن خاص بهم ، أو يكونوا محميين من الرأسمالية. وتلك إشارة واضحة بأن المسألة اليهودية هي مشكلة غربية لا علاقة للعالم الإسلامي بها وما يتعلق بفلسطين بالذات.**

**ب-ذكر سلزكين بقوله: " اعتقد الكثير من اليهود أنها فكرة غريبة ، الشعب المختار بدون إله ؟ دم وتربة اليديشية ؟ لكن الكثيرين كانوا على استعداد للمحاولة. بدأت القوميات "الطبيعية" بتقديس اللهجات وتقديس الشعراء**

(1) Slezkine, The Jewish Century, 105-106.

(2) Slezkine, The Jewish Century, 106.

**الوطنيين. ووفقا لذلك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، اكتسبت اليديشية مكانة اللغة ". يشير ذلك إلى أن اليهود أنفسهم غير مقتنعين بفكرة "الشعب المختار" ، وقد اتخذ اصحاب المشروع من الجانب الأدبي بداية لذلك وباللغة اليديشية.**

**ج- إنَّ معظم اليهود مرتبطون أيديولوجياً باليديشية " لغة الجماهير اليهودية " اشتراكيين ، وكانت لغات الاشتراكية في أوروبا على الرغم من جهود البوند الألمانية والروسية. وفي النهاية انتصرت القومية العبرية وأصبحت بالتحالف مع الصهيونية ثالث نبوءة يهودية كبرى بعد فشل نبوة القومية اليهودية واليديشية. ونرى بأن التحالف فيما بين اليديشية والصهيونية كان من بين أهم العوامل التي أسهمت في نمو وتطور الأخيرة ولتصل إلى مبتغاها فهي أبدت استعدادها لسلوك أي طريق يحقق مصالحها بغض النظر عن مشروعيته أو مراعاة للنتائج التي ستترتب عليها.**

**د- كما أشار سلزكين إلى أنه "كان على سكان المدن الأبديين – اليهود- تحويل أنفسهم إلى فلاحين ، وكان ينظر إلى الفلاحين المحليين على أنهم غزاة أجانب. كانت الصهيونية أكثر القوميات راديكالية وثورية. كانت في علمانيتها أكثر تديناً من أي حركة أخرى باستثناء الاشتراكية ، التي كان حليفها الرئيس ومنافسها". بالرغم من أنهم طارئون على روسيا والمناطق التابعة لها كما أشرنا في الصفحات السابقة فهم من الخزريين إلا أنهم يرون أصحاب الأرض الحقيقيين غزاة اجانب ، وذلك ما حدث تماماً في فلسطين بعد سيطرتهم عليها والواقع يثبت ذلك ولا يحتاج إلى دليل.**

**هـ- صعوبة بل استحالة الاندماج اليهودي مع المجتمعات المحيطة به بالرغم من المحاولات المتكررة لاستيعابهم من قبل السلطات الروسية.**

## ❖ الحركة الشيوعية والمسألة اليهودية:

إنَّ المشكلة اليهودية التي واجهتها الحكومة السوفييتية بعد تسلمها الحكم تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه تلك المشكلة في عهد الحكومة القيصرية. وكانت روسيا القيصرية موطن أكبر عدد من اليهود في العالم ، وفي سنة (1909م) كان فيها ( 5.215.000 ) يهودي من مجموع ( 11.500.000 ) يهودي في العالم[1].

عندما قامت الثورة البلشفية في اكتوبر سنة (1917م) كانت حظيرة التوطن اليهودية قد تفككت عملياً نتيجة عملية التهجير القسري التي قامت بها السلطة القيصرية عند اندلاع الحرب العالمية الأولى اضافة الى القرار الذي صدر في سنة (1915م) وسمح بموجبه لليهود بالإقامة خارج حدود الحظيرة ( المستوطنة ) ، ودخول الجامعات والمعاهد العليا وقد اكتملت عملية التحرر اليهودي من القوانين التقييدية والاقامة القسرية في المناطق الغربية بفعل القرار الذي أصدرته الحكومة المؤقتة في (23 آذار/ مارس 1917م) والذي نصَّ على الغاء كافة القوانين التقييدية السابقة ومساواة اليهود بكافة المواطنين في الحقوق المدنية[2].

تُعد الفترة الممتدة من شباط/ فبراير إلى تشرين الأول/أكتوبر (1917م) بالفترة الذهبية لليهودية ، **إذ تفلتت القوى الاجتماعية اليهودية من عقالها ، ووجدت في الثورة البورجوازية – التي ما لبثت أن تزعمها كيرنسكي – فرصة العمر في اقتناص مجالات العمل التجاري في أنحاء البلاد ، ودخول الجامعات واحتلال المراكز والمناصب الحكومية والسياسية.** ولقد بدا وكأن اليهود هم الذين يديرون دفة البلاد

(1) نجدة فتحي صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي ، ( مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد ، ط1 ، 1973 ) ، ص17.

(2) حجاوي ، اليهود السوفييت ، ص79.

ويسيِّرون أمورها بحكم سيطرتهم على أهم مرفقين من مرافقها المدنية: السوق التجارية والمراكز الوظيفية ، في وقت كانت فيه مختلف القوى الاجتماعية الأخرى مؤلفه في غالبيتها العظمى من الفلاحين ومن الجامعات والمعاهد الذين لم تتح ظروفهم الحياتية السابقة فرصة دخول الجامعات بشكل يتناسب مع نسبهم السكانية , **كذلك فقد انتشرت الصحف اليهودية باللغتين اليديشية والعبرية وانشئت المدارس اليهودية ونشطت مختلف الأحزاب** ، ويذكر بأنَّ عدد اليهود الكلي كان يقارب في تلك الفترة نحو خمسة ملايين نسمة ، إذ أنَّ الزيادة بين اليهود خلال العقدين الاخيرين قد عوضت عن مجمل عمليات الهجرة التي تمت منذ أواخر القرن الماضي إلى خارج الأراضي الروسية[1].

وبالرغم من المكاسب التي حصل عليها اليهود منذ الثورة البلشفية وتحقيق النقلة النوعية لهم ، إلا أنهم كانوا مصرّين على عدم الاندماج في مجتمعاتهم، بين سنتي (1899 و 1914) ، عندما دخل ما مجموعه ( 1.450.000 ) يهودي ، أي بمتوسط ( 97.000 ) في السنة ، إلى الولايات المتحدة ، تم الوصول إلى الحد الأقصى في سنة (1906) بـ (154.000) ، والحد الأدنى في سنة (1899) بـ (37.000) كانت هذه التذبذبات ناتجة عن الاختلافات في الضغط الذي يمارس ضد اليهود في أوروبا الشرقية ، والتقلبات الاقتصادية في الولايات المتحدة. في فترات الازدهار ، كان اليهود المقيمون في الولايات المتحدة أكثر قدرة على توفير نقود المرور لأقاربهم وأصدقائهم من أوروبا الشرقية ، وتشجيعهم على القدوم[2].

(1) حجاوي ، اليهود السوفييت ، ص79-80.

(2) Ruppin, The Jews In The Modern World, p.49.

## ❖ اللوبي اليهودي ودور المنظمات اليهودية السوفييتية:

إن كثافة الوجود اليهودي في روسيا القيصرية والنفوذ اليهودي في الاتحاد السوفييتي ، والمشاركة اليهودية في الاحزاب الثورية والدور اليهودي المحوري في تفجير الثورة البلشفية وادارتها ، تجسد في تشكيل لوبي يهودي خفي من خلال عدة منظمات يهودية وصهيونية أخذت على عاتقها تنفيذ استراتيجية البدائل اليهودية في الاتحاد السوفييتي وخارجه.

وقبل الخوض في الحديث عن مشاريع البدائل اليهودية في الاتحاد السوفييتي ومنها بيروبيدجان كنموذج. فلابد من ذكر تلك المنظمات التي كانت تعمل على توطين اليهود منها منظمات سوفييتية ، وأخرى أمريكية ولعل من أبرز تلك المنظمات:

### أولاً: المفوضية اليهودية إفكوم ( Evkom ):

كانت تعمل داخل ناركومناتس ( Narkomnats )[1] مفوضية الشعب للقوميات ، تحت قيادة شمعون ديمانشتين (Shimon Dimanshtein) – أحد البلاشفة القلائل الذين تربطهم علاقات يهودية قوية – تم إنشاؤه في (1 شباط/ فبراير

(1) مفوضية الشعب للقوميات ( Narkomnats ) ، وهي منظمة تعمل ما بين السنوات (1917 – 1924) في أوائل الفترة السوفيتية من التاريخ الروسي والسوفيتي ، مهمتها التعامل مع غيرهم. الجنسيات الروسية. عمل رئيسها جوزيف ستالين ، بصفته مفوض الشعب للقوميات (1917–1923)، كعضو في مجلس مفوضي الشعب. للمزيد ينظر: Francine Hirsch, Empire of Nations: Ethnographic Knowledge and the Making of the Soviet Union, (Cornell University Press, 2005 ), p.65 ; Jane Burbank, Mark Von Hagen, Anatolyi Remnev ( ed ), Russian Empire: Space, People, Power, 1700–1930, ( Indiana University Press, 2007 ), p.144–161.

1918) ، بينما تم إنشاء المفوضية الوطنية البولندية في (28 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917). لم يكن سبب التأخير هو الأهمية الأقل للمسألة اليهودية مقارنة بالمسألة البولندية في تلك المرحلة فحسب ، بل كان أيضا الصعوبات التي واجهها البلاشفة في العثور على الشيوعيين اليهود قادرين وراغبين في التصرف في 'الشارع اليهودي. لذلك كان من المحتم أن تتكون المفوضية اليهودية بشكل أساسي من ممثلين للأحزاب الاشتراكية اليسارية مثل بوالي صهيون ( Poalei-zion ) والاشتراكيين الثوريين اليساريين والأشخاص غير الحزبيين[1].

كانت المفوضية اليهودية هيئة إدارية ، تتألف من ستة أقسام ذات وظائف محدودة. كان من المفترض أن تعمل من خلال ممثلين في المدن الإقليمية ، ولكن تم إنشاء مكاتب المفوضية القومية اليهودية في ثلاث عشرة مدينة فقط ، اثنتان منها فقط بها عدد كبير من السكان اليهود. كانت أسباب ذلك هي ظروف الحرب الأهلية ، وندرة الشيوعيين اليهود المستعدين للعمل في السكان اليهود ، ومعارضة المجتمعات اليهودية الراسخة للحكم السوفييتي. ومهمة الرئيسية للمفوضية اليهودية ، في فترة وجيزة من وجودها من سنة (1918) إلى سنة (1923)، شملت ما يلي:

**أ- كانت محاربة الحزبين الصهيوني واليهودي الاشتراكي الحد من تأثيرهما الحاسم على السكان اليهود ، من أجل تحقيق التصفية الكاملة لهم للقيام بدعاية باللغة اليديشية من أجل جذب الجماهير اليهودية ، الذين كانوا غير مبالين بالنظام الجديد.**

**ب- تقديم المشورة للمؤسسات المركزية والمحلية في جميع المسائل المتعلقة باليهود.**

---

(1) Benjamin Pinkus, The Jews of the Soviet Union: The History of a National Minority, ( Cambridge University Press, 1988 ), p.58.

**ج- البحث عن حلول ، لإنشاء مؤسسات يهودية ؛ لتنفيذ سياسة الحكومة السوفييتية ؛ لمساعدة اللاجئين اليهود على العودة إلى ديارهم السابقة ومنحهم المساعدة الاقتصادية.**

وتعاونت المفوضية اليهودية بشكل وثيق مع القسم اليهودي ( Evsektsia ) في الحزب الشيوعي ، وكثيراً ما كان هناك تداخل في أنشطة هاتين المؤسستين. كانت المفوضيات الوطنية مفتوحة في السنوات الأولى للاتحاد لأعضاء الأحزاب الأخرى والأشخاص غير الحزبيين ، لكن الأقسام الوطنية داخل الحزب كانت مفتوحة لأعضاء الحزب البلشفي فقط. لذلك كانت هذه الأقسام أكثر أهمية من المفوضيات واستمرت لفترة أطول[1].

لا شك في أن القسم اليهودي ( Evsektsia ) من بين جميع الهيئات اليهودية التي تأسست في الحقبة السوفييتية كان الأهم والأكثر تمثيلا ، على الرغم من المكانة المتدنية للقطاعات القومية في الحزب. **كان هذا أولاً لأنهم كانوا مؤسسة حزبية وجزءاً لا يتجزأ من الحزب الحاكم في الدولة. ثانيًا ، نجح القسم ليس فقط في تصفية الأحزاب والمنظمات اليهودية المستقلة ولكن أيضًا في جلب قادة من الأحزاب اليهودية الأخرى ، على سبيل المثال ، البوند ، و "المتحدة" ، واليسار بوالي - وبالتالي رفع مكانة القسم بين الجمهور اليهودي ، أخيراً أصبح القسم عمليًا المنظمة الوحيدة التي تلجأ إليها في التعامل مع الشؤون اليهودية.** وتم إنشاء القسم اليهودي في (20 تشرين الأول/ أكتوبر 1918) في اجتماع ضم أربعة وستين ممثلاً ، ثلاثة وثلاثون منهم ليسوا بلاشفة. قام قادة القسم اليهودي ( والأقسام القومية الأخرى أيضاً ) بمحاولات عديدة لتأمين وضع الحكم الذاتي لأنفسهم ، ولكن طوال فترة وجودهم ، من

(1) Pinkus, The Jews of the Soviet Union, p.58-59.

سنة ( 1920 حتى كانون الثاني/ يناير 1930) ، ظلوا أقساماً فرعية من إدارة المعلومات باللجنة المركزية والدعاية وبالتالي ، لم تكن الأقسام الوطنية أكثر من جهاز تقني للحزب للقيام بمهام محددة بدقة من قبل القيادة. كانت هذه المهام مماثلة لمهام المفوضية اليهودية (المذكورة أعلاه) ولكنها كانت أوسع نطاقاً[1].

**ثانياً: لجنة توطين اليهود على الأراضي الزراعية:**

وقد عرفت باسمها الروسي المختصر ( Komzet ) . أسست هذه المنظمة في ( آب/ اغسطس 1924 ) ، وكانت هيئة رسمية ، تابعة لرئاسة ( بريزيديوم ) سوفييت القوميات ، ومسؤولة عن الجانب الإداري من عمليات التوطين. وكانت اللجنة تتألف من (17) عضواً بينهم عدد من كبار المسؤولين الشيوعيين ، مثل " قوميسار " وزير التجارة " ليونيد كراسين " ، ونائب رئيس مجلس السوفييت الاعلى " بيتر سميد وفيج "، الذي كان رئيسا للجنة ، وكلاهما غير يهودي ، بالإضافة الى عدد من اليهود البارزين مثل " ميريجين " ، من كبار اعضاء القسم اليهودي في الحزب الشيوعي ، وكان سكرتيراً للجنة ، " وماكسيم ليتفينوف " ، الذي كان في ذلك الوقت نائباً لوزير الخارجية، " وسيمين ديمانشتاين " ، نائب رئيس قسم الدعاية في الحزب الشيوعي . وبالإضافة إلى اللجنة المركزية ألفت الحكومة السوفييتية ادارات مماثلة في عدد من الجمهوريات الأخرى ، وفى الوحدات الادارية الاصغر منها إن المهمة التي عهد بها الى هذه المنظمة هي توطين العائلات اليهودية على الاراضي التي تخصص لهم في مختلف انحاء الاتحاد السوفييتي ، وخاصة التوطين الزراعي[2].

(1) Pinkus, The Jews of the Soviet Union, p.59-60.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص48.

في ( آذار/ مارس 1928 )، كانت هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية الاتحاد السوفياتي ، بناء على طلب " كومزيت " و " الهجرة لجنة الاتحاد السوفياتي "، **قرارا بشأن إمكانية إنشاء وحدة قومية يهودية في بيروبيدجان في ( ايلول/ سبتمبر 1931 )، اتخذت نفس الهيئة قراراً بشأن وسائل تنفيذ قرار سنة (1928) بشأن إنشاء وحدة وطنية اتحادية يهودية في منطقة بيروبيدجان في أقاليم الشرق الأقصى. وحتى لو لعبت السياسة الداخلية دورًا ، فلم يكن ذلك من قبيل الصدف أن هذا التاريخ كان بعد عشرة أيام من عبور اليابانيين إلى منشوريا (19 ايلول/ سبتمبر 1931) ، ويمكن الافتراض أن كالينين وكاجانوفيتش ، آباء " الدولة اليهودية المستقبلية " ، قدّموا الدعم الكامل لتوسيع الاستيطان اليهودي في بيروبيدجان. وكانت الهجرة إلى هناك صغيرة ، ومع ذلك غادر الكثير ممن ذهبوا إلى هناك لاحقاً. لم يكن حتى ( 7 أيار/ مايو 1934 ) ، أن اللجنة التنفيذية المركزية قررت تحويل المقاطعة ( أدنى مستوى في التسلسل الهرمي للوحدات الفيدرالية السوفييتية ) في منطقة حكم ذاتي يهودية**[1].

**ثالثاً: جمعية توطين الكادحين اليهود على الأراضي الزراعية:**

وقد عرفت أيضاً باسمها الروسي المختصر ( Ozet ) واحيانا باسمها المختصر باللغة اليديدية ( Gezerd ) ، ألفت في (24 كانون الأول/ ديسمبر

(1) Pinkus, The Jews of the Soviet Union, p.73-74.

1924)، كمنظمة شعبية ، أو شبه . أهلية ، اعضاؤها متطوعون ، وهدفها مساعدة " منظمة كومزيت " ، الرسمية في تحقيق أغراضها[1].

وكان للجمعية " مجلس مركزي " ، يتألف من (86) عضواً ، و مجلس ادارة قوامه ( 49 ) عضوا ، وهيئة رئاسة ( بريزيديوم ) . وكانت لها فروع في شتى انحاء الاتحاد السوفييتي ، وفي كثير من المصانع ، وفي الجيش الاحمر ؛ وقد بلغ عدد فروعها في سنة ( 1936 ) ، ( 600 ) فرع ، ومجموع اعضائها حوالي (500.000) عضو ولم تكن عضوية ( اوزيت ، قاصرة على اليهود وحدهم ، فقد كان بين اعضائها عدد كبير من غير اليهود ، بل ان نسبة الاعضاء غير اليهود بينهم بلغت في وقت من الاوقات حوالى ( 60 ) بالمائة من مجموعهم[2].

وقد عين لرئاسة منظمة اوزيت ، اقتصادي يهودي معروف ، ومن المقربين الى ستالين ، هو " يوري لارين " ، وكانت تضم بين اعضائها العاملين معظم رؤساء منظمة كومزيت ، الى جانب اعضاء بارزين في " يفسكتسيا "، ( الاقسام اليهودية في الحزب الشيوعي ) وشخصيات رئيسية فى الدولة بما فيهم " ميخائيل كالينين " ، ( الذي كان رئيسا للجنة التنفيذية المركزية ، أي رئيسا للدولة ) ، و " جيجيرين " قوميسار الشعب للخارجية و " ليونيد كراسين"، قوميسار الشعب للتجارة ، و " بيتر سميدو فيج "، نائب رئيس مجلس السوفييت الاعلى وكلهم غير يهود، وكان بينهم ايضاً الدبلوماسي اليهودي المعروف " ماكسيم ليتفينوف " ، نائب قوميسار الخارجية[3].

---

(1) Robert Weinberg, Stalin's Forgotten Zion: Birobidzhan and the Making of a Soviet Jewish Homeland : an Illustrated History, 1928–1996, ( University of California Press, 1998 ), p.20–21.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص49.

(3) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص49–50.

وكانت المهمة الرئيسية لهذه الجمعية:

**أ- القيام بالدعاية لفكرة توطين اليهود على الاراضي الزراعية.**

**ب- جمع الاموال لمشاريع التوطين ، ومحاربة ما خلفه العهد القيصري من مشاعر معادية لليهود. وقد شنت الجمعية حملة دعاية واسعة النطاق لهذه الاغراض ، عن طريق الاجتماعات العامة ، والمحاضرات ، والمعارض ، والمنشورات.**

**ج- اصدار المنشورات الشعبية عن احوال اليهود الاقتصادية ، وعن " بيروبيدجان " ، ومختلف المشروعات الزراعية ، قامت الجمعية بين سنتي (1927-1928) بإصدار مجلة اسمها ( Tribuna ) ، عهد برئاسة تحريرها الى " سيمين ديمانشتاين " ، رئيس القوميسارية اليهودية.**

**د- كان من اهم اغراض هذه المجلة محاربة اللاسامية في الاتحاد السوفييتي**[1].

❖ **علاقة اللوبي اليهودي في الاتحاد السوفييتي مع اللوبي اليهودي العالمي:**

اظهر اليهود في خارج الاتحاد السوفييتي ، وخاصة في الولايات المتحدة اهتماما كبيرا بحالة اليهود في روسيا خلال الازمات التي مرت بهم ، وأسسوا منظمات عديدة مهمتها جمع التبرعات لهم ، وتقديم المساعدات المالية والفنية لعمليات توطينهم وحل مشاكلهم. ولما قررت الحكومة السوفييتية انشاء مقاطعة خاصة لليهود في بيروبيدجان ، رأى كثير من زعماء الجاليات اليهودية في أمريكا من واجبهم دعم المشروع ، وتقديم كل ما يمكن من المساعدات لنجاحه. وكانت علاقات الولايات المتحدة مع روسيا في الثلاثينات... وكذلك هنالك عدة منظمات امريكية يهودية

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص50.

ساهمت في مشروعات توطين يهود روسيا في الاراضي الزراعية ، في اوكرانيا والقدم أولا ، ثم في بيروبيدجان[1]، اهمها:

**أولاً: لجنة التوزيع الامريكية – اليهودية المشتركة:**

تأسست لجنة التوزيع المشترك في ( تشرين الثاني/ نوفمبر 1914 )، في أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى وبناء على اسمها الأصلي أي لجنة التوزيع المشترك للأموال الأميركية من أجل غوث منكوبي الحرب اليهود ، كانت تعرف لفترة طويلة وخصوصا بين اليهود الأوروبيين بـ " المشتركة ". وفي عامها الأول ، عُهد اليها بالأموال التي جمعها كل من: اللجنة المركزية الأرثوذكسية لغوث اليهود ولجنة الغوث اليهودية الأميركية، ولجنة غوث الشعب[2].

وبعد خروج روسيا من الحرب الاهلية ، واستقرار النظام السوفييتي ، وجدت المنظمة ان الحاجة تدعو إلى إعادة بناء الحياة اليهودية في روسيا على اسس جديدة ، وتكييف اليهود مع الظروف السياسية والاقتصادية القائمة في البلاد . وكانت هذه المهمة تتطلب اجراءات خاصة ، ولذلك اسست منظمة " جوينت " ، في سنة (1924) منظمة جديدة هي المؤسسة الامريكية – اليهودية الزراعية المشتركة وعهدت إليها بمهمة توفير الاستقرار الاقتصادي ليهود روسيا في ظل النظام الجديد ، وكان من سياسة منظمة " جوينت "، دائما ان تسلم اعمالها إلى المنظمات اليهودية المحلية في البلاد التي تمارس فعالياتها فيها ، حالما تصبح تلك المنظمات قادرة على القيام بتلك

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص51–52.

(2) لي أوبرين ، المنظمات اليهودية الأميركية ونشاطاتها في دعم إسرائيل ، ( مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط1 ، 1986 ) ، ص148.

الاعمال بنفسها. وقد احالت منظمة " جوينت " اعمالها في روسيا إلى المؤسسة الأمريكية اليهودية الزراعية المشتركة ، تمشيا مع تلك السياسة[1].

**ثانياً: المؤسسة الامريكية – اليهودية الزراعية المشتركة:**

في (17 تموز/ يوليو 1924) ، شكلت لجنة التوزيع المشتركة اليهودية الأمريكية وكالة جديدة ، وهي المؤسسة الزراعية المشتركة اليهودية الأمريكية للإشراف على إعادة توطين اليهود السوفييت في المناطق الحضرية في المستعمرات الزراعية في شبه جزيرة القرم وأوكرانيا. في ( كانون الأول/ ديسمبر 1924 ) ، وقعت لجنة التنسيق المشتركة اتفاقية مع الحكومة السوفييتية حددت نطاق وطبيعة المشروع الزراعي المشترك أو مشروع القرم[2].

ومن أهدافها " تحويل اكبر عدد ممكن من يهود الاتحاد السوفييتي البالغ عددهم ( 2.700.000 ) الى الاعمال الانتاجية ". وقد تم التوصل الى اتفاقية تخصص بموجبها الأموال اللازمة لتنفيذ هذا المشروع ، على ان تساهم فيها هذه المؤسسة والحكومة السوفبيتية مناصفة وبعد ذلك الفت هيئة الرئاسة ( بريزيديوم ) لسوفييت القوميات يقصد تطبيق تجربة المستعمرات الزراعية اليهودية ، وتشجيع ظهور طبقة فلاحية يهودية سوفيتية[3].

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص54.

(2) Allan L. Kagedan, American Jews and the Soviet Experiment: The Agro-Joint Project, 1924-1937, ( Jewish Social Studies Vol. 43, No. 2. Spring, 1981), p.153.

(3) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص47.

بدأت (Agro–Joint) اعمالها بمبلغ قدره ( 400 ) ألف دولار حصلت عليه من " لجنة التوزيع الامريكية – اليهودية المشتركة " وبلغ مجموع ما انفقته في روسيا منذ ذلك الوقت حتى سنة (1928) حوالي (5.880.000) مليون دولار. وفي تلك السنة اخذت منظمة امريكية اخرى على عاتقها تقديم المعونة المالية لأعمال مؤسسة ، وهذه المنظمة هي: الجمعية الامريكية للمستوطنات الزراعية اليهودية في روسيا ، اذ تعهدت بجمع مبلغ ( 8 ) ملايين دولار ، كما تعهدت الحكومة السوفييتية – بموجب اتفاقية خاصة – بأن تدفع بالروبلات مبلغاً مساوياً لذلك[1].

في إطار هذا البرنامج ، الذي تم إنهاؤه في سنة (1937) ، تمكنت اللجنة من إعادة توطين أكثر من مائة ألف يهودي على مليون فدان من الأراضي بتكلفة ( 16 ) مليون دولار. لم يحظ المشروع الزراعي المشترك باهتمام علمي كبير. يشرح يهودا باور ( Yehuda Bauer ) ، في تاريخ اللجنة المشتركة بين عامي (1929 و 1939)، إنشاء المفصل الزراعي كمزيج من العوامل. ينسب الفضل إلى جوزيف روزين ( Joseph Rosen ) ، وهو مهندس زراعي روسي يهودي كان يتمتع بشخصية قوية، بإقناع قادة اللجنة اليهودية الامريكية للتوزيع المشترك بالانخراط في الاستعمار اليهودي السوفييتي[2].

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص56.

(2) للمزيد ينظر: Kagedan, American Jews and the Soviet Experiment, p.153–162.

**ثالثاً: جمعية التوطين اليهودي في الاتحاد السوفييتي:**

جمعية امريكية مهمتها مساعدة عمليات التوطين الزراعي ليهود الاتحاد السوفييتي ، اسست في سنة (1924) في مؤتمر عقده عدد من منظمات جاليات اليهود وجمعياتهم فى الولايات المتحدة . وقد عرفت باسم ايكور ( Icor ) وهو مختصر اسمها الكامل باللغة اليديشية ، وكلمة " ايكور" ، تعني ايضاً فلاح باللغة العبرية. ركزت هذه الجمعية اهتمامها في البداية على دعم عمليات توطين اليهود في القرم وفى منطقة اوديسا من اوكرانيا الجنوبية. وكانت الاموال التي ترسلها لهذا الغرض تصرف بواسطة منظمة " اوزيت " ، في موسكو بإشراف الممثل المقيم للجمعية في موسكو ( موشي كاتز ). على ان نشاط المنظمة بلغ اوجه في الفترة بين سنتي (1928–1932) ، وكان قرار الحكومة السوفييتية بتخصيص منطقة بيروبيدجان للتوطن اليهودي الزراعي والصناعي الجماعي اليهودي حافزا كبيرا في ذلك. وقد وجهت منظمة ايكور، على اثر ذلك القرار ، فعالياتها جميعا الى بيروبيدجان ، واصبحت اهم داعية للفكرة في امريكا . وعقدت المنظمة في سنة (1928) اتفاقية مع الحكومة السوفييتية منحت بموجبها الحق في القيام بتحريات ودراسات في المنطقة الجديدة وبناء ( أو المساعدة في بناء ) المستوطنات الزراعية اليهودية الجماعية ، والمصانع التعاونية، وتنظيم شتى وسائل المساعدات الثقافية للمستوطنين فيها[1].

وقد ارسلت منظمة ايكور ، في سنة (1929) لجنة تحقيق واستطلاع إلى بيروبيدجان ، برئاسة " وليم هاريس " ، من جامعة يوتا ( Utah ) ، الامريكية ، كما ان رئيس المنظمة " تشارلز كونتز " اقام في بيروبيدجان ، من سنة (1930) إلى سنة (1933) لمراقبة اعمال منظمته. وقد تم خلال هذه الفترة صرف وتوزيع مبلغ ( 300 ) ألف دولار تبرع بها يهود امريكا. وكان بين المواد التي ارسلت إلى بيروبيدجان ، بهذا

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص58–59.

المبلغ مكائن امريكية لإزاحة الغابات ، وتراكتورات ، وسيارات ركاب وحمل ، ودراجات بخارية ، وحفارات ، ومكائن بناء الطرق ، ومكائن نفطية ، واجهزة لتفريخ البيض ، ومكائن تعليب ، ومعمل كامل لصناعات الاخشاب[1].

وأخيرا وجهت المنظمة ، بعد سنة (1939) ، اهتمامها بصورة رئيسية إلى جمع المعلومات عن الحياة اليهودية فى الاتحاد السوفييتي وفي بيروبيجان. وحين وقع الغزو الألمانى لروسيا في سنة (1941) ، انضمت ايكور إلى المنظمات الاخرى في الدفاع عن فكرة تقديم العون الى انكلترة وروسيا ، وتعاونت تعاونا وثيقا مع " لجنة الشعب اليهودي "[2].

**رابعاً: الجمعية الامريكية لتوطين يهود روسيا في المزارع:**

أسست هذه الجمعية في سنة (1928) لمواصلة تمويل برنامج توطين اليهود على الاراضي الزراعية في الاتحاد السوفييتي وكانت منظمة جوينت الامريكية ، ووكيلة اعمالها في روسيا ( Agro–Joint ) تمولان ذلك البرنامج منذ سنة (1924) ، وحين تألفت هذه المنظمة اخذت تلك المهمة على عاتقها . وتمكنت . بدون اللجوء الى نداء عام من جمع مبلغ ( 8 ) ملايين دولار من تبرعات خاصة تعهد بدفعها خلال عشر سنوات عدد صغير من أثرياء اليهود في الولايات المتحدة ، لدعم المزيد من الفعاليات الموسعة البرنامج. توطين اليهود على الاراضي الزراعية في اوكرابينا والقرم وقد عقدت الجمعية – لغرض تنفيذ هذا البرنامج – اتفاقية خاصة مع منظمتي ( Agro–Joint ) الامريكية ، والسوفييتية ، تقضي بأن تدفع الجمعية المبلغ الذي جمعته ، على ان تدفع المنظمة السوفييتية بالروبلات مبلغا مساويا ، فأصبح مجموع ما خصص لتنفيذ برامج ( Agro–Joint ) (16) مليون دولار تسدد في الفترة بين سنتي (1928) و (1935)،

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص59.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص60.

بالإضافة إلى ما تعهدت منظمة كومزيت ، بتقديمه من تسهيلات ومساعدات اخرى لعمليات التوطين[1].

**الاستنتاجات:**

**أ- يتبين بأن الاتحاد السوفييتي كان دوره محورياً فلم يقتصر على مشاريع الاستيطان فحسب ، بل كان داعماً لاستراتيجية البدائل اليهودية في إقامة كيانات سياسية في ( القرم ، أوديسا ، بيروبيدجان ) ، بينما فلسطين لم تكن في أول الأمر من مخططات اليهود ومن خلفهم من السوفييت.**

**ب- إن المنظمات التي ذكرت أعلاه أسست بعلم وبإشراف حكومة الاتحاد السوفييتي بدليل تواجد الكثير من مسؤولي الحكومة كأعضاء نشطين فيها.**

**ج- كان محور عمل تلك المنظمات هو العمل على توطين اليهود في الأراضي الزراعية.**

**د-إنشاء مؤسسات يهودية لتنفيذ سياسة الحكومة السوفييتية في استراتيجية البدائل اليهودية ( القرم ، أوديسا ، بيروبيدجان ، فلسطين ).**

**هـ-قوة الانتشار للوبي اليهودي في الاتحاد السوفييتي على المستوى الرسمي والشعبي ، بدليل بأن جمعية توطين الكادحين اليهود على الأراضي الزراعية، كان لها ( 600 ) فرع ووصل عدد أعضائها إلى أكثر من نصف مليون عضو من اليهود وغيرهم.**

**و- العلاقات الاستراتيجية ما بين اللوبي اليهودي السوفييتي واللوبي اليهودي العالمي وبالذات الولايات المتحدة الامريكية ، وذلك ما يؤكده نشاط الجمعيات اليهودية الامريكية وإسهامها في مختلف النشاطات منها جمع التبرعات التي أسهمت في عمليات التوطين لليهود في مختلف انحاء الاتحاد السوفييتي ومن بين تلك المناطق بيروبيدجان.**

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص10.

## المبحث الثاني: الاتحاد السوفييتي والبديل الأول اليهودي – مشروع جزيرة القرم:

**أولاً: جذور الوجود اليهودي في القرم:**

في القرن الأول قبل الميلاد ، استقر اليهود الهلنستيون والمتحولون اليهود في المدن اليونانية الواقعة على الساحل الشمالي للبحر الأسود ، بما في ذلك شبه جزيرة القرم ، التي كانت جزء من مملكة بنطس ( Pontus )[1]. وحكم الرومان شبه جزيرة القرم منذ ( 63 ق.م ) ثم تبعهم البيزنطيون. استمرت الجالية اليهودية البيزنطية تشيرسون ( Chersones )[2] في الوجود ربما مع انقطاع حتى القرن الحادي عشر. بحلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، خضعت المدن الساحلية لشبه جزيرة

---

(1) مملكة بنطس ، تقع على الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، وتقع في منطقة البحر الأسود الشرقية في تركيا الحديثة. أطلق الاسم على المنطقة الساحلية والمناطق النائية الجبلية التي ترتفع إلى جبال الألب البنطية في الشرق في العصور القديمة من قبل اليونانيين الذين استعمروا المنطقة ، وحكمت الدولة من قبل عدة ملوك متعاقبين يحمل أغلبهم نفس الاسم حتى سنة (64 ق.م). للمزيد ينظر: McGing, B.C, The Foreign Policy of Mithridates VI Eupator, King of Pontus, ( Brill, Leiden, 1986 ).

(2) تشيرسون ( Chersones ) ، المدينة تقع على شاطئ البحر الأسود في ضواحي مدينة سيفاستوبول ( Sevastopol ) الحالية في شبه جزيرة القرم ، حيث يشار إليها باسم خيرسون (Khersone). الموقع جزء من محمية توريك تشيرسونيسوس ( Chersonesos ) الوطنية. اسم تشيرسونيسوس في اليونانية يعني "شبه الجزيرة" ويصف بشكل مناسب الموقع الذي أقيمت فيه المستعمرة. لا ينبغي الخلط بينه وبين ( Tauric Chersonese ) ، وهو اسم غالبًا ما يطبق على شبه جزيرة القرم الجنوبية بأكملها. للمزيد ينظر:

Joseph Coleman Carter, The Chora of Chersonesos in Crimea, Ukraine, (American Journal of Archaeology, Vol. 104, No. 4. Oct., 2000 ), pp. 707–741.

القرم للتأثير الثقافي الإيطالي لأنَّ بعضها أصبح مستعمرات لجنوة. وجلب التجار اليهود الإيطاليون الذين رسوا في موانئ القرم كتباً يهودية بالإضافة إلى بضاعتهم، والتي قدمت إلى المجتمعات اليهودية المحلية أفكاراً وميولاً للحياة الروحية لليهود الإيطاليين. في الوقت نفسه ، استمرت الروابط بين مجتمعات القرم اليهودية وتلك التابعة للإمبراطورية البيزنطية على مر القرون ولم تنقطع بعد الغزو العثماني. [1].

خريطة القرم ، موقع الموسوعة العربية[2].

(1) Robert Bonfil, Oded Irshai, Guy G. Stroumsa, and Rina Talgam (ed), Jews in Byzantium Dialectics of Minority and Majority Cultures, ( Brill Leiden, Boston, 2012), p.752.

(2) موقع الموسوعة العربية ، https://arab-ency.com.sy/ency/details/8970/15.

## ❖ الجذور الاستيطانية اليهودية:

بينما كانت المراكز الرئيسية لمستوطنة القرائين – اليهود – في شبه جزيرة القرم هي المدن الساحلية: كيفي أو كافا ( Kaffa or Keffe )[1] وغوزليف ( Gozleve )، وفي المناطق الجبلية والنائية: سولخات ( Sulkhat ) ، أول عاصمة لتتار القرم في القرن الثالث عشر ، ومدينتي الحصون تشوفوت كالي ( Chufut-Kale ) ومانغوب ( Mangup ). عاش القراؤون في المدن الساحلية حتى قبل أن تصبح تحت السيطرة العثمانية وطردوا حكام جنوة في سنة (1475م). ومنذ تلك السنة أصبحت المدن الساحلية وكذلك إمارة مانغوب أو ( تيودورا ) المسيحية تحت الحكم المباشر للإمبراطورية العثمانية ، في حين كانت مدينة كييف أصبحت عاصمة الولاية ، وأصبحت معظم أراضي شبه جزيرة القرم ولاية تابعة للإمبراطورية خانات القرم[2].

أما بالنسبة للإحصاءات المتعلقة بحجم سكان القرم فيمكن القول إن السلطات العثمانية أجرت تعدادين للسكان. في سنتي (1529 و1545م) في مقاطعات

---

(1) مدينة كافا المعروفة الآن باسم ثيودوسيا ( Theodosia ) تقع على ساحل البحر الأسود القرم وتعد مركزاً لشبكة المحطات التجارية والمناطق الخارجية الواقعة بعيدة من المدينة. كانت كافا أكبر مركز للتجارة في البحر الأسود وكانت البؤرة الاستيطانية التي لعبت دوراً محورياً في نظام جنوة للتجارة الدولية لمسافات طويلة. منذ ظهورها حوالي ( 1260-1270م ) حتى فتحها العثمانيون في ( 1475م ) ، كانت المدينة مفترق طرق حقيقي للثقافات. للمزيد ينظر: Lajos Tardy, Kaukazusi magyar tukor: Magyarok, gruzok, cserkeszek, a kezdetektol 1848-ig, ( Budapest, Akademiai Kiado, 1988 ), p.47.

(2) Golda Akhiezer, The History of the Crimean Karaites During the Sixteenth to the Eighteenth Centuries, in Karaite Judaism. A guide to its history and literary sources, Meira Polliack (ed), ( Brill Leiden, Boston, 2003 ), p.731.

الإمبراطورية[1]. ووفقاً لتعداد سنة (1529م) ، كان هناك ( 1271 ) يهودي في المنطقة التي كانت خاضعة للحكم العثماني المباشر ، بينما في سنة (1545م) انخفض هذا العدد إلى ( 1134 ). هذه البيانات جزئية ولا تعكس الوضع في شبه جزيرة القرم بأكملها. بالإضافة إلى أنّ تلك الوثائق التي ذكرت الإحصائيات المتقدمة لا يتبين إن كان اليهود من القرائين أم من غيرهم. ومن خلال هذه الإحصائيات ، يمكننا فقط تحديد اتجاهات متميزة في حياة المجتمعات اليهودية [2]. وأشار آلان فيشر إلى أنّه كان القوزاق هم أحد أسباب انخفاض عدد السكان ففي أثناء التوغل في شبه جزيرة القرم من قِبل زابوروجي ودون ( Don and Zaporozh'e ) ، بما في ذلك المنطقة تحت السيطرة العثمانية المباشرة. قتل القوزاق بوحشية سكان القرم دون استثناء أي دين معين وألحقوا أضراراً جسيمة باقتصاد القرم من خلال النهب والتدمير الممنهج للمدن والقرى[3].

وبعد أن انضمت شبه جزيرة القرم إلى التجارة العالمية لإيطاليا ، كان التجار يجوبون البحار باستمرار بين جنوة وكافا ، مروراً بالدردنيل البيزنطية. وتوافد الإيطاليون واليونانيون واليهود والأرمن على كافا والمناطق المجاورة لها على الساحل الجنوبي لشبه جزيرة القرم. لذا أصدرت حكومة جمهورية جنوة مراراً وتكراراً تعليمات لقناصلها المكلفين

(1) Alan Fisher, The Ottoman Crimea in the Sixteenth Century, ( Harvard Ukrainian Studies Vol. 5, No. 2, June 1981),138.

(2) Fisher, The Ottoman Crimea in the sixteenth century, p.170.

(3) Alan Fisher, The Ottoman Crimea in the Mid-Seventeenth Century: Some Problems and Preliminary Considerations, ( Harvard Ukrainian Studies, 1979-1980), Vol. 3/4, Part 1.p215-226.

بإدارة مستعمرة القرم بمراعاة مبادئ التسامح الديني في موقفهم تجاه هؤلاء السكان غير المتجانسين[1].

وأشار الرحالة الالماني شيلتبيرجر ( Schiltberger ) ، الذي زار شبه جزيرة القرم بين سنتي (1394–1427م) ، بقوله: " **كما يوجد في المدينة فرقتان من اليهود ( التلموديون والقرائيون ) ، ولهم معبدان , وأربعة آلاف منزل في الضواحي** "[2]. وتم تأكيد الأهمية المرتبطة بكافا ووصف تلك المدينة من مصادر أخرى ، باستثناء العدد التقديري لليهود داخل الأسوار وفي الضواحي ، والمدن الأربع الواقعة على جانب البحر والموجودة في كافا هي لوسي ( Lusce ) ، وغورزوني ( Gorzuni ) ، وبارتنيس ( Partenice ) ، وإيليتا ( Ialita ) ، والمعروفة الآن باسم ألوشتا ( Aloushta ) ، وجورزوف ( Gourzouff ) ، وبارتينيت ( Partenite ) ، ويالطا ( Yalta ) ، وكلها تقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة ، إلى جانب كافا ، حيث كان يتمركز قناصل جنوة [3]. ويستدل من كلام الرحالة شيلتبيرجر بأن عدد اليهود كان كبيراً , ويؤكد ذلك على ادراك اليهود أهمية شبه جزيرة القرم.

ومع بداية سنة (1428م) ، في شبه جزيرة القرم نما المجتمع القرائي القديم في مدينة تشوفوت كالي والتي تعرف بـ " صخرة اليهود" ، بالقرب من عاصمة التتار الجديدة مدينة باختشيساراي ( Bakhchi–Sarai ) من حيث العدد والنفوذ. ويديم ذكرى هذا المجتمع من خلال عدد هائل من شواهد القبور ، التي تتراوح من القرن

---

(1) Dubnow, History of the Jews, vol,1. P.34.

(2) Johannes Schiltberger, The Bondage and Travels of Johann Schiltberger, a Native of Bavaria, in Europe, Asia, and Africa, 1396–1427, (ed) Philip Brunn, J. Buchan Telfer ( Translator ), ( London, 1879 ), p.49.

(3) Schiltberger, The Bondage and Travels, margin, (7), p.176.

الثالث عشر إلى القرن الثامن عشر. وكانت شبه جزيرة القرم التي يسكنها اليهود الآن ترسل المستوطنين إلى ليتوانيا، إذ في نهاية القرن الرابع عشر أخذهم الدوق الأكبر فيتوفت ( Duke Vitovt ) تحت حمايته. وظهرت في القرم مستعمرات في مدينتي تروكي ( Troki ) ولوتسك ( Lutzk ) الليتوانيتين واللتان مُنحتا امتيازات واسعة النطاق من قبل حاكم الأرض[1].

وأشار فيشر إلى أنه في أعقاب توغلات القوزاق تلاشى سكان الولاية المشار إليها ، فقال: "وفق المصادر الديموغرافية العثمانية كان في مدينة كافا منذ بداية الثلثين الأولين من القرن السابع عشر أدى توغل القوقاز إلى انخفاض كبير في عدد السكان من غير المسلمين. ومثلت تلك المصادر على شكل سجلات للأسر غير المسلمة الخاضعة لضريبة الجزية ، ولا تقدم أي معلومات على الإطلاق عن السكان المسلمين أو عددهم أو نشاطهم. وعند مقارنتها بالأرقام الخاصة بغير المسلمين الأسر المسجلة في التعداد العثماني للمحافظة المأخوذة في سنة (1545م) ، تظهر أرقام التعداد السكاني في كل حالة انخفاضاً حاداً عن القرن السابق. وشهدت الفترة ما بين سنتي (1545-1638م) انخفاضاً بأكثر من ( 28 % ) في عدد الأسر غير المسلمة وبين سنتي (1638-1649م) ، انخفض الرقم بنسبة ( 30 % ) ، وفي الفترة الأخيرة قيد الدراسة سجل الانخفاض ( 37% ) وبعد أكثر من قرن بقليل بلغ الانخفاض (69 %). وانخفض اليونانيون بنسبة ( 67 % ) ، والأرمن (70 % ) ، واليهود ( 73 % ) ، بينما اختفت جميع المجتمعات غير المسلمة الأخرى تماماً "[2].

---

(1) Dubnow, History of the Jews, vol,1. P.35.

(2) Fisher, The Ottoman Crimea in the Mid-Seventeenth Century, Vol. 3/4, Part,1. p.219.

### ❖ اليهود والتحالفات الاقليمية:

وبعد السيادة العثمانية على شبه جزيرة القرم (1475-1783م) أصبحت العلاقات التجارية أوثق بين المركز اليهودي في شبه الجزيرة وإمارة موسكو ، والتي كانت في ذلك الوقت تحصن نفسها عن العالم الخارجي أو من الصينيين ، ومع وجود استثناءات قليلة ، منعت جميع الأجانب والكفار أو ( Basurmans )[1] من سيطرتها. أما في النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، اضطر دوق موسكو إيفان الثالث ( Ivan III ) ، إلى طلب المساعدة من عدد من يهود القرم في مفاوضاته الدبلوماسية مع خان القرم، منجلي جيراي ( Mengli Guiray ). كان أحد عملاء أمير موسكو يهودياً مؤثراً من كافا ، يدعى خوزا كوكوس ( Khoza Kokos ) ، الذي كان له دور فعال في إقامة تحالف عسكري بين الدوق الأكبر والخان (1472-1475م). ومن الغريب أن نلاحظ أن كوكوس كتب رسائله إلى إيفان الثالث باللغة العبرية ، حتى أن حاكم موسكو ، الذي من الواضح أنه لم يجد أي شخص في موسكو على دراية بهذه اللغة ، كان عليه أن يطلب من وكيله أن يراسله باللغة الروسية أو " بلغة الباسورمان " التترية أو ربما الإيطالية. كما كان هناك عميل آخر لإيفان الثالث هو زكريا قيزولفي ( Zechariah Guizolfi ) ، وكان يهودياً إيطالياً كان يشغل في وقت سابق منصباً مهماً في مستعمرة جنوة في شبه جزيرة القرم ، وكان مالكاً لشبه جزيرة تامان " أمير تامان "[2].

ويستدل من خلال التطورات الآنفة الذكر ما يأتي:

---

(1) هو اسم معاد وغير ودي للمسلمين ، وكذلك بشكل عام لغير المسيحيين ، والأجنبي. الكلمات القديمة التي لم تعد مستخدمة ، موقع ( Gigafox ) على شبكة الانترنت.

(2) Dubnow, History of the Jews, vol,1. P.35-36.

**أ- كان للسيادة العثمانية على شبه جزيرة القرم أثرٌ واضح في تطور العلاقات الاقتصادية مع إمارة موسكو ولعل أحد الأسباب هو لجوء الأخيرة لحماية بلادها من الخطر الصيني.**

**ب- يتبين مدى تأثير اليهود في القرم بدليل لجوء إيفان الثالث لهم في مفاوضاته مع حاكم القرم منجلي جيراي.**

**ج- قلة اليهود المتواجدين في موسكو تلك الحقبة ، فلم يجد حاكمها شخصاً يتقن اللغة العبرية لقراءة الرسائل التي كتبها كوكوس هذا أولاً ، أمَّا كتابة المراسلات الدبلوماسية الخاصة بشبه جزيرة القرم باللغة العبرية فهو دليل على قوة التأثير السياسي لليهود فيها.**

**د- كانت بداية التغلغل اليهودي في موسكو عن طريق الجانب الثقافي وهو اللغة، وهذا ما يؤكده المؤرخ اليهودي دوبنوف إذ قال: " خلال الفترة نفسها ظهرت في موسكو نتيجة دعاية سرية لليهودية ، وهي حركة دينية عُرفت باسم " بدعة التهويد ".**

**هـ- لقد كان أحد اليهود الايطاليين مالكاً على شبه جزيرة تامان " أمير تامان "وهي جزء من القرم ، فلو كان هناك حق لليهود ( الصهاينة ) كما يزعمون في فلسطين ، لكان الأولى بهم التوجه إليها فهي أقرب إلى إيطاليا بلد ذلك اليهودي من القرم. وذلك دليل على مدى تلك الأساطير التي أقاموا دولتهم المزعومة على أساسها.**

### ❖ النفوذ العقدي والثقافي:

وفقًا للمؤرخين الروس ، كان مُنشئ هذه البدعة هو اليهودي المتعلم زكريا ( Skharia ) ، الذي هاجر مع عدد من أتباع الديانات من كييف إلى مدينة نوفغورود

( Novgorod )[1] الروسية القديمة. وتم الاستفادة من الاضطرابات الدينية التي كانت سائدة في ذلك الوقت في نوفغورود ، إذ نشأت طائفة جديدة في المدينة تسمى ستريجولنيكي ( Strigolniki )[2] ، فألغت طقوس الكنيسة ، ووصلت إلى حد إنكار

(1) نوفغورود ، تعرف فيليكي نوفغورود وكذلك باسم نوفغورود فقط ، مضاءة " نيوتاون"، هي أكبر مدينة ومركز إداري لنوفغورود أوبلاست ، روسيا. وتعد واحدة من أقدم المدن في روسيا ، وقد ورد ذكرها لأول مرة في القرن التاسع. تقع المدينة على طول نهر فولكوف (Volkhov) في اتجاه مجرى النهر من بحيرة إيلمين (Ilmen) وتقع على الطريق الذي يربط موسكو وسانت بطرسبرغ. وبلغت ذروتها خلال القرن الرابع عشر ، كانت المدينة عاصمة جمهورية نوفغورود وكانت واحدة من أكبر مدن أوروبا. للمزيد ينظر:

Gwyn Jones, A History of the Vikings, ( Oxford University Press 1969 ), p.131-132 ; Henrik Birnbaum, Lord Novgorod The Great Essays in the History and Culture of a Medieval City-State, (Slavica Publishers, U.S.A, 1981 ) ; Aleksandr Musin, The Rise of Novgorod Revisited, ( Slavia Antiqua, Rocznik poświęcony starożytnościom slowiańskim, 2018,), p.165-194.

(2) Strigolniki ، طائفة دينية روسية ظهرت في منتصف القرن الرابع عشر والنصف الأول من القرن الخامس عشر، وقد تأسست في بسكوف وبعد ذلك في نوفغورود وتفير. أصول الاسم لا تزال غير واضحة ، يعتقد بعض المؤرخين أن الأمر يتعلق بالحرف اليدوية التي انخرط فيها أول Strigolniki ، مثل قص القماش أو تصفيف الشعر ( يبدو أن كلمة strigolnik مشتقة من الجذر الروسي strig )، والتي تعني القطع أو التشذيب. يعتقد البعض الآخر أن الاسم يأتي من حفل بدء خاص ( قصة شعر محددة ، أو ستريجكا ) ، يؤديها شماس يدعى كارب مؤسس الطائفة المفترض جنباً إلى جنب مع الشماس نيكيتا ، لكن يعتقد آخرون أنه قد يعني أن هؤلاء الأشخاص رفضوا إطلاق لحية أو قطعوا لحاهم عندما دخلوا الكنائس في عدة مدن ومناطق روسية أخرى ولكن في المقام الأول في نوفغورود. إن تعداد الأفراد المذكورين الذين اعتبرتهم سلطات الكنيسة زنادقة لا يترك مجالاً للشك في أننا بشكل عام نتعامل مع الرتب المتوسطة والمتوسطة الدنيا ، وخاصة رجال الدين المرتبطين بكنائس أبرشية مختلفة. للمزيد ينظر:=

ألوهية المسيح ، اتصل زكريا به وقد نجح عدة ممثلين عن رجال الدين الأرثوذكس في تحويلهم إلى اليهودية. ذهب زعماء مدينة نوفغورود ، الكاهنان دينيس وأليكسوس إلى موسكو سنة (1480م)، وقاما بتحويل عدد من الروم الأرثوذكس هناك ، حتى أنَّ بعض المتحولين الجدد قد استسلموا لطقوس الختان. وسرعان ما ترسخت " بدعة التهويد " في أوساط نبلاء موسكو وفي دوائر البلاط ، ومن بين المتعاطفين معها كانت زوجة ابن الدوق الأكبر هيلينا. وبسبب استخدام اليهود لـ " الفن الأسود" أو السحر. لذا غرست "بدعة التهويد" في نفوسهم خوفًا خرافيًا من اليهود ، الذين لم يسمعوا عنهم سوى الإشاعات. وطالما سادت مثل هذه الأفكار والأخلاق ، فبالكاد يمكن لليهود أن يتوقعوا استقبالاً وضيافةً من قبل سكان موسكو. ولا عجب إذ أنَّ اليهود يظهرون هناك لفترة طويلة ، ليس بصفتهم مقيمين دائمين ، ولكن بصفتهم تجاراً متجولين ، وهناك حالات قليلة ونادرة منحوا حق الإقامة المؤقتة في روسيا المقدسة "[1].

## ❖ البعد الاجتماعي:

تشير معظم الوثائق التي وصلت إلينا من تلك الفترة بأنه خلال الحقبة الزمنية ما بين القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر كان في مدينة تشوفوت كالي مجتمع قرائين كبير وراسخ. وكانت هذه المدينة بمثابة عاصمة لخانات القرم حتى بداية القرن السادس عشر إلى أن قام خان منجلي جيراي ( Mengli Giray ) بنقل العاصمة إلى بخشيساراي (Bakhchisarai)، وأصبحت تشوفوت كالي نوعاً من

=David M. Goldfrank, Burn, Baby, Burn: Popular Culture and Heresy in Late Medieval Russia, (The Journal of Popular Culture1998 Vol. 31, Iss. 4 ), p.17-32.

(1) Dubnow, History of the Jews, vol,1. P. 36-38.

الجيتو، حيث بقي معظم سكانها من غير المسلمين من اليهود وبعض الأرمن ، وكضاحية للعاصمة الجديدة ، بدأت تشوفوت كالي في التطور اقتصادياً ، ووصلت إلى ذروة ازدهارها في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، واستمر هذا الازدهار حتى الغزو الروسي[1].

مع وصول التتار إلى السلطة في قرق يير ( Qırq–Yer ) ، تغير الوضع العرقي هناك إلى حد كبير. ربما تم نقل السكان المسيحيين من القوط وآلان ( Goths and Alans ) إلى وادي مريم – ديري المجاور. نحن نفتقر إلى المصادر المكتوبة المتعلقة بهذه المشكلة ، لكن إنشاء دير الصعود في نهاية القرن الخامس عشر أو بداية القرن السادس عشر يضفي مصداقية على هذه الفرضية. ومع ذلك ، بقي تتار القرم بحاجة إلى مساعدة بعض الدول الأخرى الأكثر استقراراً من دولهم لدعمهم في حياتهم اليومية. ولذلك سرعان ما تم ملء الفراغ الذي ظهر بعد إزالة القوط وآلان من قبل القادمين الجدد ، القرائين والأرمن. وهكذا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر كان يسكن قرق ممثلو الطوائف المسلمة واليهودية (القرائية على الأرجح) والأرمنية[2].

لقد تم ذكر هذه المجتمعات الثلاثة على أنها سكان قرق– يير في أمر أو ميثاق مكتوب صادر عن خانات القرم لخانات القرم في سنتي (1459 و 1468م). ويطلق على زعيم الجالية اليهودية هناك " المعلم يهوذا " – في رأيي – مع ذلك كان من الممكن أن يكون القرائين قد استقروا في قرق منذ وقت مبكر من القرن الرابع عشر

---

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.732.

(2) Mikhail Kizilov, The Karaite Communities of Chufut – Kale and Mangup : History and Topography of the Settlements, , in Karaite Judaism. A guide to its history and literary sources, Meira Polliack (ed), ( Brill Leiden, Boston, 2003 ), p.762.

في أثناء غزو التتار للمدينة. ويمكن دعم هذا الاقتراح من خلال أساطير القرائين في أواخر القرن التاسع عشر والتي على الرغم من طابعها التاريخي المزيف والمختلط ، يبدو أنها تحافظ على حُبيباتٍ من المعلومات التاريخية الحقيقية حول وصول القرائين إلى قرق في القرن الرابع عشر ، ووفقاً لأحدهم فقد أحضر التتار خان باتو معه أربعين عائلة قرائية واستقروا في المستوطنة التي سميت بدأت فيما بعد تشوفوت كالي ( Dschuffut – Kale )[1].

ومن الشهادات المهمة عن سكان هذه المدينة من القرائين هي تلك التي قدمها الرحالة ، أوليا الجلبي ( Evliya Chelebi ) ، الذي زار شبه جزيرة القرم مرتين بين سنتي (1641 و 1667م). وقد قدم أكثر التفاصيل المثيرة للاهتمام حول حياة المجتمعات القرائية في مانغوب ( Mangup ) وتشوفوت كالي ( Chufut–Kale ). ويؤكد على الطابع اليهودي لتشوفوت إذ قال: " **لا يوجد مسلمون هناك إطلاقاً وحتى قائد القلعة والملاك والجنود في القلعة وحراس البوابة جميعهم يهود** ". وأكّد الجلبي بأنه كان هناك ( 1530 ) منزلاً لليهود وأن أفراد المجتمع الفقراء يعيشون في كهوف منحوتة في الصخر. وأضاف " **بأن معظم سكان مدينة مانغوب من اليهود** " كان فيها (1000) ألف منزل لليهود"[2].

وعلقت كولدا أخيزر ( Golda Akhiezer ) على ذلك ما نصه: " **إلا أن هذه الأرقام مبالغ فيها بلا شك ، وربما لم يكن هناك سوى بضع مئات من المنازل** ". ووفقاً لبيانات التعداد السكاني، كان هناك ( 76 ) أسرة يهودية فقط ، وفي سنة

(1) Kizilov, The Karaite Communities, p.762.

(2) Evliya Çelebi, Seyahatnamesi, ( Istanbul, 1985 ), vol.7.p.774 ; Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.733.

(1649م) ، ( 68 ) أسرة فقط ، وبعد ذلك في سنة (1662م) ، كان هناك ( 51 ) أسرة فقط ، مقارنة بـ ( 48 ) أسرة في سنة (1529م)[1].

منذ القرن الثامن عشر ، لدينا أدلة عددية تتعلق بأربعة مجتمعات في شبه جزيرة القرم ( تشوفوت كال ، وكوزليف ، وكيفي ، ومانغوب ) بواسطة سمحا يشحاق لوكي ( Simhah Yişhaq Lucki ) ، أحد كبار حكماء ذلك الجيل. وفقاً له:

" **في كل منهم هناك نحو ( 500 ) أسرة ، في المجمع المقدس في كالي هناك ما يقرب من ( 300 ). في المجمع المقدس في كوزليف هناك نحو (105) أسرة. في كيفي نحو ( 50 ) أسرة. وفي المجمع المقدس في مانغوب نحو (40 ). علاوة على ذلك في مدينة ( Sulkhat ) القريبة من المجمع المقدس في كيفي ، كان هناك تجمع كبير في وقت سابق وكان الكنيس فيه أكبر بكثير من جميع المعابد الأخرى. والآن لا يوجد سوى حزان[2] هناك يراقب الكنيس في كل من التجمعات الثلاث ، يوجد بيت دراسي واحد عادي لتوراة التلمود وفي كل بيت دراسي مدرس منفصل ويدرسون طوال اليوم من الصباح حتى الليل دون انقطاع** ".

---

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.733.

(2) الحزان: هو المنشد ويعد بمثابة الخطيب في الطائفة اليهودية يصعد المنبر ويعظهم , وأن يكون حسن الصوت لجذب انتباه المستمعين إليه , ويكون قادراً على مخاطبتهم ومحاورتهم , ومن أهم واجباته القراءة الملحنة (المجودة) أثناء الصلاة في المعبد. القلقشندي , أحمد بن علي بن أحمد ( ت 821هـ / 1418م ) , صبح الأعشى في صناعة الإنشاء , ( دار الكتب العلمية ، بيروت , د.ت ) , 445/5.

وأضاف لوكي ، " **أنه كان هناك سبعة بيوت دراسية في مدينة تشوفوت كالي، لكن ثلاثة منها لم تكن نشطة. درس أكثر من ثلاثين طالباً مع لوكي نفسه ، في منزل الدراسة في تشوفوت كالي**"[1].

وقد أشارت مصادر قريبة زمنياً من لوكي ، إلى قيام تاجر ألماني نيكولاس إرنست كليمان ( Nicolaus Ernst Kleemann ) بزيارة شبه جزيرة القرم في سنة (1769م) ، كتب أنه كان هناك في تشوفوت كالي (120 ) منزلاً محاطاً ببرج الصور والأبراج القديمة ، يسكنها بشكل عام يهود وهم أغنى سكان القرم ، وإنهم مكروهون من قبل اليهود الحقيقيين ، لأنهم لا يبتعدون عن التلمود ، وتحكمهم التوراة[2]. وأشار تونمان ( Tunmann ) كذلك إلى رقم (120) منزلاً في كتابه عن شبه جزيرة القرم ، والذي بدأ في كتابته سنة (1777م). بينما سجل روم ( Romm ) ( 200 ) منزل و ( 1200 ) نسمة في سنة (1786م) ، ولاحظ المسافر بيوتر سوماروكوف ( Piotr Sumarokov ) وجود ( 227 ) منزلاً في سنة (1799م)[3].

كما وتشير البيانات الإحصائية حول سكان القرم من قبل بالاس ( Pallas ) ، الذي كتب عن جغرافية القرم والذي زار القرم بعد نحو عشر سنوات من الغزو الروسي. ووفقاً لتقديراته أنّه بين سنتي (1793-1794م ) ، كان هناك نحو ( 200 ) أسرة قرائية في تشوفوت كالي وإجمالاً نحو ( 1200 ) شخص. أما في منطقة بخشيساراي المجاورة نما سكان القرائين. وكان هذا على ما يبدو بسبب الهجرة الجماعية للتتار ونقل

---

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.733.

(2) Nicolaus Ernst Kleemann, Voyage de Vienne a Belgrade et a Kilianova, Dans le pays des Tartares Budziacs and Nogais dans la Crimee, ( Societe typographique de Neuchatel, France, 1780 ), p.106-107.

(3) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.733-734.

المسيحيين إلى الأراضي الروسية. ويذكر أنَّ هناك (1561) أسرة في بخشيساراي ، يبلغ عدد أفرادها ( 5776 ) نسمة. ومن بين هؤلاء كان هناك نحو ( 3000 ) من التتار ، و( 204 ) من اليونانيين ، و( 51 ) من الأرمن ، و ( 1162 ) من اليهود. وتم تسجيل ( 420 ) من اليهود كتجار ، بينما كان هناك ( 287 ) تاجراً فقط بين التتار. وكان لليهود معبدين يهوديين وسلطة قضائية مستقلة. وكان بعض هؤلاء اليهود قرائين من تشوفت كالي الذين بدأوا في تطوير أعمالهم في بخشيساراي بعد أن رفعت السلطات الروسية القيود المفروضة على ذلك ، بعدما غادر معظم منافسيهم المسيحيين شبه جزيرة القرم[1].

بينما قدم لاشكوف ( Lashkov ) بيانات من تقارير القائمقام بتاريخ (17 كانون الاول 1783م) فيما يتعلق بالمنازل السليمة والمتضررة لسكان القرم. ويذكر أنه في بخشيساراي كان هناك ( 217 ) منزلاً يهودياً ( أي نحو 1085 شخصاً ) ولم يتم الإبلاغ عن منازل متضررة ، بينما تم تدمير ( 27 ) منزلاً من بين ( 1215 ) منزلًا من التتار ، في كاراسوبازار (Karasubazar) كان هناك ( 93 ) منزلا يهودياً ( نحو 465 شخصاً ) بينما بين التتار (666) منزلاً سليما و( 193 ) منزلاً متضرراً. بالإضافة إلى ذلك ، بقي ( 16 ) منزلاً فارغًا بعد أن هاجر أصحابها من شبه جزيرة القرم. كما لوحظ بأنه كان هناك في شبه جزيرة القرم ( 469 ) أسرة يهودية نحو (2345) شخصاً. إذاً سيكون من المعقول أن نفترض أن بعض هؤلاء كانوا من اليهود الربانيين ، على الأقل في كاراسوبازار. ويبدو أنَّ إحصاءات السكان اليهود في بخشيساراي تتعلق أيضًا بمنطقة تشوفوت كالي المجاورة جزئياً على الأقل[2].

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.752.

(2) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.752-753.

ويستدل من البيانات المذكورة أعلاه إلى العديد من الجوانب المهمة لعل من أبرزها:

**أ- تعدد مناطق الاستقرار ، إنَّ اليهود لم يستقروا في منطقة محددة من شبه جزيرة القرم ، بل في مناطق عدة مثل تشوفوت كالي وبخشيساراي و كاراسوبازار.**

**ب-تفوق تجار اليهود ، إنَّ معظم اليهود كانوا من التجار ويتفوقون على غيرهم من سكان شبه جزيرة القرم سواء من التتار أم غيرهم.**

**ج- فرق يهودية ، كانت هناك فرقتان من اليهود القرّائين والربانيين ولهم معبدان وسلطة قضائية مستقلة خاصة بهم ، وذلك أمر طبيعي حتى قبل سيطرة الروس كونه نابع من حرية الأديان الذي أقره التشريع الإسلامي.**

**د- تطوير الاعمال ، أقدم اليهود على تطوير أعمالهم بعد سيطرة السلطات الروسية على القرم، لكن اللافت للنظر هو إقدام الروس على رفع القيود التي كانت مفروضة عليهم ، وهذا ربما يشير إلى وجود تعاون بينهم حتى قبل سيطرتهم على القرم.**

وفي أثناء الحرب الأهلية فرّ بعض سكان التتار إلى الدولة العثمانية. وازدادت موجات الهجرة بعد الفتح الأخير سنة (1783م) ووصلت ذروتها خلال الفترة (1785-1788م) ويشار إلى أن العديد من القرائين نمت ثروتهم من خلال حق بيع أراضي التتار الذين هاجروا إلى تركيا. وفي سنة (1793م) ، قام الروس بطرد جميع سكان مانغوب في ظل ظروف غير واضحة ، وانتقل الأعضاء الباقون من المجتمع القرائي إلى تشوفوت كالي حيث أقاموا كنيساً خاصاً بهم. ومنذ نهاية القرن الثامن عشر ، انخفض عدد سكان تشوفوت كالي تدريجياً وفي القرن التاسع عشر لم يتبق سوى عدد قليل من العائلات هناك. وكان أحد أسباب هجر المدينة تجفيف آبار المياه...

بالإضافة إلى ذلك تدفق القرائيون إلى المدن الساحلية الكبيرة بحثًا عن فرص اقتصادية غير محدودة ، إلى كافا وكوزليف ومناطق أخرى من روسيا ، إذ لم يواجهوا أي قيود داخل المستوطنة ، على عكس الربانيين ، وهكذا تم إنشاء مجتمعات قرائية صغيرة في العديد من المدن في القرن التاسع عشر. يصف شموئيل بيجيت (Shemuel Pigit)، الذي عاش في تشوفوت كالي ، في مذكراته أنه خلال حرب القرم (1853-1856م) انتقلت مائة عائلة قرائية من كوزليف وسيفاستوبول ، وعلى رأس المجتمع كان هناك مثقف قرائي يدعى شلوموه بيم ( Shelomoh Beim ) واحتلوا منازل خالية وبقوا فيها عدة سنوات[1].

ووفقاً للبيانات الرسمية بعد الغزو الروسي لشبه جزيرة القرم ، بلغ عدد أفراد المجتمع القرائيين ( 2400 ) نسمة. يجلب فيركوفيتش ( Firkovich ) بيانات ديموغرافية مختلفة عن سنة (1835م) ، وتشير إلى عدد من المجتمعات في شبه جزيرة القرم وخارجها ، إذ يعيش معظم سكان القرم السابقين. ووفقاً لهذه الإحصائيات فقد كان هناك ما لا يقل عن ( 3540 ) قرائياً في الإمبراطورية الروسية. وفي القرن التاسع عشر ، دخل القرائيون حقبة جديدة في تاريخهم. إذ أدت الحقوق المتساوية التي حصلوا عليها من خلال جهود قادتهم إلى اندماجهم الكامل في المجتمع الروسي. وفي الوقت نفسه عجلت هذه العملية بإعادة تعريف أصولهم وتراثهم اليهودي وإنشاء مؤسسات جديدة داخل المجتمع[2].

خلال القرن التاسع عشر ، استمرت الحكومة القيصرية في الاعتراف بالقرائين كمجموعة عرقية دينية فريدة ، ومنحتهم الحقوق والامتيازات التي حُرم منها المجتمع اليهودي الروسي. في سنتي (1827 و 1828م) ، تم إعفاء القرائين من الخدمة

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p.753-754.

(2) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 738-739.

العسكرية ، بينما كان اليهود الروس مثقلين بمسؤولية إمداد جيش القيصر بالقوات. وفي سنة (1863م) مُنح القراؤون الروس الجنسية الروسية الكاملة ، وهو امتياز لم يحصل عليه اليهود الروس حتى الثورة الروسية سنة (1917م)[1].

## ❖ البعد الاقتصادي والمالي:

أما عن الوضع الاجتماعي ليهود القرم فليس هناك سوى معلومات قليلة حول موضوع الضرائب على القرم ، وكذلك عن اليهود بشكل عام. بصرف النظر عن أنواع الضرائب المذكورة في اليرليكس ( yarliqs ) التي تشير إلى القرائين في تشوفت كالي ، ولا توجد وثائق من مناطق أخرى من شبه جزيرة القرم ، نظراً لأنَّها هذه لم تكن خاضعة للحكم المباشر للإمبراطورية العثمانية ، وبالتالي ليس لدينا بيانات رقمية بخصوص تحصيل الضرائب. كان السكان اليهود في القرم ، على غرار السكان المسيحيين ، يتمتعون بوضع الحماية ، حيث يدفعون الجزية بالإضافة إلى (الخراج) الذي يدفعه أصحاب الأرض لحاكم التتار ، سواء كانوا مسلمين أو محميين ( أهل الذمة )[2].

تشير الوثائق التي كتبها عزريا بن إيليا [3]، إلى وجود معلومات فريدة حول تغيير السياسة المتعلقة بالضرائب في الخانات في عهد الخان شاهين جيراي (1745-

---

(1) Warren Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities: Ashkenazim, Krimchaks and Karaite, ( Jewish Social Studies, Spring, 1984), Vol. 46, No. 2, p.170.

(2) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 734.

(3) عزريا بن إيليا ( Azariah Ben Eliyah ) ( ت بعد 1838م ) ، أحد قادة المجتمع القرائي في تشوفوت كالي ومؤرخه. لا يُعرف سوى القليل جداً عن حياته. وقع خطاباً سنة (1810م) من مجتمع تشوفوت كالي إلى القسطنطينية ، بخصوص الدعم المالي للمجتمع القرائين في القدس. وقد كتب=

1787م) ، وهو آخر الخانات لشبه جزيرة القرم. ويضيف عزريا بيانات جديدة عن وسائل الجباية ، ومعدلات الضرائب الجديدة التي دفعها السكان ، وأفراد المجتمع القرّائي الذين مثلوهم أمام الحكام:

" وأمر الملك أن يتم إحضار عشرين من الأعيان من جميع المدن والقرى الخاضعة للضريبة ويجمعهم معاً ، كما طلب منا رجلين. وانطلق من بيننا رجلان مهمان ومشرفان ، السيد الكريم بنيامين المؤمن ، الحكيم ، والمكرم الحاخام يوسف المحترم ، ولم نهتم بما كان عليه الأمر إلا إنّه كان أمراً فظيعاً جداً ، وقد اجتمع جميع الرجال المعينين معاً أمام الملك باشا ، المسمى قائمقام وأصدر الملك أمراً قائلاً: أيها تريدون ؟ إما أن نعطي الجباية كما ثبَّت ديننا ، وهي ثمانية وأربعون شيكلاً من الفضة الخالصة للرجل الغني ، وستة وعشرون لمتوسطي الحال ، واثني عشر للفقير أو حسب تقليد الملوك الذين سبقوني الذين كانوا يأخذون منك ما تشتهيه قلوبهم. اختر لأنفسكم الطريق الأفضل. وأجابوا جميعهم بالإجماع قائلين " سنعطي الضريبة حسب رغبة قلبه" وقال أن يأخذها كما هي العادة عند التوغار ( Tugars ) "[1].

يشير النص أعلاه إلى تغيير في الإجراءات الضريبية والمساواة بين المسلمين والشعوب المحمية ( الذمية ) التي وضعها خان شاهين جيراي ، مما أثار استياء رعاياه الذين رأوا فيه إهانة لقوانين الإسلام. يمكننا أيضًا أن نعلم من اليرليكس ( Yarliqs )[2]

---

تاريخاً مهماً يصف فيه أحداث الحرب الأهلية في شبه جزيرة القرم أثناء الغزو الروسي (1777-1783م). ينظر: Encyclopedia Judaica, vol.2, p.762.

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 734-735.

(2) اليرليكس (Yarliqs) ، هو مرسوم أو أمر مكتوب لحكام المغول والجنكيسيد ( Chinggisid ) الدبلوماسية الرسمية. كان أحد ثلاثة أنواع من أحكام القانون غير الأساسية التي كان لها تأثير لائحة أو مرسوم، والنوعان الآخران هما دفتر (سجل حالات الأسبقية للقرارات الإدارية والقضائية) والفوترة =

الممنوحة لمجتمع تشوفت كالي من قبل الخانات حول حقوق القرائين داخل هذه المدينة. وتم توظيف أفراد المجتمع اليهودي من قبل الخان كرعايا ، واستخدموا لحراسة قلعة تشوفت كالي التي كانت تقف على بعد نحو سبعة كيلومترات من العاصمة (Bakhchisarai). لذلك حصلوا على مزايا خاصة: الإعفاء من الضرائب المختلفة ، بما في ذلك الإعفاء من أعمال السخرة للملك ، ومن شرط إسكان المسؤولين الحاكمين والجنود في منازلهم ومنحهم خيول وعربات وما إلى ذلك.

" اشتكى يهود تشوفوت كالي إلى الخان حول الضرائب الجديدة التي زعموا أنها كانت مرتفعة للغاية ، وبعد أن ذكروا محنتهم ، أُلغيت الضرائب وأعمال السخرة "[1].

وما يؤكد النفوذ اليهودي في القرم توليهم مناصب مهمة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت عناك عائلة الآغا اليهودية. " كان شموئيل بن إفراهام ( Shemuel ben Avraham ) وابنه بنيامين من الشخصيات الرئيسية لهذه العائلة في الفترة التي نناقشها. كان شموئيل آغا ، أحد قادة المجتمع ، والمعروف كذلك بلقب روش هجولا ( المبتهج ) ، عينه خان التتار ، كريم جيراي في تشرين الأول/ أكتوبر (1768م) ، لسك العملات المعدنية في البلاط ، ثم حصل على لقب آغا... وكان ابنه بنيامين آغا

=(أقوال أو أقوال منسوبة إلى جنكيز خان ). يوفر الجرليك معلومات مهمة حول إدارة الإمبراطورية المغولية. ينظر:

William A Wood, A Collection of Tarkhan Yarliqs From the Khanate of Khiva, (Bloomington, Indiana, 2005 ), P.30-31.

(1) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 735.

قائداً وشفيعاً لمجتمع القرائين في تشوفوت كالي . بالإضافة إلى أنه كان خبيراً في الهالاخاه ( Halakha ) [1] وكان مرجعاً في التقويم "[2].

وفي النصف الأخير من القرن السابع عشر ، كانت جماعة تشوفوت كالي ، التي اقتربت من أوج ازدهارها الاقتصادي ، تقدم وبانتظام المساعدة إلى مجتمعات أخرى مثل لوك ( Luck )[3] وتروكي ( Troki )[1] ودمشق ، وعلى وجه الخصوص

---

(1) الهالاخاه ( Halakha ) من أهم عناصر الأدب اليهودي في فترة النقاش ما يعرف بالهالاخاه ، أي مجموع القواعد والقوانين المستمدة من الكتاب المقدس ، من الفكر الديني والتعليم ، ومن الفقه والعرف، وبذلك تحكم جميع جوانب الحياة اليهودية. مهما كان المعنى الأصلي ، فإن الظاهرة الأوسع لتشمل الهالاخاه كلاً من: "ما يذهب إسرائيل" ، أي طرق عيش الشعب اليهودي ، والشرائع الثابتة التي انبثقت عن الفكر ودراسة الحكماء الفريسيين ودوائر أخرى داخل المجتمع اليهودي. وبالتالي لا يمكن اشتقاق فهم كاف لأدب الهالاخاه فقط من الشكل الأدبي الذي تم إصلاحه وحفظه في النهاية ، ولكنه يتطلب نظرة ثاقبة لطبيعة وتطور الهالاخاه التاريخي. للمزيد ينظر:

Shmuel Safrai Executive and Peter J. Tomson (ed), The Literature of the Sages, Part One: Oral Torah, Halakha, Mishna, Tosefta, Talmud, External Tractates, ( Van Gorcum, Assen/Maastricht Fortress Press, Philadelphia, 1987 ), p.121-209.

(2) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 737-738.

(3) لوك ( Luck )، بلدة صغيرة في بوهيميا جمهورية التشيك. وفقاً للتقاليد ، أسس يهود بافاريا المدينة في القرن الحادي عشر الميلادي ، وقد ورد ذكرهم في السجلات المحلية لسنة ( 1198م ). وكان على يهود لوكا تقديم كأس للملك ( 1278-1253 ) ( Premysl Ottakar IIم ) عندما زار البابا. في سنة (1432م) تم ذكر "مكان عبادة" لليهود فيها. وخلال حرب الثلاثين عامًا (1618-1648م) ، ودمر مرض الطاعون المجتمع تقريباً. ويهود لوكا ، قاموا بأعمال تجارية في مدينة كارلسباد ( Carlsbad ) المجاورة للوكا. ونشب حريق في سنة ( 1842م ) تم تدمير الكنيس والسجلات المجتمعية. في سنة (1850م) كان ( 1150 ) يهودياً يعيشون في لوكا (80٪ ) من=

المجتمع في القدس. وتم العثور على رسالة مؤرخة في سنة (1775م) تتضمن بيانات مهمة تبين الدعم المالي الذي كانت ترسله المجتمعات القرائية في شبه جزيرة القرم من مجتمع تشوفوت كالي إلى اقرانهم في القدس. وكذلك قدمت مساعدات من قبل مجتمع تشوفوت كالي ، برئاسة بنيامين آغا ، إلى القرائين في اسطنبول لإصلاح كنيسهم الذي احترق سنة (1794م)[2].

## ❖ النفوذ السياسي لليهود:

بعد تولي الخان الجديد العرش عين بنيامين آغا ، كوالده لصك العملات المعدنية في البلاط. وكان بنيامين آغا نفسه نشطاً جداً في العمل لصالح مجتمعه ودعم المجتمع في القدس. عندما وصل شاهين جيراي إلى السلطة وقرر تنفيذ سلسلة من

---

إجمالي السكان. خدم في المدينة حاخام أرثوذكسي وواعظ إصلاحي. وسمح لهم بحرية الحركة حتى قبل ثورة (1848م). للمزيد ينظر: Encyclopaedia Judaica, Vol.13.p.254.

(1) تروكي ( Troki )، مدينة في ليتوانيا. تم ضمها إلى روسيا بعد التقسيم الثالث لبولندا (1795م)، تحت الحكم البولندي خلال الفترة ( 1922–1939م ). تُعرف تروكي بأنها موقع صراع ممتد بين اليهود القرّائيين والربانيين. كانت أقدم وأهم مجتمعات القرّائيين في مملكة بولندا وليتوانيا ، على ما يبدو، بعد أن أسسها القرّائيون الذين تم جلبهم من شبه جزيرة القرم. بعد سنة (1625م) ، استقرت بعض العائلات الربانية في تروكي وانخرطت في التجارة ، ولكن في سنة (1646م) حصل القرّائيون من لاديسلاوس الرابع ( Ladislaus IV ) على أمر يمنع هؤلاء اليهود من العيش في تروكي والتنافس مع القرائين في التجارة. في سنة (1765م) كان هناك نحو (150) ربانيًا و(300) قرائياً في تروكي وضواحيها. بعد انضمام تروكي إلى روسيا ، استقر العديد من اليهود الذين طُردوا من القرى هناك سنة (1804م). للمزيد ينظر: Encyclopaedia Judaica, Vol.20.p.154–155.

(2) Mann, Texts and Studies in Jewish History, vol.2.p.1392–1393.

الإصلاحات الاقتصادية والسياسية ، قام بتأجير الرسوم الجمركية على مبيعات النبيذ لبنيامين آغا سنة (1781م)[1].

**وفي سنة ( 1795م ) تم اختياره مع سليمان بن ناهامو بابوفيتش (Solomon ben Nahamu Babovich ) وييشاك بن شلوموه لوكي ( Yişhaq ben Shelomoh Lucki ) من تشوفوت كالي للسفر إلى سانت بطرسبرغ في مهمة خاصة للحكومة. ونجح الوفد في إعفاء القرّائين في شبه جزيرة القرم من الازدواج الضريبي الذي فرض على يهود الإمبراطورية الروسية. كما تمكنوا من الحصول على حقوق أخرى لأشقائهم ، مثل الحق في شراء الممتلكات غير المنقولة. وفي سنة ( 1806م ) استأنف بنيامين مع شقيقه سمحة العمل في دار نشر في تشوفوت كالي ، والذي يعد أول دار للنشر تأسس في شبه جزيرة القرم سنة ( 1734م ) على يد الأخوين أفيدا وشابتي يرقا ، اللذين انتقلا من اسطنبول إلى تشوفوت كالي**[2].

## ثانياً: المشروع اليهودي في شبه جزيرة القرم:

البداية تستمد أول خيوطها من مطامع الصهيونية العالمية ومحاولات الوكالة اليهودية الأمريكية التي استهدفت بناء **وطن قومي لليهود في شبه جزيرة القرم** ، وتختلط مع ما تحتفظ به الذاكرة من حقائق حول ما أميط عنه اللثام من حقائق ومعلومات بشأن ما تعرض له وزير خارجية الاتحاد السوفييتي الأسبق فياتشيسلاف مولوتوف اليهودي الهوى من متاعب ، اضطر معها إلى الصمت والإذعان لقرار

(1) Jacob Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature: Ḳaraitica, (Philadelphia, 1935 ), vol.2.p.457.

(2) Akhiezer, The History of the Crimean Karaites, p. 738-739.

ستالين وتوجيهاته بإيداع زوجته بولينا جيموتشوجينا سجون كازخستان بسبب اتهامها بالتجسس ، ورصد علاقتها المشبوهة لاحقاً بجولدا مائير أول سفيرة لـ " إسرائيل " في موسكو ، وهو ما كشف عنه ميخائيل بولتورانين أول وزير إعلام للرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسين ونائبه الأول في رئاسة الحكومة الروسية ، استنادا إلى ما اطلع عليه من وثائق أرشيف " الكي جي بي " ، من موقعه كرئيس للجنة الكشف عن وثائق " كي جي بي" ( لجنة أمن الدولة ). وكان مولوتوف تعرض أيضا لمحاولات اتهامه بتأييد فكرة ترحيل اليهود الفارين من الحرب من بيلاروسيا وأوكرانيا إلى القرم وتوطينهم في مساكن تتار القرم الذين جرى تهجيرهم عنوة إلى سهوب سيبيريا وكازخستان بسبب اتهامات ولائهم وتعاونهم مع قوات النازية الهتلرية إبان سنوات الحرب العالمية الثانية. وكانت مصادر روسية كثيرة قالت إنها " فكرة أمريكية " تقدم بها عدد من زعماء اللجنة اليهودية لمناهضة الفاشية ومنهم سولومون ميخوئيليس مع نهاية الحرب العالمية الثانية لاستقطاع القرم وتنفيذ ما عجزت الدوائر اليهودية والأمريكية عنه في عشرينيات القرن الماضي[1].

**واستعرض بولتورانين مطامع اليهود تجاه شبه جزيرة القرم وما فعلوه من أجل تحويلها إلى وطن قومي بدلا من فلسطين في عشرينيات القرن الماضي ، وكشف المسؤول الروسي عن كثير من الوقائع التي كان من أبرز أبطالها ستالين وروزفلت وجولدا مائير** ، إلى جانب ما قاله حول أسباب اضطرار ستالين إلى تهجير تتار القرم إلى سهوب سيبيريا وكازخستان تحت ضغط أمريكي من أجل توطين اليهود الذين تدفقوا على شبه الجزيرة ، في توقيت كانت الولايات المتحدة تنسج فيه حبائلها

(1) سامي عمارة، موسكو – تل أبيب وثائق وأسرار، ( دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط1، 2021) ، ص248.

للانتشار على كل ضفاف البحر الأسود ما يهدف عمليا إلى عزل الاتحاد السوفييتي عن هذه " البحيرة الدافئة "[1].

❖ **وعد لينين بوطن بديل لليهود:**

وكانت اللجنة اليهودية الأمريكية ( American Jewish Joint Distribution Commite)[2] التي تأسست سنة (1914م) **لتقديم الدعم إلى يهود شرق أوروبا ، أقنعت لينين في سنة (1922م) بجدوى شراء صكوك مالية تقدر بعشرين مليون دولار تسدد بمقدار مليون ونصف مليون دولار سنوياً مع تأجيل السداد حتى سنة (1945م) ، وعلى عشر سنوات بضمان ( 375.000 ) ألف هكتار من أجود أراضي القرم مقابل إنشاء ( الجمهورية اليهودية السوفييتية الاشتراكية في القرم )**. وقبل لينين هذه الشروط التي التزم بها خلفه ستالين بناء على اتفاق وقعه مع الوكالة اليهودية في سنة (1929م) بإنشاء ما يسمى بـ **( كاليفورنيا القرم )**. وكانت اللجنة اليهودية الأمريكية أقنعت القيادة السوفييتية بجدوى الاتفاق الذي أرفقته بالعديد من العروض ، ومنها إمداد شبه الجزيرة بأحدث المعدات الزراعية الأمريكية ، بل وأقامت في موسكو معرضاً لهذه المعدات التي قالوا إنهم سوف يرسلونها إلى القرم ، وقام لينين بتفقده على الرغم من مرضه في أعقاب محاولة اغتياله ، ما كان مقدمة لقراره بالموافقة على توطين اليهود هناك. وتدفق اليهود على القرم لتظهر

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص248.

(2) عن نشاط الجمعية اليهودية الامريكية ينظر:

Joseph C. Hyman, Twenty-Five years of American aid to Jews Overseas: A Record of the Joint Distribution Committee, in The American Jewish Year Book, (September 14, 1939 to October 2, 1940 ), vol.41. p.141-179.

المزارع التعاونية ( الكولخوز )[1] التي بلغ عددها ( 186 ) مزرعة ، ومعها بدأ صرف أول القروض المالية التي كان التقاعس في سدادها يعني أحقية أصحاب الصكوك – وكان عددهم ( 200 ) من اليهود الأمريكيين ، في ملكية أراضي القرم ، ومنهم الرئيس روزفلت وزوجته إليانورا ، والمليونير روكفلر ، والاقتصادي المعروف مارشال صاحب المشروع الاقتصادي لإعادة بناء أوروبا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. ومن اللافت أن هذه القروض كانت تذهب إلى يهود القرم مباشرة دون رقابة الميزانية الاتحادية للدولة السوفييتية. سارع تتار القرم إلى الانتفاضة وتحدي السلطة السوفييتية وراحوا يداهمون عربات القطارات التي كانت تصل محملة باليهود إلى عاصمة الإقليم سيمفروبول ويرغمونها على العودة دون نزول أي من ركابها إلى أراضي القرم[2].

يتضح هنا بأن اليهود قد توصلوا إلى اتفاق مع لينين ( وعد لينين ) سنة (1922م) يقضي بإقامة ( الجمهورية اليهودية السوفييتية الاشتراكية في شبه جزيرة القرم ) ويستنتج من ذلك العديد من المسائل المهمة وهي:

**أ- لم نرَ أو نسمع أي ذكر لفلسطين في المحادثات التي كانت تجري بين كلا الطرفين.**

---

(1) للمزيد عن المزارع التعاونية الكولخوز ينظر:

Csaba Csaki and Zvi Lerman, Land Reform and the Restructuring of Kolkhozes and Sovkhozes, In book: Food and Agricultural Policy Reforms in the Former USSR: An Agenda for Transition, ( World Bank, Europe and Central Asia Region, (ed) Mohinder S. Mudahar, 1992 ).

(2) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص249.

**ب-اختفاء الجانب العقدي في أمر إقامة الجمهورية اليهودية ولو كان هناك أي أحقية لهم بنصوص دينية لما قبل اليهود بذلك كون هناك تعارض واضح ما بين الجانب الديني والاشتراكي.**

**ج- إن عائدية القروض المالية التي كانت لمأتين من اليهود الأمريكيين وكانوا ما بين سياسيين ورجال اقتصاد ، وذهاب تلك القروض إلى يهود القرم ومن دون سيطرة رقابة الميزانية الاتحادية السوفييتية ، وتلك دلالة واضحة على أن تلك العملية كان يخطط لها بصورة سرية من قبل يهود الولايات المتحدة الامريكية ويهود الاتحاد السوفييتي ( روسيا ).**

**د- كانت هناك معارضة من قبل سكان القرم التتار الذين سارعوا إلى الانتفاض وتحدي السلطة السوفييتية وراحوا يداهمون عربات القطارات التي كانت تصل محملة باليهود إلى عاصمة الإقليم سيمفروبول ويرغمونها على العودة دون نزول أي من ركابها إلى أراضي القرم.**

**هـ- إن مرجعية مشروع شبه جزيرة القرم هي الوكالة اليهودية ، وقيادات المشروع اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية بالاتفاق مع ولينين وستالين.**

## ❖ ستالين بين مشروع القرم وفلسطين:

أدرك ستالين خطورة الموقف ، ليفاجئ الجميع باتخاذ قراره حول إنشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي في الشرق الأقصى على ضفاف المحيط الهادئ بعيداً عن القرم في سنة (1934م) وهي المقاطعة الموجودة حتى اليوم ، وإن رفض يهود ذلك الزمان الرحيل إليها. واتخذ ستالين قراره بالتراجع عن تنفيذ فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في القرم مؤكداً أن الاستمرار في ذلك يمكن أن ينسف الاستقرار الذي

تحقق على صعيد تعايش مختلف القوميات في الاتحاد السوفييتي ، ولا سيما بعد الانتفاضات المتواصلة من جانب سكان القرم من التتار واليونانيين والألمان والبلغار. غير أن اللجنة اليهودية الأمريكية وأبرز ممثلي اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة سرعان ما عادوا إلى استغلال نشوب الحرب العالمية الثانية لإحياء فكرة توطين اليهود في القرم. وفي هذا الإطار عمدت القيادة الأمريكية إلى ممارسة الضغط على ستالين لتنفيذ ما سبق وجرى الاتفاق بشأنه ، وهي الفكرة التي طرحتها اللجنة اليهودية لمعاداة الفاشية ، وبدا مولوتوف وزير الخارجية السوفييتية قريبا من تبنيها[1].

ومضى بولتورانين ليقول إن ستالين كان يدرك أن الضغط الأمريكي لم يكن يستهدف مصالح اليهود السوفييت ممن كانوا يحاولون توطينهم في القرم ، بقدر ما كان يستهدف خدمة مصالح أمريكية جيوسياسية ، الأمر الذي تطلب من ستالين أكبر قدر من الدهاء والمناورة. وفي حين راح يبدي بعض تحفظاته **ومنها ضرورة أن تكون الجمهورية اليهودية السوفييتية المرتقبة "جمهورية ذات حكم ذاتي" ، وليست جمهورية مستقلة** ، طالب أيضا بأن يتولى قيادة هذه الجمهورية لازار كاجانوفيتش اليهودي الأوكراني الأصل ووزير الصناعة السوفييتية فيما بعد ، وليس سولومون ميخائيلسون رئيس اللجنة اليهودية السوفييتية المعادية للفاشية ، فضلًا عن طلبه حول الحصول على قروض مالية تبلغ قيمتها عشرة مليارات دولار للإسهام في إعادة اقتصاد ما بعد الحرب . على أن ذلك لم يثن الجانب الأمريكي – اليهودي عن مساعيه ؛ وهو ما دفع ستالين إلى التحول إن للبحث عن سبيل آخر للتخلص من هذه " الورطة " ، وجده في إعلان مؤتمر بازل وفكرة تيودور هرتزل حول توطين اليهود في فلسطين ، وما تلا ذلك من استصدار وعد بلفور البريطاني في سنة (1917م)[2].

---

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص249–250.

(2) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص251.

❖ **بدائل ستالين:**

وما كاد الأمريكيون يبدأون في مطالبة ستالين بسداد قيمة الصكوك المالية حتى صارحهم باستعداده لتنفيذ التزاماته تجاه إنشاء **وطن قومي لليهود لكن في فلسطين ، وليس في شبه جزيرة القرم** ، معلناً عن موافقته على ترحيل أكبر عدد من اليهود إلى هناك وتسليحهم بكل ما غنمه من أسلحة ألمانية ، جرى تقديمها إلى يهود فلسطين خصماً من ديون الاتحاد السوفييتي التي اقترضها من الوكالة اليهودية الأمريكية. بل وأصدر تعليماته إلى تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا بإمداد اليهود في فلسطين بكل ما يحتاجونه من أسلحة في حربهم مع العرب هناك. ومع ذلك فقد كان ستالين يخشى إصرار الولايات المتحدة واللوبي اليهودي على مواصلة الضغط واللجوء إلى المحاكم الدولية لإلزام الاتحاد السوفييتي بما سبق وتعهد به حول تسليم القرم التي كانوا يخططون لضمها ومعها مقاطعات كراسنودار التي تضم سوتشي ، وما جاورها من مدن تمتد على ساحل البحر الأسود حتى الحدود مع أبخازيا المتاخمة للحدود مع تركيا غربا ، إلى جانب أراضي مقاطعتي أوديسا وخيرسون في أوكرانيا شرقاً ، بما يعني عملياً عزل الاتحاد السوفييتي عن البحر الأسود ، وسلبه أكبر قواعده البحرية في سيفاستوبول في البحر الأسود جنوبي القرم ، وهي القاعدة الرئيسية للأسطول السوفييتي في البحر الأسود[1].

وفي الوقت الذي كان ثمة من راح يتناقل الأخبار التي تقول بعداء ستالين لليهود ، ونواياه حول تكرار حملات (1937م) التي شهدت ملاحقة واضطهاد كل مناوئيه وإيداعهم في السجون والمعتقلات في سيبيريا والأماكن النائية ، لكن في هذه المرة ضد اليهود ، عادت الأوساط اليهودية العالمية إلى سابق طموحاتها ومخططاتها

(1) عمارة ، موسكو - تل أبيب ، ص252.

الرامية إلى انتزاع شبه جزيرة القرم، وتحويلها إلى وطن قومي لليهود قد يكون بديلا لمخطط إقامة هذا الوطن في فلسطين. ولعل ما تقدم به زعماء اللجنة اليهودية لمعاداة الفاشية في الاتحاد السوفييتي من اقتراح أودعوه رسالتهم إلى فياتشيسلاف مولوتوف نائب رئيس الحكومة السوفييتية ووزير الخارجية ، لم يكن سوى خطوة في هذا الاتجاه[1].

وما يؤكد ذلك احدى الوثائق التي تبين عدة قضايا **تتعلق بحياة وإقامة اليهود في الاتحاد السوفييتي إذ كان يعيش فيها قبل الحرب العالمية الثانية خمسة ملايين يهودي بمن فيهم قرابة مليون ونصف المليون من يهود المقاطعات الغربية في أوكرانيا ، وبيلاروسيا ، وجمهوريات البلطيق ، وبيسارابيا ،[2] وبوكوفينا ،[3] وكذلك**

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص252–253.

(2) بيسارابيا ( Bessarabi ) ، تقع على نهر بيسارابيا التاريخية من الشرق ونهر بروت في الغرب. يقع نحو ثلثي بيسارابيا داخل مولدوفا الحديثة ، حيث تغطي منطقة بودجاك الأوكرانية المنطقة الساحلية الجنوبية وجزء من إقليم تشيرنيفتسي الأوكراني يغطي منطقة صغيرة في الشمال. في سنة ( 1917م ) ، في أعقاب الثورة الروسية، شكلت المنطقة نفسها جمهورية مولدوفا الديمقراطية ، وهي جمهورية ذات حكم ذاتي جزء من دولة روسية اتحادية في سنة ( 1940م ) تم دمج المنطقة رسمياً في الاتحاد السوفيتي. خلال عملية تفكك الاتحاد السوفيتي ، أعلنت جمهورية مولدوفا وأوكرانيا الاشتراكية السوفييتية استقلالها في سنة ( 1991م ) ، لتصبحا الدولتين الحديثتين لمولدوفا وأوكرانيا مع الحفاظ على التقسيم الحالي لبيسارابيا. تم تنظيم جزء من المناطق المأهولة بالسكان في جاجوز في جنوب بيسارابيا في سنة ( 1994م ) كمنطقة حكم ذاتي داخل مولدوفا. للمزيد ينظر:
Anton Moraru, Istoria romanilor. Basarabia si Transnistria (1812–1993), (Moldova, Chisinau, 1995 ).

(3) بوكوفينا ( Bukovina ) هي منطقة تاريخية ، وُصفت بشكل مختلف كجزء من أوروبا الوسطى أو الشرقية أو (كليهما). تقع المنطقة على المنحدرات الشمالية لوسط شرق جبال الكاربات ( Carpathians ) والسهول المجاورة ، مقسمة اليوم بين رومانيا وأوكرانيا. في سنة (1940م)، تم=

**في بولندا. ومن الضروري توقع إبادة ما بين مليون ومليون ونصف يهودي في المناطق السوفييتية التي استولى الفاشيست عليها. وما عدا مئات الألوف من المقاتلين الذين يبلون أفضل البلاء في صفوف الجيش الأحمر ، انتشر السكان اليهود الآخرون في مختلف جمهوريات آسيا الوسطى وسيبيريا وعلى ضفاف الفولجا وفي بعض المقاطعات الوسطى في جمهورية روسيا الاتحادية. ومن الطبيعي وبالدرجة الأولى يشخص أمامنا موضوع إعادة الجماهير اليهودية التي جرى تهجيرها ، مثلهم في ذلك مثل كل السكان الذين تم تهجيرهم إلى مواطنهم الأصلية ، غير أنه وعلى ضوء ذلك الوضع الذي يعيشه الشعب اليهودي الآن ، يصبح من الصعب حل مجمل مشاكل توطين كل السكان اليهود من سكان الاتحاد السوفييتي[1].**

**وتقدم الوثيقة عرضاً للأسباب التي تستدعي إقامة الجمهورية الاشتراكية السوفييتية اليهودية وهي:**

**أ- لأسباب تعود إلى الأعمال الوحشية الفاشية الفظيعة ، ولا سيما ضد السكان اليهود ، وإلى ما تعرضت له المناطق السوفييتية المحتلة مؤقتا من إبادة وتخريب ، فقد فقدت منازل العديد من اليهود الذين تم تهجيرهم أهميتها**

---

=ضم النصف الشمالي من بوكوفينا من قبل الاتحاد السوفييتي في انتهاك لاتفاقية مولوتوف – ريبنتروب ، وهي معاهدة عدم اعتداء بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي. بعد ذلك ، استعادت رومانيا المنطقة مؤقتًا كحليف لألمانيا النازية بعد أن غزت الأخيرة الاتحاد السوفييتي الذي ، مع ذلك، استعاد الجزء الشمالي في سنة (1944م). تاريخياً كان سكان بوكوفينا، أوكرانيين في الشمال، بينما في المدن كان هناك أيضاً عدد من الألمان والبولنديين واليهود. للمزيد عن بوكوفينا واليهود فيها ينظر: Gaëlle Fisher, Resettlers and Survivors Bukovina and the Politics of Belonging in West Germany and Israel, 1945–1989, ( Berghahn, New York, Oxford, 2020 ).

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص253.

**المادية والنفسية بالنسبة لهم ، كما أن الأمر هنا لا يتعلق بالمناطق التي تم تدميرها وحسب ، بقدر ما ينطبق على كل العائدين إلى مواطنهم. أما بالنسبة لجزء كبير من السكان اليهود ، الذين لم يكن لدى أفراد عائلاتهم الوقت الكافي للرحيل ، فإن الأمر يتعلق بحقيقة أن الفاشيين قد حولوا الأماكن الأصلية إلى مقبرة جماعية لهذه العائلات والأقارب والأصدقاء والتي لا يمكن إحياؤها. وفيما يتعلق باليهود من بولندا ورومانيا الذين أصبحوا مواطنين سوفييت ، فإن مسألة العودة ليست مطروحة على الإطلاق. حيث تمت إبادة كل أقاربهم الذين بقوا هناك ، وتمت إزالة كل آثار الثقافة اليهودية من على وجه الأرض.**

**ب- كل اليهود يعانون من أكبر مأساة في تاريخهم ، حيث فقدوا نحو أربعة ملايين شخص من الفظائع الفاشية في أوروبا ، أي ما يقرب من (25 %) من مجمل عددهم ، ويبقى الاتحاد السوفييتي الدولة الوحيدة التي أنقذت حياة ما يقرب من نصف سكان اليهود الأوروبيين. ومن ناحية أخرى فإن حقائق معاداة السامية ، إضافة إلى ما ارتكبته الفاشية من جرائم ، تسهم في نمو المشاعر القومية والشوفينية بين قطاعات معينة من السكان اليهود.**

**إننا نرى ، ومن أجل تطبيع النمو الاقتصادي وتطوير الثقافة السوفييتية اليهودية ، وسعيا وراء حشد جميع قوى السكان اليهود إلى أقصى حد لصالح الوطن السوفييتي الأم ، وبهدف تحقيق التوازن التام بين مواقف الجماهير اليهودية بين الشعوب الشقيقة – أنه من الواجب والضروري ، وبأكبر قدر من السرعة طرح قضية إقامة الجمهورية الاشتراكية السوفييتية اليهودية من أجل حل مجمل قضايا ما بعد الحرب.**

**ونحن نتصور أن أراضي شبه جزيرة القرم يمكن أن تكون واحدة من أكثر المناطق ملاءمة لإقامة مثل هذه الجمهورية ، التي تلبي بشكل أوثق متطلبات استيعاب إعادة التوطين من جانب، وبسبب التجربة الناجحة الحالية في تطوير المناطق القومية اليهودية هناك من جانب آخر. إن إنشاء جمهورية سوفييتية يهودية سوف يحسم إلى الأبد وعلى الطريقة البلشفية وفي إطار روح السياسة القومية اللينينية – الستالينية ، مشكلة الدولة والوضع القانوني للشعب اليهودي ومواصلة تطوير ثقافته القديمة. كما أن أحداً لم يستطع حل هذه المشكلة على مدى العديد من القرون ، لكنها لا يمكن أن تجد الحل المناسب لها إلا في بلادكم الاشتراكية العظيمة. ومن الممكن أن تساعدنا الجماهير اليهودية في جميع بلدان العالم ، أينما كانت ، في بناء الجمهورية اليهودية السوفييتية . وانطلاقا من كل ما أسلفنا ، فإننا نقترح التالي:**

**1- إنشاء الجمهورية اليهودية الاشتراكية السوفييتية في أراضي القرم.**

**2- تعيين لجنة حكومية للنظر في هذه القضية ، قبل الانتهاء من تحرير القرم بوقتٍ كافٍ.**

**إننا نأمل أن يلقى رعايتكم واهتمامكم ، هذا الاقتراح الذي يتوقف عليه مصير شعب بأكمله[1].**

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص254-255.

**الاستنتاجات:**

**ويتبين من خلال ما ورد في الوثيقة أعلاه العديد من المسائل المهمة لعل من أبرزها:**

**أ- عرضت الوثيقة بأن هناك احتمال وقوع عملية إبادة لليهود في الاتحاد السوفييتي في المناطق التي استولى عليها الألمان ، وتحديداً في المقاطعات الغربية في أوكرانيا ، وبيلاروسيا، وجمهوريات البلطيق ، وبيسارابيا ، وبوكوفينا ، وكذلك في بولندا.**

**ب- تضمنت الوثيقة وجود مئات الآلاف من المقاتلين اليهود في صفوف الجيش الأحمر وتلك إشارة واضحة إلى عملية الاندماج لليهود حتى في أخطر مؤسسات الاتحاد السوفييتي ألا وهي المؤسسة العسكرية.**

**ج- كانت المظلومية من بين أهم الجوانب التي تحدثت عنها الوثيقة تعرض اليهود لعمليات إبادة وتخريب ، وبأن يهود بولندا ورومانيا لن يستطيعوا العودة مطلقاً إلى مناطقهم ويعزوا ذلك إلى فقدانهم كل أقاربهم بسبب الإبادة، وذلك بلا أدنى شك أمر مبالغ فيه.**

**د- قدمت الوثيقة مقارنة بين ما تعرض له اليهود في أوروبا على يد الفاشية ( الالمان ) وبأنهم فقدوا نحو أربعة ملايين شخص ، بينما مثل الاتحاد السوفييتي الملاذ الوحيد وأسهم ذلك في انقاذ نصف يهود أوروبا ، ويؤكد الحديث بأن هناك محاولة لتغيير وجهة نظر السوفييت تجاه اليهود وتهيئة الاجواء لإيجاد كيان سياسي اشتراكي يهودي يمكن دمجه في الاتحاد السوفييتي.**

**هـ- لم يتم التطرق نهائياً إلى فلسطين بل أشار الحديث إلى أن الاتحاد السوفييتي يمثل الوطن الأم لليهود ، ويجب تهيئة الاجواء لتطبيع النمو**

**الاقتصادي والثقافي لهم من أجل حشد جميع امكانيات اليهود ضمن الاتحاد السوفييتي وليس مكاناً آخر.**

**و- حددت الوثيقة بأن أراضي شبه جزيرة القرم يمكن أن تكون واحدة من أكثر المناطق ملائمة لإقامة جمهورية يهودية اشتراكية سوفييتية ، بل يجب تشكيل لجنة حكومية للنظر في القضية قبل الانتهاء من تحرير شبه القرم.**

## ثالثاً: القوى الدولية ومشروع القرم اليهودي:

عجلت الثورة البلشفية بهجرة اليهود القرائين من القرم إلى بولندا وفرنسا وألمانيا. وأُجبر هؤلاء القرائين على مغادرة روسيا بسبب مصالحهم الاقتصادية والسياسية المكتسبة في الحكومة القيصرية. بينما دفع كل من صعود هتلر إلى السلطة وإدخال تشريعات معادية لليهود المجتمع القرائي في ألمانيا **( الذي كان يتألف من نحو ثمانية عشر مهاجراً روسياً قرائياً خدموا كضباط في مختلف الجيوش البيضاء الموالية للقيصر ) ، لتقديم التماس إلى وزارة الداخلية في الرايخ طلبوا عدم الكشف عن هويتهم وتشريعهم على أنهم يهود ، وقد برر هؤلاء المهاجرون القرائيون هذا التمييز من خلال الاستشهاد بالتشريعات القيصرية وما توصل إليه العلماء الذين حاولوا إثبات أن القرائين كانت لهم روابط تاريخية ودينية وثقافية قليلة مع اليهود واليهودية.** وبدأت جهود المهاجرين القرائيين تؤتي ثمارها في (5 كانون الثاني/ يناير 1939م) عندما تلقى سيرج فون دوفان ، ممثل مجتمع المهاجرين القرائيين الروس ، رسالة من مدير قسم الرايخ للأبحاث الجينية، وذكر في الرسالة أنَّه " لا ينبغي اعتبار طائفة القرائين طائفة دينية يهودية بالمعنى المقصود في الفقرة ( 2 ) النقطة ( 2 ) من اللائحة الأولى لقانون المواطنة في الرايخ. ومع ذلك لا يمكن إثبات أنَّ القرائين في مجملهم هم من أصل مرتبط بالدم لأنَّ التصنيف العرقي للفرد لا يمكن من خلاله

تحديد انتمائه إلى شعب معين دون مزيد من البحث ، ولكن من خلال الخصائص البيولوجية العرقية لأسلافه" [1].

وعلى الرغم من أنَّ مسألة الأصل العرقي للقرائين ظلت موضع تساؤل ، إلا أنَّ الألمان كانوا ينظرون إليهم على أنهم مجموعة عرقية مميزة من أصل غير يهودي. وكانت الرسالة من قسم الرايخ للأبحاث الجينية ذات قيمة كبيرة ليس في ألمانيا النازية فحسب بل والأراضي التي ستُحتل قريباً في بولندا وفرنسا والاتحاد السوفييتي. إذ تم اعتماده في البلدان المذكورة والاعتراف به على أنه صالح للتطبيق ، ورفض كل المحاولات لتحديد وتشريع القرائين. وهكذا تم إنقاذ أرواح ما يقرب من ( 12000 ) روسي قرائي. من أجل تحديد صدق السياسة النازية تجاه القرائين [2].

في (25 ايلول/سبتمبر 1941م) ، غزا الجيش الألماني الحادي عشر بقيادة المارشال فيلد إريك فون مانشتاين ( Marshall Field Erich van Manstein ) شبه جزيرة القرم. وبحلول نهاية السنة ، كانت شبه الجزيرة بأكملها تقريباً تحت السيطرة الألمانية. وتم تعيين وحدات القتل الألمانية المتنقلة تحت قيادة اللواء أوتو أوهلندورف ( Otto Ohlendorf ). بعد الحرب قُدم أوهلندورف للمحاكمة في نورمبرغ سنة (1946م) ، وخلال محاكمته شهد بأنه في أول ( 340 ) يوماً تم اعدام ما يقرب من ( 90 ) ألف من اليهود والغجر والآسيويين وغير المرغوب فيهم ، وبين (16 تشرين الثاني/ نوفمبر و 15 كانون الأول/ ديسمبر 1941) ، قتلت الوحدات المتنقلة ما معدله ( 700 ) شخص يومياً طوال فترة الثلاثين يوماً بأكملها. وفي تقرير مؤرخ في

(1) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.170.

(2) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.171.

(نيسان/ أبريل 1942) أشار إلى عمل تلك الوحدات في شبه جزيرة القرم ، والذي ينص على أن شبه جزيرة القرم قد تم تحريرها من اليهود[1].

يشير الإحصاء السوفييتي لسنة (1926م) إلى أن السكان "اليهود" في شبه جزيرة القرم كانوا يتألفون من نحو ( 60.000 ) من اليهود الأشكناز ، و( 6400 ) من اليهود الكريمتشاك ( Krymchak ) [2]، و( 8300 ) من قرائي القرم. إلا إنّ العدد الدقيق للأشكناز والكريمتشاك والقرائين، الذين بقوا في شبه جزيرة القرم بعد الانسحاب السوفييتي في سنة (1941م) للأسف غير معروف. ولم يكن لدى مسؤولي الوحدات الألمانية المتنقلة ( The Einsatzgruppe officials ) أي شك حول " يهودية " اليهود الأشكنازيين الناطقين باليديشية الذين عانوا من نفس مصير اليهود نفسه في مناطق أخرى خاضعة للسيطرة الألمانية. ومع ذلك فقد حار الألمان في اتخاذ مسار العمل الذي ينبغي عليهم اتباعه تجاه الكريمتشاك والقرائين الأقل شهرة. فقد أقامت كلتا المجموعتين في شبه جزيرة القرم لعدة قرون واندمجت ثقافياً مع سكان التتار المسلمين. واعتمدت كلتا المجموعتين لغة التتار للاستخدام اليومي. فكان يتحدث

---

(1) Trilals of War Criminals Before the Nuernberg Military Tribunals under Control Council Law No. 10, Nuernberg, October 1946 – April 1949, (U.S.A, 1950 ), VOl. 9, p.45.

(2) كريمتشاك ( Krymchak ) مجموعة تتألف من مهاجرين يهود وصلوا من جميع أنحاء أوروبا وآسيا والذين أضافوا باستمرار إلى سكان كريمتشاك. كانت لغة الكريمتشاك ، فضلاً عن الثقافة والحياة اليومية ، مشابهة لتتار القرم ، وهم أغلبية سكان شبه الجزيرة، مع إضافة تأثير عبري كبير. للمزيد ينظر:

Mikhail Kizilov, The Krymchaks: Current State of the Community, In Euro-Asian Jewish Yearbook, 2007/ 2008,( Moscow, 2009 ), p.63-89.

القرائيون القرم الكريمتشاك جاجاتاي ( Jagatai ) [1] وكلاهما يكتبان اللغة العبرية بأحرف تقليدية.

نظراً للإحصاء السوفييتي المشار إليه أعلاه ومن خلال التزاوج مع السكان الأصليين ، طورت هاتان المجموعتان " الفسيفسائية " سمات مادية تركية – منغولية مميزة. ومع ذلك اختلفت المجموعتان في مجال واحد – الدين. كان الكريمتشاك من أتباع التقليد الحاخامي لليهودية وليس كما يزعم بعض العلماء عن طريق الخطأ ، إما اليهود المسلمون ( Islamized Jews ) أو " قبيلة انفصلت لفترة طويلة عن الجسد الرئيسي لليهود ". القرائين من ناحية أخرى كانوا يلتزمون بالعهد القديم وتخلوا عن السلطة الحاخامية في القرن الثامن[2].

وأشارت العديد من التقارير عن علاقة الألمان مع القرائين في القرم منها التقرير المؤرخ في (24 تشرين الثاني/ نوفمبر 1944م) ، أبلغ اللواء جوتلوب بيرغر ( Gottlob Berger ) قائد القوات الأمن الخاصة ( SS )[3] اللواء كارل براندت ( Karl Brandt ) " **أنه يجب التعامل مع القرائين مثل الأمم التركية الأخرى. وعلى الرغم من أنهم من مذهب غير مرحب به ، إلا إنَّ التمييز ضد القرائين كان يعتبر أمراً**

---

(1) Jagatai ، والمعروفة كذلك باسم تركي تشاغاتاي التركية ( Chaghatay ) ، هي لغة أدبية تركية منقرضة كانت تُستخدم على نطاق واسع في آسيا الوسطى وظلت اللغة الأدبية المشتركة اللغة هناك حتى أوائل القرن العشرين. للمزيد ينظر:

Eric Schluessel, An Introduction to Chaghatay: A Graded Textbook for Reading Central Asian Sources, ( u.s.a, 2018 ).

(2) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.171-172.

(3) للمزيد عن القوات الألمانية ينظر:

Chris Mcnab, Hitler's Elite: The SS 1939-45, ( Osprey Publishing, 2013 ); Gordon Williamson, Stephen Andrew, The Waffen-SS, ( Osprey ). Publishing, 2003

**لا يطاق بسبب الخدمات السابقة التي قدموها للرايخ بصفتهم بناة وأعضاء في كتائب عمالية "**[1].

وفي رسالة أخرى في (13 تموز/ يوليو 1944م) ، " **أمرت وزارة الرايخ في الأراضي الشرقية بإدراج التتار والقرائين ضمن خطة الإخلاء الألماني من منطقة كاوناس ( Kaunas ). وشدد هذا البيان على النقطة التي يعتقد أنه من المفيد سياسياً إخفاء هاتين المجموعتين في عملية الإخلاء. ولم توضح الوثائق الموجودة ، من غير الواضح ما إذا كان هؤلاء من التتار والقرائين من شبه جزيرة القرم أو ما إذا كانوا أعضاء في هذه المجتمعات الذين أقاموا في هذه المنطقة لقرون "**[2].

وبمذكرة كتبها مايكل كوشانلي بخط اليد ، مؤرخة في (12 شباط/ فبراير 1945م) ، وهو من قرائي القرم في أوستمينستيريوم ( Ostministerium ) ، أن القرائين والتتار الذين تم إجلاؤهم من قبل الجيش الألماني عند انسحابهم من الاتحاد السوفييتي وبولندا قد شكلوا منظمة تسمى رابطة التتار والقرائين في فيينا ( Association of Tatars and Karaites in Vienna ) ، كما هو موضح في النظام الداخلي للمنظمة ، فقد تم تأسيسها لتلبية الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والدينية لمجتمعات التتار والقرائين في مناطق الدانوب وجبال الألب[3].

كان على التتار والقرائين الذين بقوا في شبه جزيرة القرم ، ولم ينضموا إلى الجيش الألماني المنسحب عند إخلاء شبه جزيرة القرم أن يواجهوا غضب الجيش الأحمر المنتصر الذي أعاد احتلال شبه جزيرة القرم في ( نيسان/ ابريل 1944م ).

---

(1) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.174.

(2) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.174.

(3) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.174.

وبعد التحرير بوقت قصير ، بدأ السوفييت الترحيل المنهجي لتتار القرم من وطنهم. اتُهم التتار ، إلى جانب مجموعات الجنسية التركية والقوقازية الأخرى بالتعاون مع الألمان في أثناء الاحتلال. وفي فترة زمنية قصيرة ، من ( أيار/مايو إلى حزيران/ يونيو 1944م ) ، تم إعادة توطين ما يقدر بـ ( 200–250 ) من التتار القرم قسراً في أوزبكستان وكازاخستان ومناطق أخرى في وسط آسيا وسيبيريا. وفي بعض الحالات ، أدرجت السلطات السوفييتية القرائين مع تتار القرم في عمليات الترحيل. ومع ذلك لم تتأثر الغالبية العظمى من أفراد مجتمع قرائي القرم من عمليات الترحيل. وتتجلى عبثية العنصرية النازية بشكل أفضل في حقيقة أنه حتى خلال الساعات الأخيرة ، كان البيروقراطيون الألمان ما يزالون يفكرون بجدية في مسألة الأصول العرقية للمجتمعات اليهودية في القرم[1].

إن ما ورد آنفاً يشير إلى العديد من الأمور لعل من أبرزها:

**أ- إنَّ النازيين الألمان كانوا ينظرون إلى اليهود في شبه جزيرة القرم على أنهم مجموعة عرقية مميزة من أصل غير يهودي ، استناداً إلى الرسالة الصادرة من قسم الرايخ للأبحاث الجينية.**

**ب- يؤكد الحديث أعلاه ما طرحه بنيامين فريدمان الباحث اليهودي الذي سبقت الاشارة إليه حول أصل اليهود الحاليين بأنهم خزريون وخليط من أعراق متعددة.**

**ج- إن عمليات القتل التي قام بها النازيون لم تكن مقتصرة على اليهود ، بل شملت الغجر، وغيرهم دون استثناء.**

(1) Green, The Fate of the Crimean Jewish Communities, p.174–175.

**د- أكد الالمان على أنه يجب التعامل مع القرائين مثل الأمم التركية الأخرى. ومراعاة الخدمات السابقة التي قدموها للرايخ بصفتهم بناة وأعضاء في كتائب عمالية.**

## المبحث الثالث: الاتحاد السوفييتي والبديل اليهودي الثاني – مشروع أوديسا:

من بين المدن الكبرى في العالم ، يمكن لأوديسا أن تدّعي بعض الفروق ، فهي مدينة جديدة، تأسست في سنة (1794م) ، ونمت بسرعة ، **لتصبح بحلول أواخر القرن التاسع عشر أكبر مدينة في أوكرانيا والمدينة الرابعة للإمبراطورية الروسية ، بعد سانت بطرسبرغ وموسكو ووارسو. ( وهي الآن الثالثة في أوكرانيا ، والثانية عشرة في الاتحاد السوفييتي)**[1]. **وموقعها على البحر الأسود جعل لها نوعاً من التفاعل التجاري والثقافي بين الإمبراطورية الروسية والعالم الخارجي. وسكانها مزيج غير عادي من المجتمعات العرقية ، والثقافية ، والدينية – الأوكرانية ، والروسية، واليونانية ، واليهودية ، والغربية الأوروبية ، والآسيوية. لهذا السبب أيضاً ، كان تاريخها يتقاطع مع تاريخ العديد من الشعوب داخل الإمبراطورية الروسية وخارجها. فعلى سبيل المثال ، يتبع جزء كبير من الجالية اليهودية الأمريكية في أصولهم مباشرة من أوديسا وضواحيها**[2]. ويعد ذلك من أهم مبررات للمشروع اليهودي.

---

(1) المؤلف يتحدث في الحقبة التي كان الاتحاد السوفيتي مازال قائماً.

(2) Patricia Herlihy, Odessa: A History, 1794–1914, ( Cambridge, Harvard University press, 1986 ), p.viii.

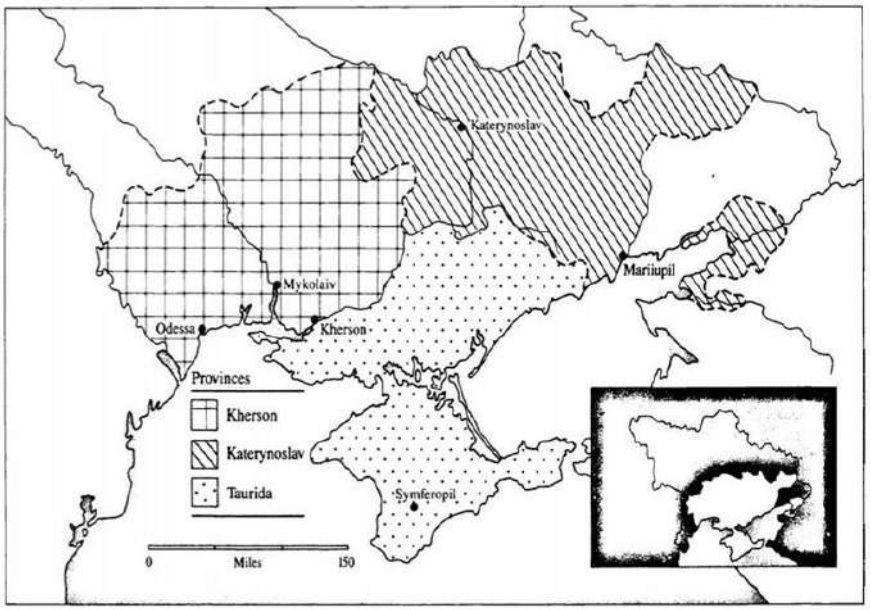


**خريطة أوديسا**[1]

## ❖ البعد الاقتصادي و" وعد أوديسا ":

ومن الجدير بالذكر ، أنّه في بداية سنة (1905م) عندما بدأت أوديسا في النمو لتصبح مدينة ناشئة ، هاجر عشرات الآلاف من الروس ، والأوكرانيين ، والبولنديين ، والأرمن ، واليونانيين، واليهود من روسيا وبولندا إلى المدينة للاستفادة من الفرص التي تتيحها المدن ، فقد كان الازدهار الاقتصادي في أوديسا طيلة القرن التاسع عشر بمثابة نقطة جذب لمجموعات متنوعة من المهاجرين الذين يأملون في الحصول على جزء من المكاسب الاقتصادية ، ونتيجة لذلك التطور أصبحت المدينة بحاجة إلى موظفين مستأجرين للعمل في رصيف الميناء ، كالصيارفة والحمالين لجلب

(1) Herlihy, Odessa: A History, 1794–1914, p.8.

الحبوب القادمة من الريف إلى الأرصفة ، والكُتّاب للأعمال الإدارية، والسماسرة لشراء الحبوب من الفلاحين المنتجين ثم بيعها لإحدى شركات التصدير الكبيرة. وما تزال هناك حاجة إلى آخرين لتوفير مجموعة متنوعة من السلع والخدمات التي تتطلبها مدينة متداخلة تفتقر إلى قوة عاملة محلية. كما أدى ظهور قاعدة تصنيع صلبة ، في أواخر القرن التاسع عشر إلى جذب المهاجرين إلى أوديسا في أعمال المصانع. وقد أدت الهجرة بدورها إلى مزيد من النمو الاقتصادي ، إذ كان على الاقتصاد المحلي في حينها دعم والحفاظ على عدد سكان المدينة المتزايد. ومع انتشار المعرفة بـ " المعجزة الاقتصادية " في جميع أنحاء روسيا وبقية أوروبا ، جذبت أوديسا المزيد من الناس الذين تصوروا الحياة في المدينة فرصة للهروب من الفقر ، وايجاد حياة جديدة لأنفسهم وأسرهم... **ومن بين من هاجر إليها اليهود من المناطق الغربية والشمالية الغربية من منطقة المستوطنات في بولندا والواقعة تحت السيطرة النمساوية بعد أن تم إغراؤهم أيضاً بوعد أوديسا**. ومع تفاقم مشاكل الزيادة السكانية ، والتنافس الاقتصادي ، وأزمة الفقر في مستوطنة شتيتلس ( shtetls ) ، فقد كان البديل التالي الأفضل والأرخص للهجرة إلى أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة هو إعادة التوطين في أوديسا. وأضاف أحد المعاصرين: " **إذا كان يهودي من المستوطنات لا يحلم بأمريكا أو فلسطين ، فأعلم بأنه سيكون في أوديسا** ". تم الانتقال إلى هناك ، وبسبب اعتبارات خاصة ، تم إعفاؤهم بشكل عام من تشريعات الإقامة المرهقة والتمييزية التي تؤثر على يهود روسيا[1].

وللحديث السابق دلالات عدة لعلّ من أبرزها:

(1) Robert Weinberg, The Revolution of 1905 in Odessa blood on the steps, (Indiana university, U.S.A, 1993 ), p.9.

**أ- يبدو أَّن للعامل الاقتصادي في أوديسا أثره في الهجرات بين المدن أو الاقطار الأوروبية ، واليهود كانوا من بين من المهاجرين بحثاً عن الكسب المادي.**

**ب- هجرة اليهود من المناطق الغربية والشمالية الغربية من منطقة المستوطنات في بولندا ، والواقعة تحت السيطرة النمساوية بعد أن تم إغرائهم بالوعود بأوديسا ، للتخلص منهم والسبب كما تشير الرواية إلى مشكلة الزيادة في سكان تلك المناطق ، وكذلك التخلص من منافستهم في الجانب الاقتصادي ، ونرجح الثاني بشكل أقوى كسبب رئيسي للهجرة.**

**ج- كانت أوديسا هي الوجهة التي تم تحديدها من قبل من يعمل على توطين اليهود ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن المشكلة اليهودية كانت قائمة في البلدان الأوروبية وتحديداً شرق أوروبا، ولم تكن في البلدان الاسلامية بصورة عامة وفلسطين بصورة خاصة.**

**د- تؤكد النقطة أعلاه إلى أن القائمين أو المشرفين على مشاريع الاستيطان في تلك البلدان يبحثون عن ايجاد مناطق تكون تكاليف الهجرة فيها منخفضة ، فكانت أوديسا الأفضل والأرخص إذا ما قورنت بالهجرة إلى أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة.**

### ❖ تنامي الهجرة اليهودية إلى أوديسا:

وفي الفترة ما بين (1800-1892م) ، زاد عدد السكان ( في أوديسا ) بنسبة مذهلة بلغت ( 3677 % ) مقارنة بمعدلات ( 220 % ) لموسكو و( 323 % )

لسانت بطرسبرغ[1]. وخلال هذا الوقت ، كان اليهود هم ثاني أكبر مجموعة من المهاجرين ، ولا يتفوق عليهم سوى الروس. وفي سنة (1892م) بلغ عدد سكان المدينة ( 404000 ) نسمة تقريباً ، (198.233) روسي. و( 124.511 ) يهودي , و( 37.925 أوكراني ) ، و( 17.395 ) بولندي، و( 25.751 ) أجنبي آخر. وبحلول سنة (1897م)، أي بعد ما يقرب من مائة سنة من ولادتها، كانت أوديسا موطناً لـ ( 138.935 ) يهودي يمثلون ثلث إجمالي السكان. وفقًا للإحصاء نفسه، فإنَّ ( 32 % ) من السكان يتحدثون اليديشية ، ويتحدث ما يقرب من ( 50 % ) اللغة الروسية ، ويعتمد ( 5.6 % ) فقط من أوديسا على اللغة الأوكرانية لغتهم الأم. وبالنسبة **لليهود وسرعان ما تحولت أوديسا إلى جنة صغيرة على حدود مستوطنة ، إذ يمكنهم تجربة المساواة في الحقوق التي لا يمكن تحقيقها في مناطق أخرى من البلاد**[2].

ورافق تطور أوديسا في مختلف الحقب الزمنية ، وصول المستوطنين اليهود من أماكن مختلفة. في حين أنَّ المهاجرين الأوائل كانوا في الغالب من الرجال غير المتزوجين الذين يبحثون عن عمل ومكان جديد لبدء حياتهم ، ووصل المهاجرون في

(1) Frederick Skinner, Odessa and the Problem of Urban Modernization. In The City in Late Imperial Russia, Michael F. Hamm, (ed). 209-249. (Bloomington: Indiana University Press, U.S.A, 1986), p.209-211.

(2) Herlihy, Odessa: A History, 1794-1914, p.251 ; Marina Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities and Community Building in Post -Soviet Odessa, Ukraine, ( London, 2010 ), p.50-51.

وقت لاحق مع عائلاتهم وجذبتهم الإمكانات التي رأوها في تجارة الحبوب الروسية والإمكانيات الأخرى التي قد التي يوفرها الميناء الجديد على البحر الأسود[1].

وبحلول منتصف القرن التاسع عشر ، وصف زيبرشتاين ( Zipperstein ) وصفاً خاصاً للميناء بقوله: " تحولت أوديسا من ميناء بحري متواضع إلى مدينة ذات أهمية دولية ، حيث تقدم للسكان اليهود مجموعة من الفرص التي نادراً ما يتم العثور عليها في أماكن أخرى من المستوطنات " وفيما بين ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر تم ربط أوديسا بالداخل والقوقاز بشبكة من السكك الحديدية ، فانعكس ذلك على ازدهار النشاط التجاري للمدينة بشكل أكبر، وضمنت وصول البضائع عبر البلاد[2]. وبحلول نهاية القرن التاسع عشر ، صُنفت أوديسا كميناء روسيا الأول للتجارة الخارجية، وعن طريقه كانت تصدر جميع شحنات القمح تقريباً وأكثر من نصف الحبوب الأخرى المصدرة من روسيا[3].

إلا أنَّ الازدهار الاقتصادي في مدينة أوديسا كان على العكس من المناطق الأخرى في الإقليم ، إذ أدت المنافسة في التجارة والصناعة إلى مشاعر معادية لليهود، ورحّبت النخبة الحاكمة في أوديسا بالمنافسة في التجارة والعمل وازدهرت بفضل الإنجازات المربحة للمدينة. بدءاً من تصدير الملح ، كما سيطر اليهود فيما بعد على تجارة السلع الأخرى مثل الحرير والقطن والصوف والأجهزة والحديد والأحذية ، ومع ذلك كان عدد قليل جداً من الأثرياء يمكنهم التسجيل في الفئة التجارية الكوبتسي

---

(1) Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities, p.51.

(2) Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities, p.51.

(3) Weinberg, The Revolution of 1905 in Odessa, p.2.

( kuptsy )،[1] في سنة (1801م) قام اثنان فقط منهم بذلك ، ويبدو أن الغالبية عملوا كتجار صغار ، وحرفيين للجنود الروس المتمركزين في القلعة. وجاءت الموجة الأولى من المستوطنين "المجهولين" و "الفاسدين" ، كما أشارت إليهم المصادر اليهودية لاحقاً من فولينيا ، وبودوليا ، وروسيا البيضاء ، والذين كانوا حساسين بشدة للتغيرات في سوق الحبوب ، وكانوا على دراية بالأهمية المحتملة لميناء البحر الأسود الروسي[2]. والملاحظ أنَّ جميع نشاطات اليهود تكاد تنحصر بالنشاط الاقتصادي.

كان هناك عدد من التطورات الأخرى المهمة التي أدت إلى فصل أوديسا اليهودية عن المحيط الأكبر للإمبراطورية الروسية. وعلى عكس غالبية المدن الروسية والأوكرانية والبولندية إذ كان اليهود يعيشون في المقام الأول في مناطق منفصلة ، ولم يتم تقييد المستوطنين اليهود الأوائل الذين وصلوا إلى أوديسا. وبدلاً من ذلك استقر اليهود بحرية في جميع أنحاء المدينة ، وبالتالي تأثروا بالعديد من الجوانب الثقافية للإيطاليين واليونانيين والرومانيين والبلغاريين والروس والأوكرانيين وغيرهم الذين يمثلون فئات المجتمع[3].

وعلق زيبرشتاين على التأثير بقوله: " ومع ذلك فإن المستوى العالي من الاندماج الذي وجده اليهود في التجارة ، والموقع الجغرافي لأوديسا ( بعيداً عن أي مركز رئيسي لليهودية ) ، وانفتاح المدينة على الممارسات العرقية والدينية المتنوعة ،

---

(1) كوبتسي ( kuptsy ) ، المقصود بهم التجار الأغنياء. ينظر: Andreas E. Buss, Russian-Orthodox Tradition and Modernity, ( Brill, Leiden. Boston, 2003 ), p.36.

(2) Steven J. Zipperstein, The Jews of Odessa: A Cultural History, 1794-1881, (Stanford University, California, 1986 ), p.36.

(3) John Athanasios Mazis, The Greeks of Odessa: Diaspora Leadership in Late Imperial Russia, ( Boulder East European Monographs, 2004 ), p.39.

وماديتها بدأت في التأثير في تآكل التقاليد التقليدية ، والقيم التي اختبرتها فرقة أوديسا اليهودية "[1]. وأضاف قائلاً بموضع آخر: عززت كل هذه العمليات الأقوال الشعبية اليديشية التي ربطت المدينة باللامبالاة بالدين: " سبعة أميال حول أوديسا تحرق نيران الجحيم " ، وفي إشارة إلى حياتهم المريحة ، " العيش مثل الله في أوديسا "[2]. يلخص زيبرشتاين ، حجة فينكل ( J. L. Finkel )، فيقول: "**جاء جميع يهود أوديسا ليعيشوا لأنفسهم فقط. في محاولة لتكييف مواقفهم الاجتماعية مع وضعهم الاقتصادي الجديد، تخلى بعض اليهود ، قبل عقد من هجرة الجيليقيين[3]، عن طقوسٍ وممارساتٍ دينيةٍ معينة وحاولوا أن يجعلوا أنفسهم أقل تميزاً وغرباء لغير اليهود، بل إن تكيفهم كان سطحياً في أحسن الأحوال، وعاد المتسلقون الاجتماعيون الطموحون إلى الأنماط الاجتماعية العائلية كلما وجدوا أنفسهم بين اليهود** "[4].

ويشير الحديث المتقدم إلى العديد من الاستنتاجات المهمة التي لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها ، ولعل من أبرزها ما يلي:

**أ- إنَّ ما جرى في أوديسا قائم على المصالح الاقتصادية بالدرجة الأولى ، بدليل تخلي اليهود عن الممارسات الدينية الخاصة بهم.**

---

(1) Zipperstein, The Jews of Odessa, p.36-37.

(2) Zipperstein, The Jews of Odessa, p.1.

(3) الجيليقيين ، نسبة إلى بلد جيليقية في جنوب غرب أوروبا حيث احتلت الشمال الغربي من شبه جزيرة أيبيريا ( الأندلس ) وتقع حاليا في البرتغال. للمزيد ينظر: البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ( ت: 487هـ/1094م ) ، المسالك والممالك ، ( دار الغرب الإسلامي ، 1992 ) ، 912/2 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 157/2.

(4) Zipperstein, The Jews of Odessa, p. 37.

**ب-كان اليهود في أوديسا غير منعزلين عن المحيط الأكبر للإمبراطورية الروسية ، ويختلف عما كان عليه الحال في غالبية المدن الروسية والأوكرانية والبولندية إذ كان اليهود يعيشون في المقام الأول في مناطق منفصلة ، فلم يتم تقييد المستوطنين اليهود الأوائل الذين وصلوا إلى أوديسا بذلك ، ولهم حرية اختيار الاقامة بحرية في جميع أنحاء المدينة.**

**ج- كانت هناك عملية اندماج هؤلاء اليهود مع باقي فئات المجتمع في أوديسا، وبذلك يتبين مدى الزيف الذي يمارسه الصهاينة حول أسطورة شعب الله المختار، وكانت عملية التواصل مع غيرهم قائمة على العديد من الجوانب إلا ما يتعلق بالجانب الديني الذي تخلو عنه.**

**د- المتتبع لما جرى في فلسطين - يرى وبلا أدنى شك - مقدار التشابه بين ما جرى فيها وفي أوديسا ، بل والمستوطنات اليهودية الأخرى في مختلف أرجاء العالم أولاً ، وثانياً نفي المزاعم الصهيونية حول أرض الميعاد المزعومة.**

## ❖ نظرية التسلل اليهودي:

وكان اليهود المكوّن الرئيسي الثاني لسكان أوديسا بعد السلافيين بعدد ( 200.000 ) ألف من مجموع سكان أوديسا البالغ عددهم ( 620.143 ) نسمة. ويوضح الجدول النسب المئوية لإجمالي سكان أوديسا المكونين من اليهود منذ تأسيس المدينة[1].

(1) Herlihy, Odessa: A History, p.251.

**النسبة المئوية لليهود في إجمالي عدد السكان في أوديسا (1794–1912م)**

| السنة | اجمالي عدد السكان | عدد اليهود | النسبة المئوية لليهود |
|---|---|---|---|
| 1794 | 2.345 | 244 | 10.41 |
| 1827 | 32.995 | 4.226 | 12.81 |
| 1829 | 51.988 | 7.900 | 15.20 |
| 1841 | 73.888 | 10.775 | 14.58 |
| 1843 | 77.778 | 12.000 | 15.43 |
| 1854 | 90.319 | 17.080 | 18.91 |
| 1873 | 193.513 | 51.378 | 26.55 |
| 1880 | 219.300 | 55.300 | 25.22 |
| 1892 | 340.526 | 112.235 | 32.96 |
| 1897 | 403.815 | 138.935 | 34.41 |
| 1904 | 511.000 | 160.000 | 31.31 |
| 1912 | 620.143 | 200.000 | 32.25 |

ويشير الجدول أعلاه بأنه حين تأسست المدينة سنة (1794م) كانت النسبة المئوية لليهود ( 10.41 ) من إجمالي عدد السكان ، بينما شكلوا في سنة (1912م) ما نسبته ( 32.25 ) من إجمالي السكان ، وبذلك وكانوا جزءًا لا يتجزأ من اقتصادها ومجتمعها. لكن أوديسا على الرغم من كونها رابع أكبر مدينة في الإمبراطورية

الروسية، بعد القديس سانت بطرسبورغ ، وموسكو ووارسو، بدأت في التدهور في الإنتاج والتجارة[1]. وكان للحرب العالمية الأولى وثورة (1917م) والحرب الأهلية[2] أيضاً تأثيراً كبيراً على الرفاهية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لأوديسا. بحلول الوقت الذي وصل فيه النظام السوفييتي إلى السلطة في سنة (1920م) ، وقد طرأ على المدينة العديد من التغييرات لاسيما سكانها ، جراء التدفق الكبير للسكان. في المراحل الأولى من الحكم السوفييتي ، كانت أوديسا ما تزال تعد مدينة روسية يهودية[3].

ووفقاً للسياسة الجديدة التي أقرتها حكومة الاتحاد السوفييتي ، لم يعد يتم تعريف اليهود على أنهم أقلية دينية ، بل أحد من العديد من الجنسيات في الوسط الأكبر من الرجال والنساء السوفييت المتساوين ، ودفع هذا الإحساس بالمساواة العديد من اليهود المتحمسين للعمل في النشاط الحزبي وبالمراكز المتقدمة. وقبل ثورة (1917م) ، كانت أوديسا موطناً لعدد كبير من المنظمات الثورية والسياسية ، التي

(1) Herlihy, Odessa: A History, p.251.

(2) الحرب الأهلية الروسية: وقعت من سنة ( 1918 إلى 1922 ) من الأحداث الكارثية للحرب العالمية الأولى. قزمت هذه الحرب الأهلية كل الحروب الأخرى في القرن العشرين من حيث النطاق والأهمية. لقد فقدت حياة عشرات الملايين أو تغيرت إلى الأبد في الحرب التي تلت ذلك من المعركة والمرض والمجاعة والسجن والإعدام والتشريد والنفي. للمزيد ينظر:

David Bullock, The Russian Civil War 1918–22, (Osprey Publishing, Oxford, 2008).

(3) Herlihy, Odessa: A History, p.166.

كانت تعمل في معظمها بصورة سرية. كذلك أصبحت المدينة واحدة من أكثر مراكز النشاط الصهيوني في جميع أنحاء الإمبراطورية الروسية[1].

### ❖ البعد الديني لمشروع أوديسا:

جادل ليون بينسكر في كتابه الشهير ( التحرر الذاتي ) " **بأن الخوف من اليهودية هو اضطراب نفسي ، باعتباره اضطراباً نفسياً فهو وراثي ، وكمرض ينتقل لألفي سنة فهو غير قابل للشفاء ، إنه الخوف من الأشباح الذي بصفته ولد رهاب اليهود قد أثار هذا الخوف ، ويمكنني أن أقول الكراهية الأفلاطونية ، التي بفضلها لن تعود الأمة اليهودية بأكملها وحث اليهود على الهجرة إلى صهيون** "[2]. وعلى إقامة وطن لليهود على أرض فلسطين وليس في غانا كما اقترح آخرون. بدأت العديد من الجهود الصهيونية من قبل لجنة فلسطين التي تأسست في ثمانينيات القرن التاسع عشر ، والتي عملت على نقل اليهود من الإمبراطورية الروسية إلى أراضي فلسطين والتي أصبحت فيما بعد تعرف بـ ( الكيان الصهيوني ) ، وفي بداية القرن العشرين وعرفت أوديسا باسم " بوابة صهيون " بسبب الرحلات المتكررة من مينائها إلى حيفا على متن السفينة الشهيرة " رسلان " برحلاتها المستمرة حتى سنة (1927م) ، وهي بمثابة وسيلة للعديد من اليهود الروس من جميع أنحاء البلاد لاختبار حياتهم في أرض

---

(1) Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities, p.60.

(2) Leo Pinsker, Auto-emancipation, ( Maccabaean Publishing, New York, 1906 ), p.3.

فلسطين[1]. **وبذلك تعد أوديسا هي الأصل وليست بديلاً عن فلسطين كوطن قومي لليهود.**

أمّا بالنسبة لأولئك اليهود الذين بقوا في أوديسا فقد تغيرت حياتهم أيضاً بشكل جذري ، إذ كانت السياسة السوفييتية تجاه اليهود غير متسقة في السنوات العشرين الأولى من عملها ، جعلت فالحكومة السوفييتية جعلت اليهود متساوين مع السوفييت الآخرين وكافأت أولئك الذين ساعدوا في تحفيز قضيتهم. لكنَّ القرارات اللاحقة لنظام ستالين عكست الالتزامات السابقة باضطهاد اليهود كأعضاء في النخبة المثقفة و" كوزموبوليتانيين بلا جذور ". تجعل السياسات المتغيرة والمتناقضة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية من المستحيل تقريبًا مناقشة التاريخ اليهودي السوفييتي من حيث أي موقف موحد.... في أوديسا أنه في حين أنَّ العديد من المنظمات الدينية واللغة العبرية ما تزال موجودة في أواخر العشرينيات من القرن الماضي ، إلا إنها عانت من نقص الاهتمام الشعبي[2] بدلاً من حظر نشاطها. وبشكل عام ، اتبع اليهود في أوديسا الاتجاه السوفييتي الأكبر للاستيعاب ، كما يتضح من ممارسات الزواج المختلط ، وتبني اللغة والثقافة الروسية ، والالتزام بالقيم الاشتراكية التي تروج لها الحكومة. وبدا اليهود ، من وجهة نظر سلزكين ، " أكثر سوفياتية من بقية دول الاتحاد السوفييتي"[3].

---

(1) Amos Oz, A Tale of love and Darkness, translated from Hebrew by Nicolas de Langes, ( Vintage Books, London, 2004 ), p.54.

(2) للمزيد حول الثقافة الشعبية لليديشية السوفيتية ، ينظر: Anna Shternshis, Soviet and Kosher: Jewish Popular Culture in the Soviet Union, 1923-1939, ( Indiana University Press, U.S.A, 2006 ) ; Jeffrey Veidlinger, Jewish Public Culture in the Late Russian Empire, ( Indiana University Press , U.S.A, 2009 ).

(3) Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities, p.61.

ويروي الدبلوماسي الالماني السابق ، كارل دينستمان ( Carl Dienstman ) في مقالة نشرها في سنة (1953م) ما يأتي: " كنت قنصلا في أوديسا خلال السنوات بين (1926–1928م) ، وكانت هذه هي الفترة التي تبنى فيها الاتحاد السوفييتي فكرة حماية حقوق الأقليات ، وأفسح المجال لظهور مستوطنات ومقاطعات خاصة للأقليات في شكل جمهوريات أو مقاطعات ذات حكم ذاتي ، إنَّ الجالية اليهودية القوية عددياً في أوديسا قد غمرها الأمل بأن منطقة أوديسا يمكن أن تصبح مقاطعة من هذا النوع ، وقامت بالدعاية لهذه الغاية ، ولكنَّ هذه الرغبات سرعان ما أخمدت ، وكأنما نزلت عليها صاعقة ، إذ قامت الشرطة السرية باعتقالات واسعة النطاق ، وتم توقيف عدة مئات من اليهود في ليلة واحدة ، ثم جرى نفيهم الى سيبيريا بقرار اداري. وكان المعتقد أنَّ حركة أوديسا تعود في أصولها الى الصهيونية التي كانت ترمي إلى جعل "اوديسا" طليعة لأورشليم ، ولذلك شمل التوقيف جميع الصهيونيين المحليين بدون استثناء. وهكذا جعلت فكرة المقاطعة اليهودية خطرة سياسياً ، فلم يعد يتطرق اليها أحدٌ ، وبعد ذلك بمدة أنشأت الحكومة بيروبيدجان كبديل لأوديسا "[1].

وللنص السابق دلالات مهمة لابد من الإشارة إليها:

**أ- يشكل المشروع اليهودي لوطن بديل في أوديسا أحد النماذج الاستراتيجية ، وكذلك عدم أهمية فلسطين وأولويتها كمشروع وطن قومي لليهود.**

**ب-إنَّ عدد سكان أوديسا من اليهود لم يكن قليلاً ، وما يؤكد ذلك تقرير مثير للاهتمام قام به ليستشينسكي ( Lestschinsky ) في سنة (1925م) ، فإن المدن الأربعة عشر في أوروبا وأمريكا التي يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة تضم ( 3.500.000 ) مليون يهودي من إجمالي عدد سكانها**

(1) Mazis, The Greeks of Odessa, p.39.

**البالغ ( 38 ) مليون ، أي ( 9.2٪ ) ، فكانت النسبة الأكبر في أوديسا ( 36.4% ) ، ونيويورك ( 29.6% )، وأصغرها في هامبورغ ( 1.7 % ) وغلاسكو ( 1.5% ). فكانت نسبة اليهود في هذه المدن أكبر بأربع مرات ونصف من إجمالي عدد سكان أوروبا وأمريكا[1]. مما يؤهل المنطقة بأن تكون ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات الاتحاد السوفييتي.**

**ج- قيام الشرطة السرية في أوديسا باعتقالات واسعة النطاق ، وتوقيف عدة مئات من اليهود في ليلة واحدة ، ونفيهم الى سيبيريا بقرار إداري ، أمر لافت للنظر يشير إلى أنه كانت هناك قوى تعمل على عدم استقرار اليهود سواء في أوروبا الشرقية أو الغربية ، بل وحتى في الولايات المتحدة الامريكية.**

**د- يعد مشروع أوديسا خطراً من حيث أبعاده المستقبلية ، إذ يكشف من خلاله بأن مشاريع البدائل اليهودية لا تعد فلسطين أحد محاورها الأساسية.**

### ❖ البعد الثقافي لمشروع أوديسا:

وأشار أحد الباحثين إلى أهمية أوديسا لليهود بقوله: " لطالما كان جنوب روسيا تخوماً أو أرضاً حدودية ، مثلها مثل غرب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر ، إذ هاجر اليهود في الأصل إلى هذا الجزء من الإمبراطورية القيصرية من بلدات ومدن أصغر في مناطق يهودية تقليدية ، مثل غرب أوكرانيا ، وبيلاروسيا ، وليتوانيا ، وبولندا بحثاً عن فرص اقتصادية "[2]. ومثل الأراضي الحدودية الأمريكية ، فقد جذبت اليهود المثقفين والمقاولين الذين كانوا على استعداد للعيش بدون مجتمعات يهودية تقليدية

(1) Arthur Ruppin, The Jews In The Modern World,p.36-37.

(2) Zipperstein, The Jews of Odessa, p.9-10.

راسخة ومسارات مهنية ، **وأوديسا هي مرتكز تلك الثقافة اليهودية التي تدفع الحدود ، وكان لديها ما يكفي من هؤلاء اليهود لبناء أنواع جديدة من المجتمعات الدينية والفكرية والثقافية. ومع نمو المجتمعات اليهودية في تلك المدينة ، نمت الثقافة اليهودية. فأصبحت المدينة عاصمة الثقافة العبرية الحديثة ، مسقط رأس الصحافة اليديشية ، إلى جانب سانت بطرسبرغ ، أحد أهم المحاور للثقافة اليهودية باللغة الروسية. وأصبحت أوديسا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باليهودية لدرجة أن اسمها أصبح رمزاً للدلالة على اليهودي في الحقبة السوفييتية اللاحقة. إذ اصبح يُعرِّف المرء نفسه في الأوديسان ( Odessan ) بشكل غريزي تقريباً بأنه يهودي؟** [1].

وقال جارود تاني ( Jarrod Tanny ) عن سنوات ما بعد ستالين:

" **إن إلغاء اليهودية في الثقافة السوفييتية عزز بشكل مثير للسخرية بل وعزز الطابع الأسطوري لأوديسا القديمة وشعبها ، لأنَّ أوديسا القديمة كانت دائماً تُعرف ضمنياً وليس بشكل صريح على أنها مدينة يهودية من خلال الاستخدام الدقيق للتأثيرات اليديشية في النصوص والحوارات الروسية ، ومن خلال استخدام الزخارف الفولكلورية اليهودية التقليدية ، دون الإشارة إلى أصولها الثقافية ، وكذلك من خلال إنشاء شخصيات ميزتها وإيماءاتها وحركاتها ومظاهرها على أنها يهودية وبطريقة مناسبة، بينما تشير الأسماء إلى خلاف ذلك. ربما تم إجبار حاملي الثقافة اليهودية على العمل بالظل في حقبة ما بعد ستالين ، لكن أسطورة أوديسا القديمة**

(1) David Shneer, Through Soviet Jewish Eyes Photography, War, and the Holocaust, ( Rogers University Press. New Brunswick, New Jersey and London, 2011 ), p.23.

**غالباً ما كانت بمثابة قناة بديلة يمكن من خلالها التعبير عن بعض جوانب هذه الثقافة علناً "**[1].

❖ **البعد السياسي:**

ويبدو أنَّ بعض اليهود كانوا طامعين في إنشاء مقاطعة يهودية في منطقة اوديسا ( Odessa ) في أوكرانيا. وكانت مدينة "اوديسا" – ميناء الاتحاد السوفييتي ( سابقاً ) على البحر الاسود – من أقدم مراكز التجمع اليهودي في روسيا ، وبؤرة الصهيونية فيها ، ومركز جماعات "عشاق صهيون" ، التي انتشرت فروعها في جميع المناطق التي يوجد فيها اليهود في روسيا. وكان رئيسها في اوديسا " ليون بينسكر "، ورائد الفكرة الصهيونية بين يهود روسيا في شكلها الحديث[2].

**الاستنتاجات:**

**أ- تعدد البدائل ، إن جميع الخيارات والبدائل الاستراتيجية للوطن اليهودي معظمها في الاتحاد السوفييتي ( القرم ، أوديسا ، بيروبيدجان ). ولا وجود لفلسطين كبديل لوطن قومي لليهود.**

**ب- واجهات متعدد ، أتخذ القائمون على المشاريع اليهودية واجهات متعددة ما بين العقدي والثقافي ذي الصبغة القومية من خلال اتخاذ اللغة اليديشية محور الثقافة اليهودية.**

---

(1) Jarrod Tanny, City of Rogues and Schnorrers: Russia 's Jews the Myth of Old Odessa, ( Indiana University Press, U.S.A, 2011 ), p.131-132.

(2) Herlihy, Odessa: A History, 1794-1914, p.251 ; Sapritsky, Negotiating Traditions: Transformations of Jewish, p.50-51.

**ج- الاندماج ، إن هناك من اليهود من كان يبحث عن الاندماج سواء في أوديسا أو غيرها من المدن التي يقيمون فيها ، وذلك يشير إلى أمر مهم وهو " أسطورة الشعب المختار".**

**د- التسلل ، كعادة اليهود كان التسبب أحد الأساليب للسيطرة على أوديسا فأصبحت المدينة عاصمة الثقافة العبرية الحديثة ، مسقط رأس الصحافة اليديشية ، إلى جانب سانت بطرسبرغ، أحد أهم المحاور للثقافة اليهودية باللغة الروسية. وأصبحت أوديسا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باليهودية لدرجة أن اسمها أصبح رمزاً للدلالة على اليهودي في الحقبة السوفييتية اللاحقة.**

**هـ- الفشل وآثاره ، هناك أسباب عدة إن فشل مشروعي القرم وأوديسا اليهوديين لعل من أبرزها:**

**1- معارضة سكان البلاد الأصليين من المسلمين التتار وغيرهم.**

**2- معارضة بعض القوى السياسية السوفييتية لإقامة وطن قومي لليهود.**

**3- تعارض أولويات التيارات اليهودية الصهيونية تجاه مشاريع الوطن اليهودي وبالذات معارضة حركة البوند التي تدعو إلى الاندماج اليهودي في المجتمع الروسي.**

**4- نتيجة لفشل مشاريع القرم وأوديسا تم البحث عن بدائل أخرى أكثر أمنا للوجود اليهودي.**

**5- بروز مشروع بيروبيدجان كوطن بديل لليهود اقتراح قيادات سوفييتية وغيرهم.**

**6- اقتراح القيادات السوفييتية وتحديداً ستالين لدعم تنفيذ وعد بلفور لإقامة الكيان اليهودي في فلسطين ( اسرائيل ).**

# الفصل الثالث:

## البديل الثالث مشروع جمهورية بيروبيدجان

### المبحث الأول: الموقع الجغرافي والدوافع

### المبحث الثاني: موقف اليهود من مشروع بيروبيدجان

## المبحث الأول: الموقع الجغرافي والدوافع:

### أولاً: الموقع الجغرافي:

إنَّ مساحة بيروبيدجان[1] ( Birobidjan، Birobidzhan ، בירובידזשאן ) التي خصصت للتوطن اليهودي في الشرق الأقصى بموجب القانون الصادر في (28 أذار/ مارس 1928م) تبلغ ( 37 ) ألف كيلو متر مربع ، أو ( 14.800 ) ميل مربع[2]. وبه مدينتان هما بيروبيدجان واوبليتش إلى جانب ( 43 ) قرية[3]. وتقع هذه المنطقة في جيب يحدثه انعطاف كبير في نهر آمور الذي يفصل بين الاتحاد السوفييتي ومنشوريا ، وتمتد حدودها الجنوبية والجنوبية – الغربية، محاذية لذلك النهر العريض لمسافة ( 550 ) كيلو متر تقريباً ، مبتدئة من نقطة في غرب مدينة خاباروفسك ، ثم معه شمالاً ثم شرقاً ، فتتبع خطاً منحنياً يتجه شرقاً فجنوباً حتى تحاذي أنهار كوزمون ، وآومرى ، وتونكوسكا ، وفي القسم الغربي والشمالي من المقاطعة تقع جبال خينكان الصغيرة التي يبلغ أقصى ارتفاعها ( 1.066 ) متراً ( 3.500 ) قدم. وذلك القسم من المقاطعة – كلّه – عبارة عن تلال ليست صالحة الزراعة ، لكنها تحتوي على غابات كثيفة غير مستغلة ، تتوافر فيها أنواع ثمينة من الأخشاب ، كما توجد فيها حيوانات ذات فراء...[4].

---

(1) للمزيد عن الموقع الجغرافي لبيروبيدجان ينظر الخرائط في الصفحات التالية.

(2) لابد من ذكر بأن مساحتها أكبر من مساحة فلسطين التي تبلغ حوالي ( 27500 كم مربع ). تيسير جبارة، تاريخ فلسطين ، ( دار الشروق ، عمان – عمان ، ط1 ، 1998 ) ، ص15. عن خريطة بيروبيدجان ينظر ، ص147–149 من الكتاب.

(3) صلاح دباغ ، الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين , ( منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت، 1968 ) ، ص53.

(4) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص77–78.

وأكبر مدن المنطقة هي العاصمة. وقد كانت المنطقة تسمى " كوخوتكايا " ، ومعناها بالروسية ، " المكان الهادئ " وهي تدعى الآن " بيروبيدجان ". وأقرب المدن الكبيرة في الشرق الأقصى السوفييتي إلى بيروبيدجان هي خاباروفسك التي تبعد عنها ( 173 ) كيو متر، وهي عاصمة الإقليم الذي تتبعه بيروبيدجان[1]، أما المسافة بين موسكو وبيروبيدجان التي أصبحت إقليماً لليهود السوفييت فتبلغ نحو ( 5000 ) ميل ( 8046 ) كيلو متر ، على طول الحدود الصينية السوفييتية[2]. وجاءت تسمية بيروبيدجان من اسماء نهري ، ( بيرا ) و ( بيجان)[3].

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص80.

(2) Robert Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan in the Mirror of Birobidzhanskaya zvezda, 1946-49, ( East European Jewish Affairs, Routledge Journals, U.K, 1996 ), vol.26, on.1, p.35.

(3) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص71.

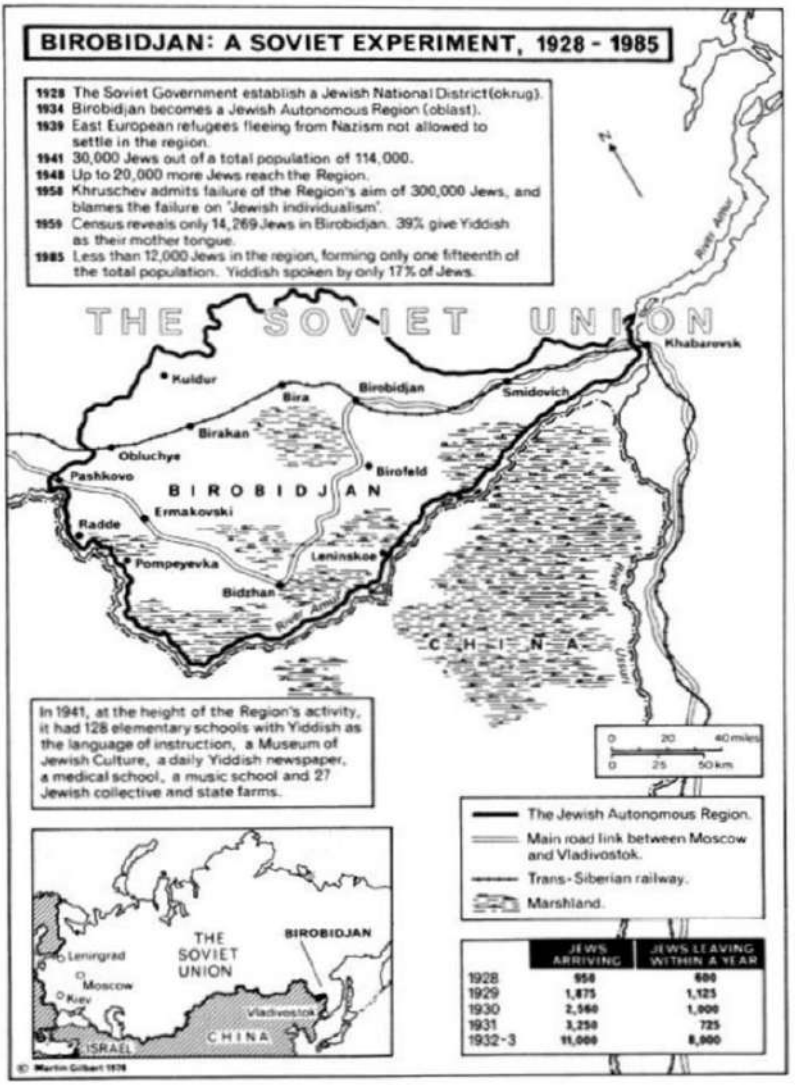


92

**خريطة بيروبيدجان المفصلة[1].**

(1) Martin Gilbert, The Routledge Atlas of Jewish History, ( Routledge,

**خريطة بيروبيدجان في الشرق الأقصى الروسي** ( ويكيبيديا )

**خريطة جمهورية اليهود في جنوب شرق روسيا** [1]

London and New York, 2010 ), p.92.

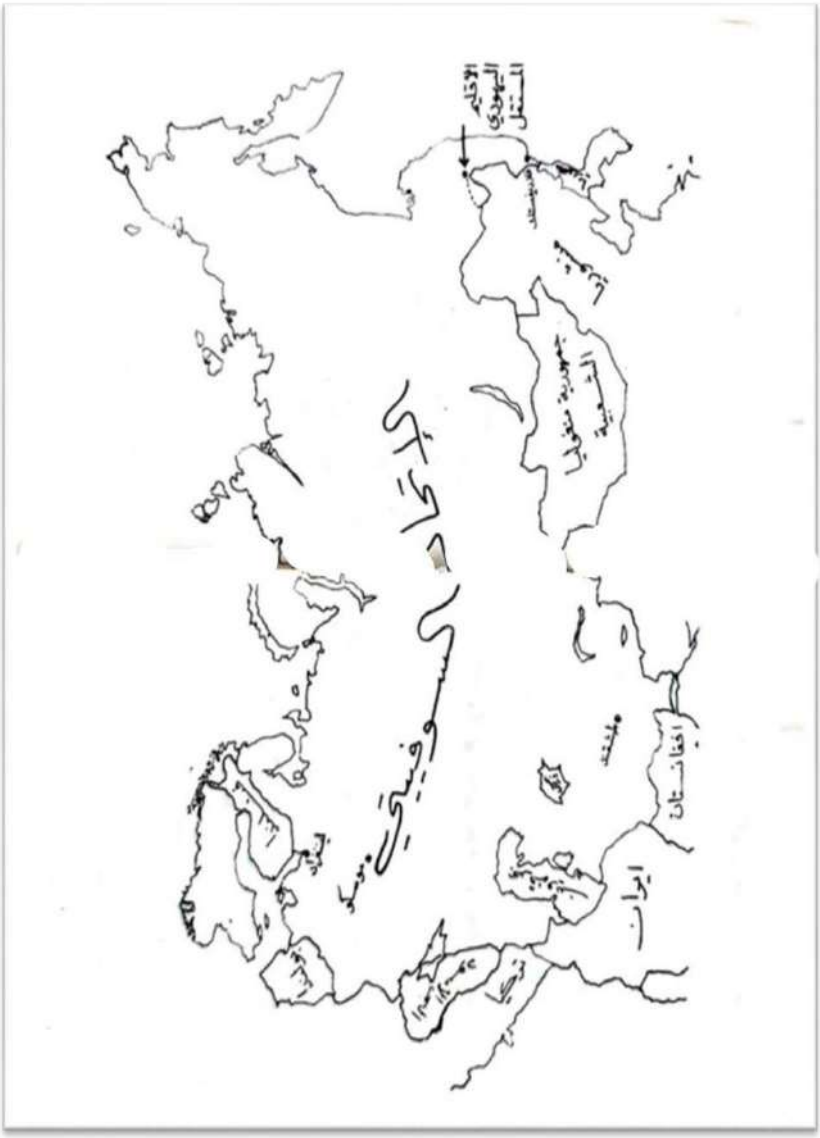


**خريطة بيروبيدجان في الشرق الأقصى الروسي**[1]

(1) صلاح دباغ ، الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين، ( منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث، بيروت، 1968 ) ص54-55.

## ثانياً: دوافع المشروع:

لقد كان هناك العديد من الدوافع لإقامة مشروع جمهورية بيروبيدجان ولعل من أهمها ما يلي:

### أ- مشاركة اليهود في الثورة الروسية ورد الجميل:

لقد كان لليهود دور بارز في قيام الثورة البلشفية سنة (1917م)، فيشير الكاتب الروسي إيغر شفريفتش بقوله: " **اقتصرت مشاركة اليهود مشاركة فعالة في الثورة الروسية، على الأقلية الناشطة سياسياً من مجمل سكان روسيا اليهود. وهذا أمر طبيعي، فهكذا كان حال الشعوب جميعاً، يتساوى في ذلك الروس والجورجيون. إن مشاركة اليهود في الثورة الروسية أمر معروف على نطاق واسع، وغالباً ما يكون موضوعاً للنقاش. ولكن النقاش في معظمه يختزل إلى واحد من غُلويّن. فإما أننا نجد من يؤكد أن هذه المشاركة عامل ثانوي غير مهم من حيث المبدأ، لا معنى (ولا وجوب) لمناقشته، بزعم أن عدد اليهود الذين شاركوا في الثورة لم يكن كبيراً، بل وأن هؤلاء لم يكونوا يهوداً ، وإنما كانوا أمميين انقطعوا عن جذورهم القومية، وأن مناقشة هذه المسألة، عموماً، معاداة للسامية. أو إننا ، على العكس من ذلك، نجد من يفسر مشاركة اليهود في الثورة على أنها العامل الحاسم فيها وسببها الرئيس، أو حتى الوحيد. هي إن محاولة إعادة رسم اللوحة الحقيقية التي لا تنزع نحو هذا الغلو أو ذاك، محاولة لا تحظى إلا بالقليل من التفهم. وهذا ما عانى منه مؤلف هذا الكتاب ( ٢٥ ) سنة ، حاولت أن أصوغ فيه وجهة نظري بدقة وهي: إن الفكرة القائلة بأن الثورة من صنع اليهود حصراً ما هي إلا سخافة لم تخترع على الأرجح،**

**إلا ليكون دحضها بعد ذلك أسهل من اختراعها. ولكنني ما زلت حتى الآن، وبعد مرور ربع قرن، أصادف من يؤكد بأني أعتبر الثورة مؤامرة يهودية "**[1].

ويستدل من الحديث أعلاه ما يلي:

**1- يؤكد الكاتب هنا بأن مشاركة اليهود أمر معروف على نطاق واسع.**

**2- ويتضح من خلال الحديث أعلاه مقدار التلاعب بالأحداث التاريخية لإخفاء دورهم سواء في أمر الثورة البلشفية أم غيرها.**

**3- لكن معاملة اليهود في أعقاب الثورة اختلفت اختلافاً جذرياً، وما يؤكد ذلك هو إقامة جمهورية خاصة بهم في بيروبيدجان مع احتفاظهم بخصوصيتهم الدينية، وكذلك السماح لهم بوجود حزب خاص بهم وهو البوند الحزب الاشتراكي اليهودي وهذه ميزة أخرى لهم حصراً وليس لغيرهم من الطوائف والأعراق الدينية الأخرى.**

**ب- ارضاء المنظمة الصهيونية العالمية:**

بعد الحديث عن دورهم في الثورة البلشفية أعلاه لا يمكن إغفال دور الصهيونية العالمية في تقديم الدعم المادي للاتحاد السوفييتي وذلك ما تمت الإشارة إليه في محاولة إقامة كيان لهم في شبه جزيرة القرم[2]. **وبعد فشل المشروع كما أشرنا سابقاً كانت الوجهة التالية لليهود هي اقامة جمهورية بيروبيدجان اليهودية. ولا بد من ذكر**

---

(1) للمزيد ينظر إيغر شفريفتش، لغز عمره ثلاثة آلاف عام تاريخ اليهود من منظور روسيا المعاصرة، ترجمة نوفل نيوف وعادل اسماعيل، ( الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، 2010 )، ص237-287.

(2) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص248.

**وعد ستالين بتلبية مطامع اليهود تجاه شبه جزيرة القرم من أجل تحويلها إلى وطن قومي بدلاً من فلسطين في عشرينيات القرن الماضي**[1].

**جـ – المشكلة اليهودية في روسيا:**

بالنظر للدور اليهودي المنتشر في روسيا القيصرية والمتنفذ في الثورة البلشفية، واستشعار القيادات اليهودية بضرورة معالجة ما سمي بالمشكلة اليهودية ، وخصوصاً بعد تطور خيارات التعامل مع هذه المشكلة سواء بخيار الاندماج أم الهجرة والتوطين أم اقامة المستعمرات والكيانات السياسية المستقلة[2]. مما استوجب على القيادة البلشفية على التفكير جدياً بإقامة كيان مستقل لليهود داخل أراضي الاتحاد السوفييتي، وأمام مشكلة العاطلين اليهود الذين قضت الثورة على حرفهم ومهنهم وتجارتهم، اضطر البلاشفة في النهاية إلى تبني شعار الصهيونية، " **العودة إلى الأرض**". **أو** " **امتهان الزراعة** ". وبادرت السلطات إلى فتح مزارع خاصة لتشغيل اليهود، ما فتئت حتى توسعت إلى حد إقامة جمهورية ذات استقلال خاصة باليهود " **جمهورية بيروبيدجان**". وكان المؤمل فيها أن تحل مشكلة ذاتي البطالة التي تفشت بينهم وتحقق لهم ما كانوا يصبون إليه من استقلال ذاتي[3]. وعلى الرغم من وجود العديد من الدراسات حولها إلا

(1) عمارة ، موسكو – تل أبيب ، ص248.

(2) ينظر إلى ما تم التطرق له في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(3) خالد القشطيني ، تكوين الصهيونية ، ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1986 ) ، ص260-261.

أنها لا تزال بحاجة إلى دراسة مستقلة للإحاطة بحيثياتها كون تلك الدراسات لم تعالج المشكلة بطريقة حيادية ولا يسع المجال للتطرق لها[1].

**د- الهاجس الأمني اليهودي:**

يؤكد هرتزل أن خوف اليهود أو ما يعرف بالهاجس الأمني هو الذي دفع اليهود لاختيار مكان بعيد لإقامة كيان خاص بهم ، وما يؤكد ذلك كلام هرتزل في يومياته حينما توجه في طروحاته حول أمريكا اللاتينية إذ يقول: " **يجب علينا التوجه صوب أمريكا اللاتينية، باعتبارها تؤلف قارة بعيدة بشكل مقبول عن أوروبا المتعسكرة ، وذات السمعة الرديئة ولو لفترة ملحوظة من الزمن. إن اليهود عبروا المحيط الاطلسي، لن تثير دولتهم انتباه اوروبا ، وقبل المضي في أميركا الجنوبية يمكننا أن نعيش أولا وفقا للقوانين والمعاهدات تبادل المجرمين المرعية الاجراء لدى الدولة التي تستقبلنا في أمريكا اللاتينية بالمقارنة مع أوروبا** [2].

من خلال التأمل في حديث هرتزل أعلاه يتبين بأن القائمين على المشروع اليهودي الصهيوني كانوا يعانون من الهاجس الأمني أو بالأحرى خوفهم من إقامة كيان لهم في المناطق القريبة من أوروبا أو حتى بالقرب من مراكز اتخاذ القرار في روسيا نفسها ، لذا كانت مقاطعة بيروبيدجان هي الملاذ الآمن لهم.

---

(1) من بين الدراسات حول المشكلة اليهودية على سبيل المثال لا الحصر. دويتشر ، اليهودي اللايهودي ؛ بديعة أمين ، المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، ( دار الطليعة, بيروت، ط1، 1974 ).

(2) Herzl, The Complete Diaries, p.69-70.

**هـ- حماية الأمن القومي السوفييتي:**

**أكد لينين على أهمية حماية الأمن القومي للاتحاد السوفييتي فقال بعبارات صريحة واضحة:** " ان على اولئك الذين يعتزون بثقافة قومية يهودية أن يرتبطوا بيروبيدجان... اننا نهيء بيروبيدجان لتكون دولة قومية يهودية. واعترف لينين في خطابه أيضاً بأن الهجرة اليهودية إلى بيروبيدجان لم تكن ناجحة جدا ، لان عدد اليهود الذين عادوا منها كان أكثر بكثير من الذين مكثوا فيها. وأعرب عن الأمل بأنه اذا هاجر اليها ( 4.000 ) آلاف يهودي فقط في كل سنة ، فالكثير يكون قد انجز خلال عشر سنوات. وحين يستوطن هناك ( 100.000 ) ألف شخص فان الحكومة السوفييتية ستنظر في انشاء جمهورية يهودية. **ثم أكد لينين على أهمية الدفاع عن الشرق الاقصى السوفييتي"**[1].

**و- استكمال السيطرة اليهودية على الاتحاد السوفييتي كوطن يهودي:**

وذلك ما أكده أحد الباحثين المحدثين بقوله: **"جماهير الكادحين اليهود ، الذين يتخللهم الولاء والتفاني للنظام السوفييتي ، يذهبون إلى بيروبيدجان... إنهم لا يقاتلون من أجل بلدهم فقط ، وليس من أجل وطن جديد ، لأن الاتحاد السوفييتي بالفعل لهم ، ولكن من أجل تعزيز الاتحاد السوفييتي في الشرق الأقصى"**[2].

**س- ارتباط المشروع اليهودي الصهيوني بالمخلص المنتظر:**

**لا بد من إقامة مركز روحي في صهيون من شأنه أن يوجد شعب الشتات بوشائج روحية ولتحقيق ذلك يكفي ان ينتقل إلى فلسطين للعيش فيها جزء طفيف**

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص123.

(2) Lionel Kochan, (ed), The Jews in Soviet Russia Since 1917, ( London Oxford, 1972 ), p.71.

**من الشعب اليهودي، ولو لم يزد على واحد بالمائة منه. لقد بقي الجانب الواقعي من البرنامج الصهيوني غامضاً جداً.** فإذا كان المقصود هو تقديم مساعدة لليهود الذين يعانون أشدّ الأوضاع قسوة ، فإن الهجرة إلى الولايات المتحدة، مثلاً ، كانت توفر مخرجاً أكثر واقعية بكثير. **أما إذا كان المقصود هو تجميع قسم كبير من الشعب اليهودي في فلسطين على أساس تنفيذ وصايا العهد ، فهذا يعني برنامجاً دينياً يرتبط بظهور المخلص المنتظر.** بل ولقد كان ولا يزال من الصعب على المرء أن يتصور كيف يمكن تنفيذ هذا البرنامج. فما من شك في أن فلسطين ما كان بوسعها أن تعيل هذا العدد من البشر ، وهو أمر واضح الآن أيضاً. وللحقيقة، فقد ورد في بعض الوثائق الصهيونية آنذاك كلام عن فلسطين وبعض البلدان المجاورة ( تركيا الآسيوية مثلاً ). وعلى أي حال ، فإنه يتعذر على الفهم كيف كان لهم أي المهاجرين اليهود مسترشدين بمبادئ اليهودية[1].

يشير النص إلى أمرين مهمين هما:

1- **رؤية استراتيجية ، يؤكد النص على وجود تفكير استراتيجي للمشروع اليهودي ، لابد من إقامة مركز روحي في صهيون ، ويكفي ان ينتقل إلى فلسطين للعيش فيها جزء طفيف من الشعب اليهودي ، ولو لم يزد على واحد بالمائة منه.**

2- **انتظار المخلّص ، ارتبط المشروع اليهودي ببرنامج ديني يرتبط بظهور المخلص المنتظر.**

**يؤكد الحديث بأنه فلسطين مركز روحي فقط، وليس كياناً سياسياً لذلك أوجدت بيروبيدجان.**

---

(1) شفريفتش ، لغز عمره ثلاثة آلاف عام ، ص174.

## المبحث الثاني: موقف اليهود من مشروع بيروبيدجان:

ينطلق موقف الاتحاد السوفييتي من خلال رؤية تروتسكي إذ يشير إلى أن فشل الدول الغربية الرأسمالية في معالجة المسألة اليهودية ، يعود لعاملين مهمين أولهما استمرارية معاداة السامية ، والثاني الأحداث اليهودية العربية في سنة (1929) في فلسطين كونها مثلت انتفاضة ثورية للجماهير العربية المضطهدة التي كانت ترفض اغتصاب بلادهم وإقامة كيان لليهود فيها. ويضيف بأن العمل الحقيقي يجب أن يكون تحت مظلة الاتحاد السوفييتي ( البلشفي ) ، ونص ما قاله:

**" يبدو لي أن التصريح بأن بيروبيدجان هي " الصهيونية اليسارية " غير صحيح تماماً. فالصهيونية تجتذب العمال من الصراع الطبقي عن طريق آمال غير قابلة للتحقيق لدولة يهودية في ظل ظروف رأسمالية. لكن من واجب الحكومة العمالية أن تخلق لليهود كما لأي أمة، الظروف الملائمة للتطور الثقافي. ويترتب على ذلك توفير جملة أمور منها: توفير الدعم لأولئك اليهود الذين يرغبون في أن يكون لديهم مدارس خاصة بهم ، وصحافة خاصة بهم ، ومسرح خاص بهم وما إلى ذلك ، لإقامة إقليم منفصل للإدارة الذاتية والتنمية. وسوف تتصرف البروليتاريا الدولية بنفس الطريقة عندما تصبح سيدة العالم كله. وفي مجال المسألة الوطنية يجب ألا يكون هناك ضبط النفس ، بل على العكس يجب أن تكون هناك مساعدة مادية من جميع الجوانب لتلبية الاحتياجات الثقافية لجميع القوميات والجماعات العرقية. وإذا كانت هذه المجموعة القومية أو تلك محكوم عليها بالانهيار ( بالمعنى**

**القومي ) ، فيجب أن يستمر هذا بنفس الطريقة التي تسير بها العملية الطبيعية ، ولكن ليس نتيجة لأي صعوبات إقليمية أو اقتصادية أو إدارية "**[1].

ويشير الحديث أعلاه إلى العديد من الدلالات لعل من أبرزها:

**أ- إن مشروع جمهورية بيروبيدجان أحد المشاريع الصهيونية اليهودية وليس بمعزل عنها ، وبأن الصهيونية اليسارية أو اليمينية ليست إلا واجهات للمشروع اليهودي.**

**ب- حدد تروتسكي بأن النظام الرأسمالي العالمي قد فشل في إقامة كيان لليهود في فلسطين ، وهذا الكلام لم يتكلم به أحد قبل تروتسكي.**

**ج- وجود المقاومة العربية على الاراضي الفلسطينية ، جعلت الحركة الصهيونية تعمل تحت مظلة الاتحاد السوفييتي ( البلاشفة ).**

**د- يشير مجمل الحديث أعلاه إلى أن بيروبيدجان كانت أحد البدائل في المشروع اليهودي برعاية الاتحاد السوفييتي.**

كان أنصار فكرة توطين اليهود في أوكرانيا أو القرم يرون في مشروع بيروبيدجان تنازلاً لا لزوم له أمام أعداء السامية في روسيا الاوروبية ، واضراراً بمصالح الشعب اليهودي في الاتحاد السوفييتي. وكانوا يقولون بإنَّ الأموال التي خصصت لذلك المشروع يمكن أن تنفق ، بصورة أكثر فائدة ، على تنمية المستوطنات اليهودية الموجودة في أوكرانيا أو القرم ، خاصة وأن هذه المناطق مألوفة لدى اليهود، وقد عاشوا فيها منذ أجيال وقرون. وكان من رأيهم أيضاً أن بيروبيدجان قد تصلح وطنا لمستوطنين ذوي تقاليد زراعية ، ولكن ليس لشعب كاليهود ككل ، إذ أنّه لم يمارس

(1) Leon Trotsky, On The Jewish Question, ( Pathfinder Press, Canada, Thirteenth printing, 2017 ), p.28-33.

للاطلاع على نص الحوار مع تروتسكي ينظر ملحق رقم ( 1 ).

الزراعة إلا حديثاً... وقد جرى النقاش حول مزايا مشروع بيروبيدجان وعيوبه في أواخر العشرينيات بقدر كبير من الصراحة التي لم تعد ممكنة بعد ذلك بعشر سنوات[1].

وكانت الأقسام اليهودية في الحزب اليفسكتسيا ( Yevsektsiya )[2] منشقة فيما يتعلق بمشروع بيروبيدجان ، وفي جدواه وفائدته ، وكان هناك حتى سنة (1930م) ، معسكران: أنصار القرم ، وأنصار بيروبيدجان وإلى جانب هذين المعسكرين ، قامت فئة ثالثة من الحزب الشيوعي في بيلاروسيا ، فناضلت مدة من الزمن من أجل الحصول على إقليم يخصص لتوطين اليهود في جمهورية بيلاروسيا ، بدلاً من اغراء سكانها اليهود على الذهاب إلى مناطق أخرى. ولكن مركز الاقسام اليهودية في الحزب في موسكو رفض هذا الطلب رفضاً قاطعاً[3].

وقد زار المؤرخ مليك ابستين ( Melech Epstein ) في سنة (1930م) روسيا وحضر مؤتمر جيزيرد ( Gezerd ) ، وقال ما نصه: " كانت الحياة في روسيا صعبة للغاية وباهتة ، وتزايد النقص في الضروريات من يوم لآخر. ولكن يمكن تفسيرها بشكل مقنع من حيث الضغط الهائل الناجم عن الاستثمارات الرأسمالية الضخمة التي تتطلبها الخطة الخمسية الأولى للتصنيع والصعوبات الهائلة للتجمع

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص91-92.

(2) اليفسكتسيا ( Yevsektsiya ) ، كان القسم اليهودي من الدعاية للحزب الشيوعي الروسي من سنة ( 1918 إلى 1930 )، ويستخدم بشكل شائع حتى في الإشارة إلى العديد من الأقسام. عند توليه السلطة في نوفمبر (1917)، واجه الحزب الشيوعي الحزب الصهيوني وهو يشارك أيضًا في أنشطة ثقافية واقتصادية تتعارض مع السياسات الثقافية والاقتصادية للاتحاد السوفييتي. للمزيد ينظر: Paul R. Mendes-Flohr, The Jehuda Reinharz Jew in the Modern World: A Documentary History, ( Oxford University Press, New York, 1995), 433-436.

(3) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص91-92.

المبكر. كان الكساد العظيم يزحف على أمريكا ، وكان النشاط الصناعي في أوروبا الغربية يتقلص بشكل مطرد ، في حين كانت روسيا عمليا سقالة عملاقة. كانت المدن مليئة بالشباب والعمال والطلاب ، ويمكن للمراقب غير المتحيز أن يلاحظ درجة معينة من الحماس بينهم ، يغذيها المستقبل المشرق الموعود لهم بعد انتهاء الضغط الثقيل للتصنيع. ومع ذلك ، فإن العداء الواضح للفلاحين ضد التجميع القسري كان واضحاً في كل مكان. وكنت شاهداً على هذا العداء في الاحتفال السنوي لمجموعة كبيرة مختلطة من القوزاق وغير القوزاق في إقليم كوبان القوزاق. وتعطلت الاحتفالات بسبب صيحات مدوية ضد سياسة الحكومة في أخذ محاصيلهم ، وتقديم القليل جدا لهم في المقابل[1].

وأضاف ابستين قائلاً: وكان هناك ضيف أجنبي آخر هو دون ستورزو ( Don Sturzo )، الزعيم الكاثوليكي الشهير لمنظمة المزارعين الراديكالية الإيطالية. وفي نهاية سنة ( 1930م ) ، وكان العديد من اليهود ما يزالون يشغلون مناصب مهمة في الحكومة والاقتصاد والحياة الفكرية للبلاد. ويكن معرفة ذلك من خلال اتفاقية جيزيرد في موسكو اوزيت ( OZET )[2]. المؤسسة الاجتماعية اليهودية الوحيدة المصرح لها

---

(1) Melech Epstein, Pages from My Stormy Life–An Autobiographical Sketch, American Jewish Archives, November 1962 ), vol.14, no.2, p.147–148.

(2) اوزيت ( Ozet ) ، وهي من بين جمعيتين تأسستا في منتصف العشرينيات من القرن الماضي ، وبأشراف الحكومة السوفييتية الأولى: اوزيت ( جمعية تسوية الكادحين اليهود على الأرض ) والثانية: كومزيت (Komzet) لجنة تسوية الكادحين اليهود على الأرض. واوزيت ظاهرياً منظمة عامة مكرسة للدعاية لاستيطان يهود الاتحاد السوفييتي على الأرض ، وكان يسيطر عليها أعضاء كومزيت ، وخصوصاً موظفو الحكومة والمسؤولوين الشيوعيون، الذين أشرفوا على تنظيم استيطان الأراضي اليهودية في أوكرانيا وبيلاروسيا وشبه جزيرة القرم. في البداية، كرست هذه المنظمات جهودها=

بالعمل ، لديها من المندوبين (150) عضواً، وكانوا أكثر أو أقل من ذلك... ويمكنني أن أضيف أنه على الرغم من الانطباع السائد في الخارج، فإن المندوبين كرهوا بشدة اختيار بيروبيدجان البعيدة كمنطقة للحكم الذاتي اليهودي في المستقبل. لقد فضلوا شبه جزيرة القرم الشمالية الأقرب، والتي كانت بها نواة كبيرة من المستوطنات الزراعية اليهودية الجديدة في ذلك الوقت ، وكان بإمكان الشيوعيين التعبير بحرية عن آرائهم في المؤتمرات الحزبية المغلقة. كنتُ حاضراً في اجتماع التجمع الشيوعي عشية مؤتمر جيزيرد ، وشهدت عداء المندوبين في مشروع بيروبيدجان. لكن ممثل الحزب رفضها ، وبالطبع لم يجرؤ أي منهم على التعبير عن رأيه في المؤتمر المفتوح. سوى شخص واحد هو أبرام ميرزين ( Abram Merezhin ) سكرتير اوزيت ، وقد تم عزله لاحقاً من منصبه واتهم بتخريب قرار الحزب ، واختفى في عمليات التطهير. وثبت أنّ معارضتهم كانت مبررة من خلال الإفلاس التام لبيروبيدجان بعد الحرب العالمية الثانية، وهو إفلاس لا يمكن أن تخفيه أي دعاية ذكية أو ستار حديدي لفترة طويلة"[1].

---

=لتشجيع الاستيطان اليهودي في هذه المناطق لكنها حولت انتباهها إلى منطقة الحكم الذاتي اليهودي بعد سنة (1928). Robert Weinberg, Stalin's Forgotten Zion: Birobidzhan and the Making of a Soviet Jewish Homeland : an Illustrated History, 1928-1996, (University of California Press, 1998 ), p.20-21.

(1) Epstein, Pages from My Stormy Life-An Autobiographical Sketch, p.147-148.

**الاستنتاجات:**

يستدل من حديث ابستين المتقدم إلى العديد من الأمور المهمة منها:

**أ- أن قادة الاتحاد السوفييتي كانوا متفقين على استراتيجية البدائل من خلال طرح مشاريع متعددة للتوطين وإقامة وطن لهم ، ولم تطرح فلسطين كخيار سياسي.**

**ب-دعم يهود امريكا لمشروع الوطن القومي اليهودي في القرم وبيروبيدجان.**

**ج- إن القيادة السوفييتية هي من طرح خيار فلسطين ، بعد فشل مشاريع التوطين في القرم واوديسا ، فطرحت بيروبيدجان ، ومن ثم دعم الهجرة إلى فلسطين.**

**د- دعم يهود الولايات المتحدة الامريكية للمشروع في بيروبيدجان وشبه جزيرة القرم كوطن قومي لليهود.**

**هـ- أنَّ اليهود أنفسهم غير متفقين على المكان الذي تسعى سلطات الاتحاد السوفييتي على اختياره لإقامة منطقة ذات حكم ذاتي خاصة بهم.**

**و- أنَّ هناك العديد من اليهود يشغلون مناصب مهمة في الحكومة والاقتصاد والحياة الفكرية للبلاد. يمكن معرفة ذلك من خلال اتفاقية جيزيرد في موسكو ( OZET ) ، المؤسسة الاجتماعية اليهودية الوحيدة المصرح لها بالعمل ، لديها من المندوبين ( 150 ) عضواً ، كانوا أكثر أو أقل من ذلك.**

**ز- إن المندوبين المشار إليهم أعلاه كرهوا بشدة اختيار بيروبيدجان البعيدة كمنطقة الحكم الذاتي اليهودي في المستقبل ، وفضلوا إقامة منطقة للحكم الذاتي الخاص بهم في شبه جزيرة القرم الشمالية ، والتي كانت بها نواة كبيرة من المستوطنات الزراعية اليهودية الجديدة في ذلك الوقت،**

**وكان بإمكان الشيوعيين من اليهود التعبير بحرية عن آرائهم في المؤتمرات الحزبية المغلقة.**

**ح- أشار ابستين إلى الصراع الداخلي بين اليهود من المندوبين وغيرهم حول مشروع بيروبيجان، وبأن السلطات لم تهتم للمعارضين ، واتخذت الإجراءات اللازمة لإقامة منطقة الحكم الذاتي في بيروبيجان.**

**ط- إن تلك المحاولات لإقامة منطقة حكم ذاتي لليهود من أسبابها لعل من أبرزها الجانب الاقتصادية لما تتمتع به المنطقة من ثروات طبيعية.**

**ي- وأهم ما يلفت النظر هنا ، وبلا أدنى شك ، أنه لا وجود لمشروع فلسطين أو حتى أمر أرض الميعاد.** وما يؤكد ذلك ما ذكره بينسكر بقوله: **( يجب أن لا تتعلق أنفسنا بالمكان الذي تعرضت فيه حياتنا السياسية للعنف والدمار. يجب ألا تكون مساعينا الحالية "الأرض المقدسة" ، بل أرض خاصة بنا. لا نحتاج سوى قطعة أرض كبيرة لإخواننا المساكين ، ستبقى ملكاً لنا ولا يمكن لأي قوة أجنبية تطردنا منها. هناك سنأخذ معنا أقدس الممتلكات التي أنقذناها من حطام سفينة بلدنا السابق ، فكرة الله والكتاب المقدس. هذه وحدها هي التي جعلت من وطننا القديم الأرض المقدسة ، وليس القدس أو الأردن ).**

**( The goal of our present endeavors must be not the "Holy Land," but a land of our own. We need nothing but a large piece of land for our poor brothers; a piece of land which shall remain our property, from which no foreign master can expel us. Thither we shall take with us the most sacred possessions which we have saved from the**

**shipwreck of our former fatherland, the God-idea and the Bible. It is only these which have made our old fatherland the Holy Land, and not Jerusalem or the Jordan )**[1].

## ❖ موقف حركة البوند والصهيونية من بيروبيدجان:

كانت قيادة حركة البوند تركز على فقراء اليهود ممن كانوا يعيشون في عزلة وفي مناطق استيطان خاصة بهم ، وقد أسهمت ظروف التحديث في روسيا في تحرير الأقنان[2] سنة (1861م) إلى تحول قطاع كبير من هؤلاء اليهود إلى " بروليتاريا ".

---

(1) Leon Pinsker, Auto-Emancipation: An appeal to his people by a Russian Jew, in book, Arthur Hertzberg, The Zionist idea: a historical analysis and reader, ( Jewish Publication Society, Year: 1997 ), p.194.

(2) الاقنان ، هو وضع اجتماعي اقتصادي لطبقة الفلاحين في ظل الإقطاع. كانت حالة من الرق أو العبودية المعدلة ظهرت أولا في أوروبا خلال العصور الوسطى. وكانوا يخضعون للخدمة العسكرية في الأول والضرائب. على الرغم من أنهم يستطيعون امتلاك الأرض ، إلا أنهم غالبًا ما أجبروا بسبب الضغوط الاقتصادية وأسباب أمنية على وضع أنفسهم تحت سيطرة ملاك الأراضي الأكثر ثراءً. بعد الفتح النورماندي ، تضاءلت مكانتهم بسرعة وأصبح مصطلح " churl " يعني الأقنان السيئ التربية. للمزيد عن الاقنان وتجارتها ينظر:

Thomas Edmund Farnsworth Wright; Anne Kerr; Edmund Wright, A Dictionary of World History, ( Oxford Quick Reference, 2018 ), p.387 ; Jurgen Georg Backhaus (ed), The European Heritage in Economics and the Social Sciences, (Springer New York, Heidelberg Dordrecht London, 2012 ) ; Eli Faber, Jews, Slaves, and the Slave Trade: Setting the Record Straight, ( New York University press, 1998 ).

غير أن هذه الحركة لم ينتج عنها أي شيء يذكر[1]، وذلك لوجود توجهين متناقضين في داخلها: التوجه القومي والتوجه الاشتراكي ، ولم ينجح أي من هذين التوجهين بالسيطرة على الآخر ، وكانت البوند في بدايتها حركة ماركسية اشتراكية ، ثم دخلت عليها العناصر القومية خلال تطورها فأحدثت صراعاً في داخلها أدى إلى شلها عن العمل ، وقد دخل لينين: جدل عنيف مع البونديين حيث اعتبر طرحهم بوجود قومية يهودية هو السبب الذي أدى بهم إلى عزلة ذاتية انطوائية النظرة يعيشون في معزل ( جيتو ) على هامش المجتمع الروسي[2]. غير أن المفكر اليهودي ، بير بوروشوف ( Ber Borochov ) ، اعترف لحركة البوند بفضل كبير في نشاطها من أجل البروليتاريا اليهودية ، فقد ساهمت الحركة –على حد تعبيره– في " تنمية وعي العمال اليهود لأنفسهم كطبقة ، وتعليمهم تنظيم النضال من أجل مصلحتهم ، إضافة إلى تنمية روحية النظام فيهم وزرع المفاهيم الديمقراطية لديهم[3].

## ❖ حركة البوند والوطن الثقافي اليهودي:

إلا أن مفهوم الجمهوريات السوفييتية المستقلة كان مفهوماً جديداً ، إذ أنَّ الفكرة الكامنة وراء الفصل بين السكان اليهود وغير اليهود لم تكن كذلك. فنشأت كلتا الحركات السياسية اليهودية الحديثة الرئيسية بين يهود أوروبا الشرقية في سنة (1897م). ومنها البوند الذي تأسس سراً في فيلنا ( فيلنيوس ) رسمياً

---

(1) Wright, A Dictionary of World History, p.211.

(2) أمين عبدالله محمود ، الاتحاد السوفييتي وتأسيس دولة إسرائيل ، ( عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، القاهرة ، ط1 ، 1434هـ/2013م ) ، ص22–23.

(3) Peretz Merhav, The Israeli Left: History, Problems, Documents, ( U.S.A, 1980 ), p.19.

( Algemeyner Idisher Arbeter Bund ) في لايت ، بويلن أون روسلاند ( Poiln un Rusland ) ، أو تحالف العمال اليهود في ليتوانيا وبولندا وروسيا. وهي حركة ماركسية اشتراكية ديمقراطية دعت إلى الاستقلال الثقافي اليهودي على أساس اللغة اليديشية – وليست العبرية –. وكانت هذه الحركة تعارض الدين شأنها شأن المنظمات الاشتراكية، وكذلك الصهيونية الحركة الأخيرة ، التي توطدت بضجة كبيرة في منظمة صهيونية عالمية في مؤتمرها التأسيسي في بازل بسويسرا سنة (1897) ، ورأت أن اليهود أمة لا يمكن أن تحيا بدون دولة خاصة بهم...[1]. واستمر الجدل لسنوات وبعد هلاك هرتزل في المؤتمر السابع سنة (1905) أقرت الحركة الصهيونية ، فلسطين كون قومي لليهود[2]. وبذلك فإن حركة البوند تدعوا إلى الاندماج والتوطين ضمن روسيا القيصرية، باستخدام اللغة اليديشية وليس العبرية.

اعتقد البونديون أن الصهيونية كانت غير واقعية وأنها تتغاضى عن النزاعات الطبقية فيما بين اليهود أنفسهم. بينما كان البونديون والبلاشفة ( Bolsheviks ) والمناشفة ( Mensheviks)[3]. يعدون الصهيونية "رجعية" ، وهم أعضاء في الحركات

---

(1) Zvi Gitelman, The Emergence of Modern Jewish Politics Bundism and Zionism in Eastern Europe, ( University of Pittsburgh press, 2003 ), p.4.

(2) محمد روحي الخالدي ، السيونيزوم أي المسألة الصهيونية ، ( المكتبة الخالدية ، القدس ، 2020)، ص100. بتصرف.

(3) المناشفة ( Mensheviks ) ، المعروفين أيضاً باسم الأقلية ، أحد الفصائل الثلاثة المهيمنة في الحركة الاشتراكية الروسية ، والفصيلان الآخران هما البلاشفة والاشتراكيون الثوريون. وظهرت الفصائل في سنة (1903) بعد نزاع داخل حزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي ( Russian Social Democratic Labour Party ) بين جوليوس مارتوف ( Julius Martov ) وفلاديمير لينين ( Vladimir Lenin ). نشأ الخلاف في المؤتمر الثاني لحزب العمل الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، ظاهرياً حول قضايا بسيطة تتعلق بتنظيم الحزب. وأصبح أنصار مارتوف، الذين كانوا=

الماركسية الرئيسية الأخرى في روسيا نحو (1903-1905م). كما يعتقد أعضاء البوند أنه ينبغي إنشاء وطن ثقافي لليهود الناطقين باللغة اليديشية ، ولكن يجب أن يكون موجوداً حصرياً للحفاظ على الثقافة وانتشارها. كما هو الحال مع معظم الجماعات الماركسية ، وعارضت دمج الدين في فكرة الوجود اليهودي في المنطقة[1].

ومن ناحية أخرى جادل الصهاينة بأنه لا يجب أن يكون لليهود وطن لأنفسهم فحسب ، بل إنه ضروري لبقاء الشعب اليهودي. وهذه الحركة التي يعود تاريخها إلى ثمانينيات القرن التاسع عشر ، دعت الأمة اليهودية على وجه التحديد إلى أن يكون مقره في فلسطين ، موطن الأجداد والتوراة للشعب ، ولكي يكون هذا الوطن ثقافياً بطبيعته ومستقل بشكل واضح. كان أحد المبادئ الصهيونية هو تأسيس الوطن المستقل مع اللغة العبرية كلغة رسمية. والمعركة بين اليديشية والعبرية كان موضع التنافس بين الصهاينة والبونديين في المنطقة المحددة ، حضيرة التوطن ( Pale of

=يمثلون الأقلية في تصويت حاسم على مسألة عضوية الحزب ، يطلق عليهم اسم المناشفة، المشتق من الروسية " الأقلية " ، بينما كان أتباع لينين معروفين بالبلاشفة. للمزيد ينظر:

Andre Liebich, Mensheviks, Then and Now, ( Russian Review, Jan, 1989 ), Vol. 48, No. 1, pp. 67-79 ; Leopold H. Haimson, The Mensheviks after the October Revolution, ( The Russian Review, Oct., 1979 ), Vol. 38, No. 4, pp. 456-473 ; Oleg Pmwkov, The Mensheviks in 1917, ( Oklahoma State University, 1992).

(1) Gitelman, The Emergence of Modern Jewish Politics Bundism and Zionism, p.4.

Settlement ) السابقة في روسيا القيصرية[1]، والتي ألغيت رسمياً في سنة (1917م)[2]، بعد انتصار الثورة البلشفية.

**استنتاجات:**

والملاحظ هنا هو مدى الصراع الذي كان قائماً بين اليهود أنفسهم ليس على إقامة منطقة حكم ذاتي فحسب ، بل تعدى ذلك إلى العديد من الجوانب الأخرى التي تمثلت في حركتي البوند والصهيونية ، ولعل من أهمها:

أ- **إنَّ من يناقش مصير اليهود ليس لهم علاقة باليهودية الحقيقية ذات الأصول السامية وقد سبقت الإشارة إلى جذورهم سواء من كان منهم في جمهوريات الاتحاد السوفييتي أو في أوروبا الغربية ، فلا البونديين ولا الصهاينة لهم صلة حقيقية بالسامية.**

ب- **يشير ما ذُكِرَ أنفاً إلى عدم وجود أيَّ صلة دينية بالبونديين الذين يسعون لإقامة منطقة خاصة باليهود ، وما يؤكد ذلك معارضتهم دمج الدين في فكرة الوجود اليهودي في المنطقة.**

ج- **الاعتقاد السائد بين أعضاء البوند أنه ينبغي إنشاء وطن ثقافي لليهود الناطقين باللغة اليديشية ، ولكن يجب أن يكون موجوداً حصرياً للحفاظ على الثقافة وانتشارها ، أي أن الدعوة كان هدفها تحقيق الاستقلال الثقافي اليهودي على أساس اليديشية.**

---

(1) Gitelman, The Emergence of Modern Jewish Politics Bundism and Zionism p.4.

(2) Marc J. Frankel, Birobidzhan, p.17.

**د- إن فكرة طرح وطن قومي ثقافي وليس سياسياً في أي مكان آخر وهو ما طرحه الصهاينة أنفسهم ، ولم يشيروا إلى الاستقلال السياسي وذلك ما أكده بينسكر الذي سبقت الاشارة إلى قوله في الصفحات السابقة.**

**هـ- ان الكلام الذي يشير إلى أن الصهاينة اتفقوا على وجوب إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، الوطن التاريخي لليهود. غير دقيق فهرتزل كان يعد مشروعاً لإقامة الوطن في الأرجنتين أو أوغندا وليس فلسطين.**

## ❖ صراع استراتيجية البدائل ( لماذا بيروبيدجان وليس فلسطين ):

إن أشد ما تلقته فكرة بيروبيدجان من هجوم ، وأقوى ما قوبلت به من معارضة جاء من جانب الصهاينة الذين عَدّوا المشروع محاولة من السلطات السوفييتية لتثبيط المشاعر الصهيونية بين يهود الاتحاد السوفييتي ، وبالتالي نسفاً لمخططهم في فلسطين. وبادرت الفئات الصهيونية من يهود الاتحاد السوفييتي ، وكذلك الدعايات الصهيونية في الخارج ، الى شن حملة عنيفة على مشروع بيروبيدجان ، وصدرت إحدى الصحف اليدية ( اليديشية ) في " أوديسا " – مثلا – ( 1 نيسان 1928م ) وهي تحمل العنوان الكبير الآتي: " **لماذا بيروبيدجان وليس فلسطين** ". وكانت الحجج التي يسوقها الصهاينة في معارضة المشروع تتلخص في أن الشيوعيين قد افقروا اليهود واوصلوهم إلى الإفلاس ، وأنهم الآن يريدون التخلص منهم بإرسالهم إلى بقعة نائية موحشة وأن بيروبيدجان لا يمكن أن تكون في يوم من الايام نقطة جذب في حركة توطين اليهود لموقعها البعيد ولأسباب سلبية أخرى[1].

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص97.

## مقارنة بين بيروبيدجان وفلسطين

| | بيروبيدجان | فلسطين |
|---|---|---|
| المساحة | ( 37.000 ) ألف كيلو متر مربع | ( 27.500 ) ألف كيلو متر مربع |
| الأمن | بعيد عن خطر اوربا | قريب عن خطر اوربا والداخل والمحيط |
| الموارد الطبيعية | معادن ( فحم ، حديد ، نحاس ، ذهب ،... الخ ) ، زراعة وغيرها | أقل من ذلك بكثير موارد محدودة |
| الهجرة | داخلية وتأييد دون مخاطر | هجرة خارجية وخطرة |
| الدعم | داخلي وخارجي | خارجي فقط |
| المقاومة | لا وجود لمقاومة | مقاومة داخلية وخارجية |
| الأسس | عدم الحاجة لإيجاد جذور للوطن | قائم على الاساطير لإيجاد جذور |
| المستقبل | نجاح المشروع مؤكد وقابل للتنفيذ ومازال مستمراً | عدم اليقين في نجاح المشروع وغير قابل للتنفيذ وسيزول |
| الصفة | مشروع أساسي | مشروع بديل |
| الرؤية | استكمال امتلاك الاتحاد السوفييتي | جزئي واستيطاني |

## ❖ خصائص بيروبيدجان:

وناقشت الباحثة مارينا أبتيكمان ( Marina Aptekman ) الرؤية الصهيونية لإقامة منطقة الحكم الذاتي في بيروبيدجان ، وما تتمتع به من مميزات مقارنة بفلسطين في البحث الموسوم " **رحلة الى الاراضي المقدسة والعودة منها: تناقض الرواية فيما بين شخصين صهيونيين في ادبيات يهود روسيا في ثلاثينيات القرن العشرين** ".

وذكرت: أنّه خلال العشرينات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين ، دعمت حكومة الاتحاد السوفييتي الثقافة اليهودية العلمانية ، وإلى حد كبير روجت لمشاركة اليهود في جميع الجوانب الاجتماعية والحياة السياسية. وعلى النقيض من ذلك فإن مستقبل الاستيطان اليهودي كان غير مؤكد في فلسطين. فهي محاطة بسكان عرب معادين وتعاني من نقص الدعم من الحكومة البريطانية ، وبَدا المشروع الزراعي في فلسطين محكوماً عليه بالفشل بالنسبة للكثيرين من هؤلاء اليهود الذين كانوا يتطلعون لبناء وطنهم. وبسبب المعارضة العربية الشديدة ، قيدت بريطانيا هجرة اليهود إلى فلسطين ومنعتهم من شراء المزيد من الأراضي خارج المستوطنات القائمة. وميّزَ الحكم البريطاني أيضاً بين الفقراء واليهود الأغنياء ، وتم تحديد أعداد المهاجرين من اليهود في كل سنة ، وسمح لليهود بإدخال الأموال الضخمة التي يمتلكونها بحرية وبدون قيود. ومثل هذه الشروط أدت إلى ظهور موقف ساخر تجاه مستقبل ، في المقام الأول

في الأوساط اليهودية الاشتراكية ، والتي بدأت في المشاهدة الصهيونية كتجربة قصيرة العمر[1].

وأضافت مارينا: " في أيار/مايو سنة (1934م) أسست الحكومة السوفييتية اليهودية منطقة الحكم الذاتي في منطقة نائية وقليلة السكان ، منطقة التايغا (Taiga) في الشرق الأقصى الروسي بالقرب من الحدود الصينية. ولم تكن حادثة تأسيس منطقة الحكم الذاتي اليهودية الأولى لتثير مسألة المعارضة بين طرفي الأوطان اليهودية ، الأول الصهيوني الأحمر في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية ، والصهيوني الأبيض في الشرق الأوسط. وقد سبقه قرار إنشاء مستعمرات زراعية يهودية في القرم ، وهو مشروع نشر لأول مرة على نطاق واسع نسبياً على نطاق واسع نسبياً في وسائل الإعلام السوفييتية في العشرينيات ، ومع ذلك فإن إنشاء منطقة الحكم الذاتي اليهودية في بيروبيدجان بطريقة ما أقوى بكثير من مشروع القرم ، أعاد إحياء الحروب الإقليمية والمنافسة الأيديولوجية بين فلسطين والشتات التي نشأت في وقت مبكر من نهاية القرن التاسع عشر وركز على قضايا الأرض واللغة والاستقلال ، والدور الذي لعبوه في إنشاء الهوية اليهودية "[2].

واستمرت مارينا بحديثها فقالت: وفيما يخص مشروع القرم ، فقد أكد منظرو منطقة الحكم الذاتي بأن المنطقة يمكن اعتبارها مستقلة ذات وحدة اجتماعية متكاملة ، بل دولة يهودية حقيقية ، واعتمدت اللغة اليديشية كلغة رسمية للتعليم والإعلام والثقافة

---

(1) Marina Aptekman, To the Holy Land and Back: The Opposition of Two Zions in Russian-Jewish Literature of the 1930s, ( Tufts University, U.S.A, 2021 ), p.6-7.

(2) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.7.

اليديشية ، والإدارة اليهودية. أوجد هذا التركيز معارضة بين المستعمرين في منطقة الحكم الذاتي والاستعمارية "البرجوازية" الناطقة بالعبرية فلسطين[1].

**في سنة (1928م) ، بدأ مشروع منطقة الحكم الذاتي في روسيا ، ونَشَرت الصحف العديد من المقالات التي تركز بشكل مباشر على معارضة المشروع الجديد وفلسطين. وألقت الضوء على ظروف الحياة في صهيون. أدعى مقال منها أن اليهود الفقراء من العالم الرأسمالي ، الذين ينتظرون الآن بشدة للحصول على تأشيرة دخول إلى فلسطين، لا يمكن حتى تخيل المصاعب التي تنتظرهم هناك: البطالة ، ومعدلات الأجور المتدنية وإساءة مستمرة من الفلاحين العرب ، ومضايقات من المسؤولين البريطانيين. المشروع اليهودي في فلسطين محكوم عليه بالفشل[2].**

ويلاحظ هنا مدى سعة الخلاف فيما بين صهاينة جمهوريات الاتحاد السوفييتي والصهاينة العاملين على احتلال فلسطين ، ويمكن تحديد العديد من الاستنتاجات المهمة من النص أعلاه وهي:

أ- **يرى صهاينة الاتحاد السوفييتي بأن دعم حكومة الاتحاد السوفييتي الثقافة اليهودية العلمانية، والترويج لها ، سيمكن اليهود من المشاركة في جميع الجوانب الاجتماعية والحياة السياسية. وعلى النقيض من ذلك فإن مستقبل الاستيطان اليهودي كان في فلسطين غير مؤكد، وحدد صهاينة الاتحاد السوفييتي أهم أسباب فشل إقامة كيان صهيوني في فلسطين ، هو إحاطة العرب لليهود في جميع أنحاء البلاد، ونقص الدعم من الحكومة البريطانية ، وبدا المشروع الزراعي في فلسطين محكوماً عليه بالفشل بالنسبة للكثيرين من هؤلاء اليهود الذين كانوا يتطلعون**

(1) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.7.

(2) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.7.

**لبناء وطنهم. بسبب المعارضة العربية الشديدة ، وكذلك تقييد بريطانيا الهجرة اليهود إلى فلسطين ومنعهم من شراء المزيد من الأراضي خارج المستوطنات القائمة. وهنا يتبين مدى عدم قناعة اليهود في الاتحاد السوفييتي بعدم جدية إقامة كيان لهم في فلسطين.**

**ب-أشارت الباحثة إلى الصعوبات التي سوف تواجه اليهود في حال هجرتهم إلى فلسطين كالبطالة ، ومعدلات الأجور المتدنية ن والإساءة المستمرة من الفلاحين العرب ، والمضايقات من المسؤولين البريطانيين ، فالمشروع اليهودي في فلسطين محكوم عليه بالفشل.**

**ج- ذكرت الباحثة بأنه كان هناك مشروع قبل مشروع منطقة الحكم الذاتي في بيروبيدجان وهو المستعمرات اليهودية الزراعية في القرم ، إلا أن مشروع بيروبيدجان يعد أقوى بكثير بالرغم من أنَّ مشروع القرم أعاد إحياء الحروب الإقليمية والمنافسة الأيديولوجية بين فلسطين والشتات التي نشأت في وقت مبكر من نهاية القرن التاسع عشر ، وركّز على قضايا الأرض واللغة والاستقلال، بالإضافة إلى الدور الذي لعبوه في إنشاء الهوية اليهودية. وفي المقابل ، بالنسبة لمشروع القرم ، وأكد منظروا منطقة الحكم الذاتي حقيقة أن المنطقة يمكن اعتبارها منطقة مستقلة وذات وحدة اجتماعية متكاملة ، بل دولة يهودية حقيقية، مع اعتماد اللغة اليديشيةَ كلغة رسميةَ في التعليم اليديشية ، والإعلام والثقافة اليديشية ، والإدارة يهودية. ويشير الكلام المتقدم بأنها دولة يهودية حتى وإن لم يعلن عنها.**

**د- إن الصراع القائم بين الصهاينة كان حول الجوانب الثقافية والاعلام ولا وجود لحديث ذي صبغة سياسية أو إقامة دولة.**

## ❖ بيروبيدجان وفلسطين:

ومِن أهم ما نُشر في الرد على انتقادات الصهاينة ، الكتيب الذي أصدره إيزاك سودارسكي ( Isaak Sudarsky ) ، وهو صحفي يهودي من أوكرانيا ، في سنة (1930م) ، وكان بعنوان " **بيروبيدجان وفلسطين** ". وقد قارن سودارسكي في الكتيّب بين التجربة السوفييتية في بيروبيدجان ، والمخطط الصهيوني في فلسطين لإنشاء مركز اقليمي أو وطن قومي أو دولة لليهود. وعرض سودارسكي، في دراسته حجج الصهاينة في معارضة المشروع ، ثم رد عليها، وقارن بين حجم الأراضي الصالحة للزراعة في كل من بيروبيدجان وفلسطين ، وظروف المناخ في كل منهما ، والمستقبل الاقتصادي الصناعي للمنطقتين ، وأوضح عدم كفاية أراضي فلسطين لاستيعاب اليهود، مظهراً ومؤكداً أنَّ في الاتحاد السوفييتي وحده يمكنه ايجاد يهود يعملون في الزراعة[1].

ويشرح سودارسكي في المقدمة القصيرة لكتيِّبه ، أنه منذ أن رفض الصهاينة فكرة بيروبيدجان من خلال دعوة اليهود لمساعدتهم في بناء الدولة الفاضلة الزائفة في فلسطين ، نسعى لتحذير اليهود ضد التكتيكات الزائفة لأصدقائهم الصهاينة. وناقش حقيقة القضية في فلسطين بالأرقام ، فعلى سبيل المثال ، أشار إلى أن ( 60.9٪ ) من الأراضي غير مناسبة للزراعة ، بينما نسبة الأراضي الصالحة للزراعة لليهود تمثل ( 3٪ ) فقط. بينما على النقيض من ذلك ، توفر منطقة الحكم الذاتي بيروبيدجان ( 400 ) ألف هكتار مربع من الأراضي الزراعية التي يمكن أن تستضيف على الفور ما يصل إلى ( 50 ) ألف عائلة. بالإضافة إلى أن التربة الفلسطينية تفتقر إلى المعادن ، بينما تحتوي أراضي بيروبيدجان على الفحم والرخام والذهب. لذلك يخلص

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص98.

إلى أنه في حين أنَّ الصهاينة يستخدمون الأيديولوجية لجذب البروليتارية اليهودية إلى الأرض المقدسة ، فإن بيروبيدجان لا يحتاج إلى أي دعم أيديولوجي ، فمناخها وتربتها الغنية وإمكاناتها الزراعية البارزة تتحدث عن نفسها[1].

وأشار سودارسكي ، بأن " مشكلة فلسطين الرئيسية التي تعاني منها بأن لها ثلاثة مُلّاك ، البريطانيون والعرب واليهود. ويمتلك اليهود ( 3٪ ) فقط من مساحة الأراضي الصالحة للزراعة البالغة ( 33٪ ) في فلسطين ، فالخيار الوحيد أمام المستوطن اليهودي للحصول على الأرض هو شرائها من العرب. ومعظم الأراضي في فلسطين في أيدي الملّاك العرب. ومع ذلك ولعدة قرون كان الفلاحون العرب يزرعون تلك الأراضي. وفي حال شراء تلك الأراضي من قبل الصهاينة سيؤدي ذلك إلى حرمان الفلاحين من وسائل إعالة أنفسهم وعائلاتهم ، فيتصرفون مثل المستعمرين. ولا يهتم ملاك الأراضي الأغنياء بمصير الفلاحين الفقراء. وتثير هذه السياسة الجشعة المشاعر المعادية لليهود ، بل وتجعل السكان العرب الأصليين يعدّون المستوطنين اليهود أعداء ومتعدين. وستكون مقاومة الفلاحين لهم دموية. ويطالب الصهاينة الشرطة بالتوقف ومنع تلك الهجمات ، ونتيجة لذلك ، فإن اليهودي في فلسطين سوف يفعل يجب أن يتصرف دائمًا كمضطهد للفقراء ، وسوف يفعل ذلك ومن ثم يبقى خائفاً على حياته وممتلكاته"[2].

وحدد سودارسكي العديد من الإيجابيات في بيروبيدجان ، ويقابلها الاشكاليات التي ستواجه اليهود في فلسطين وهي:

---

(1) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.8.

(2) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.8.

**أ- ذكر مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في كلا المنطقتين ، فمساحة الأراضي الصالحة للزراعة في بيروبيدجان ( 4.000.000 ) ملايين دونم وهي غير مستغلة ، وبالإمكان أن تستوعب خمسين ألف عائلة يهودية ، بينما في فلسطين تقدر مساحة الأراضي الزراعية بنحو (2.618.000) مليون دونماً يملك الفلسطينيين منها (2.540.000) مليون دونماً ، بينما يملك اليهود ( 78.000 ) ألف دونم ، وبالمقارنة بين كلا المنطقتين يتبين بأن المساحة المتاحة لليهود في بيروبيدجان أكثر بإحدى وخمسين مرة من الأراضي المتاحة لليهود في فلسطين[1]. وبذلك يتضح عدم كفاية الأراضي الفلسطينية لاستيعاب اليهود.**

**ب- من بين المقارنات التي أوردها ما يتعلق بما تحتويه تلك الأراضي في بيروبيدجان من المعادن ، إذ تحوي على الفحم والرخام والذهب ، وتتمتع الأخيرة بتربة غنية ومناخ ملائم للزراعة، بينما تفتقر الأراضي الفلسطينية إلى ذلك.**

**ج- بيّنَ حاجة الصهاينة لاستخدام أيديولوجية لجذب البروليتارية اليهودية إلى الأرض المقدسة، وقد ارتكزت الصهيونية في أيديولوجيتها على الجانب الديني وما يترتب عليه من مزاعم لا تحتاج إلى توضيح ، بينما بيروبيدجان لا تحتاج إلى أي دعم أيديولوجي.**

**د- على الرغم من يهوديته ، إلا أنه أشار إلى أمر مهم هو فقدان البيئة الآمنة في فلسطين ، وحق صاحب الأرض بالدفاع عن أرضه ، فقد توقع**

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن الاراضي الزراعية في فلسطين لسنة (1930م) ينظر: عنان العامري ، التطور الزراعي والصناعي في فلسطين 1900-1970 "بحث احصائي"، ( منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، 1974 ) ، ص13-16.

**ذلك وهو ما حدث بالفعل وسيستمر ، ونص قوله: "وتثير هذه السياسة الجشعة المشاعر المعادية لليهود ، وبل وتجعل السكان العرب الأصليين يعدّون المستوطنين اليهود أعداء ومعتدين...الخ"[1].**

**هـ- أخطأ سودارسكي ، بقوله بأن مشكلة فلسطين الرئيسية التي تعاني منها بأن لها ثلاثة مُلاك، ( البريطانيون ، والعرب ، واليهود ). وذلك غير صحيح ، فكل من بريطانيا وصهاينة اليهود طارئون على فلسطين وليسوا إلا قوى محتلة ، بل يوجد مالك واحد الفلسطينيين هم أهل البلاد، ولا يشاطرهم فيها أحد.**

وقال سودارسكي في موضعٍ أخر " إنَّ البرجوازيين الصهيونيين أعربوا عن شكوكهم في قدرة مشروع بيروبيدجان على حل مشكلة اليهود. وجاءت بعدهم "الجمعيات الصهيونية البروليتارية مكررة تلك الشكوك ، واعتبرت من واجبها الاشتراكي المقدس" تحذير الشغيلة اليهود من خيالات كومزيت ( Komzet ) واوزيت (Ozette)، المشتطة. ولو جاء أولئك الشغيلة بشكوك جدية في ملاءمة منطقة بيروبيدجان لهجرة جماهير اليهود ، وحتى لو أنهم حذرونا من افراطنا في الخيال ، فان واجبنا هو أن نستمع اليهم بصبر ، وبعد ذلك نرد عليهم بتفصيل. ولكن حين تقوم البرجوازية اليهودية ضد بيروبيدجان ، وهي في الوقت نفسه تدعو جماهير اليهود لبناء ( الوطن اليهودي ) بالأموال والناس في فلسطين تحت راية الاستعمار البريطاني ، يكون من واجبنا في هذه الحالة أن نحذر الشغيلة ( العمال ) اليهود من محاولات ( الأصدقاء ) الصهيونيين ، وأن نشرح للجماهير اليهودية الأسباب الحقيقية لصراع الصهيونيين ضد بيروبيدجان. فالآن ، وبعد خمسين عاماً من التدريب العملي لاستيطان اليهود في فلسطين ، أصبح من الواضح لكل انسان أَن فلسطين بالذات ،

(1) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.8.

وهي التي يعدونها لمواجهة بيروبيدجان ، لا تتمكن بأي حال من الأحوال أن تكونَ نقطة جذب لاستيطان الجماهير اليهودية ، وأنَّ فلسطين ليست عاجزة عن حل المشكلة اليهودية فحسب ، وإنما هي غير قادرة حتى على توفير قطعة من الخبز لعشرات الألوف من الناس ممن تمكنوا بطرق الاحتيال والدعاية الصهيونية الكاذبة من السكنى في الأرض ( المقدسة )[1].

وأضاف قائلاً: " اننا سنبرهن على صحة هذا كله ببحوث واضحة عن شروط الاستيطان والحالة الاقتصادية في كل من بيروبيدجان وفلسطين وبمقارنة ظروف المنطقتين ، سيظهر أين توجد المجالات المثمرة لتحسين الحالة الاقتصادية لليهود الفقراء ، إنَّ الاراضي الكثيرة التي تمنحها الحكومة السوفييتية لليهود الفقراء في اوكرانيا وبيلاروسيا والقرم ، والتوطين الناجح لألوف العوائل اليهودية التي تعمل في الزراعة بصورة ناجحة ، لا تريح الصهيونيين ، لان هذه الألوف من العوائل المستوطنة تظهر للعالم أنَّ الحكومة السوفييتية تعنى باليهود ومصالحهم ، وانها تريد حل ما يسمى " المشكلة اليهودية " حقيقة ، كما انها تبرهن على ضآلة الاستيطان الصهيوني[2].

واختتم سودارسكي كلامه بقول مهم للغاية نصه: **( إن فلسطين اليهودية ليس لها مستقبل، لأنها تقوم على أمة تضطهد الأخرى. وعلى النقيض من فلسطين ، تأسست بيروبيدجان على الصداقة بين جميع الجنسيات على عكس الطبيعة الغازية للصهيونية ، إذ أقدمت الدولة السوفييتية على بناء بيروبيدجان كمشروع سوفييتي بالكامل ، حيث تم استدعاء اليهود وغير اليهود معاً وحشدت لتطوير تلك المنطقة الغنية بأسرع ما يمكن )**[3].

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص99.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص99-100.

(3) Aptekman, To the Holy Land and Back, p.8-9.

**الاستنتاجات:**

**أ- لم يكن للجانب العقدي ( الديني ) للصهيونية أيّ إشارة من قبل سودارسكي ، ولو كان للجانب العقدي أيّ علاقة بأمر فلسطين كأرض موعودة لما غفل عنها أو أهملها ، بل ان الحديث عن تقديم تسهيلات وأراض فقط ، أي الجانب الاقتصادي حصراً ، ولا وجود للجانب السياسي المتعلق بإقامة " دولة ".**

**ب- وكما هو معلوم المؤرخ اليهودي لا ينظر إلى الصهيونية كظاهرة مستقلة عن بقية ظواهر التاريخ اليهودي ، وهو دائم البحث من أجل ربط الصهيونية بالتاريخ والتراث اليهودي ، فهو يحاول تفسير الصهيونية في اطار فهمه العام الماضي اليهودي ، وهو في هذا يدخل في حوار مع الصهيونية التي جعلت من أهدافها اعادة تفسير التاريخ اليهودي ، ليناسب فكرة الصهيونية ، بل وتجعل من التاريخ اليهودي كله مقدمة للصهيونية ، وتمهيداً لظهورها من ناحية ، وتعلل من ناحية أخرى ضرورة الحركة ، وتجد لها مكانا مناسبا في الفكر اليهودي. وعلى هذا الاساس نجد أن معظم النظريات الصهيونية قد صيغت في اطار التفسير العام لمعنى ومضمون التاريخ اليهودي[1].**

(1) محمد خليفة حسن ، الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي ، ( دار المعارف، القاهرة ، ط1 ، 1981م ) ، ص14.

# الفصل الرابع :

## الجانب التنفيذي لمشروع بيروبيدجان

**المبحث الأول: مرحلة التأسيس ( 1928- - )**

**المبحث الثاني: البعد الدولي وهجرة يهود العالم إلى بيروبيدجان**

يبدو بأنَّ الحكومة السوفييتية كانت جادة فعلياً بإقامة منطقة حكم ذاتي أو جمهورية لليهود في بيروبيدجان ، فقد كانت هناك خطوات مهمة قام بها المسؤولون الذين سبق الحديث عنهم وستبين الصفحات التالية ذلك.

## المبحث الأول: مرحلة التأسيس لمشروع بيروبيدجان ( 1928- .... )

نصت المادة ( 22 ) من الدستور السوفييتي على ما يأتي: " الجمهوريات الاشتراكية الفيدرالية السوفييتية الروسية المؤلفة من بحر آزوف – الأسود ، والشرق الأقصى ، وغرب سيبيريا، وكراسنويارسك وأقاليم شمال القوقاز , فورونيج ، شرق سيبيريا ، غوركي ، الغربية ، إيفانوفو ، كالينين ، كيروف ، مناطق كويبيشيف ، كورسك ، لينينغراد ، موسكو ، أونسك ، أورينبورغ ، ساراتوف ، سفيردلوفسك ، شمال ستالينجراد... الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المتمتعة بالحكم الذاتي ، ومناطق الحكم الذاتي الأديغيا واليهودية وكارا تشاي وأويروت وخاكاس وشركيس المستقلة "[1].

وبحلول منتصف العشرينيات من القرن الماضي ، كانت هناك محاولة من قبل البعض في القيادة السوفييتية ، مثل الرئيس ميخائيل كالينين (Mikhail Kalinin) (1919–1946) ، لتحويل اليهود إلى جنسية كاملة ، فقد شجع كالينين اليهود على التخلي عن حياتهم في البلدات والمدن وأن يصبحوا مزارعين ، وبحلول منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي ، كان هناك ( 500 ) مزرعة يهودية جماعية في

(1) Constitution ( Fundamental Law ) of the Union on Soviet Socialist Republics, Adopted at the Extraordinary Eighth Congress of Soviets, (U.S.S.R, 5. December, 1936 ), p.5.

الاتحاد السوفييتي، فيها نحو ( 225 ) ألف يهودي يعملون في الزراعة في بيلاروسيا وشبه جزيرة القرم وأوكرانيا[1].

لم يكن من الممكن ، بطبيعة الحال ، انشاء المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي بجرة قلم، ولا بقرار آني تصدره الحكومة السوفييتية ، كما حدث في حالة المقاطعات الأخرى ذات الحكم الذاتي فالمقاطعات الأخرى كان سكانها موجودين في مناطقهم ، وكان اعتبار تلك المناطق مقاطعات ذات حكم ذاتي تقريرا لواقع موجود ، وانتماء سكانها إلى مجموعة قومية واحدة تؤلف أغلبية في المنطقة. أما في حالة المقاطعة اليهودية ، فكان على اللجنة المركزية أن تسير في انشائها على مراحل. وكان لا بد من تشجيع اليهود على التوطن في بيروبيدجان ، لتكون فيها أكثرية من السكان اليهود ، قبل أن يصبح من الممكن تشكيل وحدة اقليمية قومية خاصة بهم في المنطقة[2].

## ❖ التخطيط الرسمي للمشروع:

وفي ( آب/ أغسطس 1924م ) تم تشكيل لجنة ترتيب أراضي اليهود العاملين أو كومزيت، لدراسة الجدوى العملية لإنشاء منطقة يهودية. كانت مهمتها الرئيسية هي وضع خطة لموقع يهودي مستقل ، ولكن مع تحذير واحد خاص: كان لا بد من القيام بذلك في مدرسة الفكر اللينينية التي طالبت بأن يتمحور هذا المجتمع الجديد على فكرة الزراعة والارتباط بالتربة. ووقع تمويل هذا المشروع واكتساب دعم يهودي شعبي لهذا المشروع الزراعي على عاتق منظمة مماثلة غير حزبية تسمى اللجنة العامة لترتيب أراضي للعمال اليهود. إذ كان يُنظر إلى أوزيت على أنها منظمة عامة مصممة

---

(1) Annelise Orleck, The Soviet Jewish Americans, ( London, Greenwood Press, 1999 ), p.22.

(2) صفوة ، بيروبيدجان التجربة السوفيتية ، ص121.

للإعلان عن استيطان اليهود السوفييت وتشجيعهم في المنطقة الجديدة ، لكنَّ استقلالها كان خدعة إلى حد كبير ، إذ لعب أعضاء كومزيت دوراً رئيسياً في أعمال اوزيت[1]. وبذلك يتبين سعي اليهود لإيجاد مكان مستقل لهم ضمن الرقعة الجغرافية للاتحاد السوفييتي بل أنّ الغالبية العظمى من اليهود كان جُلُّ همهم الاهتمام بالجانب الاقتصادي.

## ❖ موارد وبُعد جيو استراتيجي:

يكتنف الغموض قرار سنة (1928م) بتعيين منطقة بيروبيدجان كأرض رسمية لإعادة توطين اليهود في المنطقة ، التي تقارب حجمها مساحة بلجيكا ، والتي تم ضمها من قبل روسيا في سنة (1858م) واستمدت اسمها من رافدين لنهر أمور ( Amur ) ، وهما بيرا وبيدجان ، اللذان كانا يتدفقان عبر الإقليم. وتتميز بمناخ في الصيف حار وممطر ، والشتاء جاف وبارد. غنية بالموارد الطبيعية ، لا سيما في الشمال ، إذ تتخلل الجبال والغابات الكثيفة المناظر الطبيعية، كانت منطقة بيروبيدجان وتحتوي على مساحات شاسعة من المستنقعات ، إلى جانب عدة مئات من السكان السيبيريين الأصليين الذين عاشوا على الصيد وجمع ما كان متوفر في الغابات من الموارد الطبيعية ، كان هناك عشية الاستيطان اليهودي ( 27.000 ) ألفاً أو نحو ذلك من السكان المقيمين ، هم في الأساس من الروس والقوزاق والكوريين والأوكرانيين الذين ذهبوا إلى المنطقة في وقت متأخر من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وتمركزوا في الجنوب منها على طول نهر أمور وفي الشمال ، حول السكك الحديدية العابرة لسيبيريا. وكان جذب اليهود إلى الشرق الأقصى السوفييتي جزءاً لا يتجزأ من

(1) William R. Siegel, Nation Making in Russia's Jewish Autonomous Oblast : Initial Goals and Surprising Results, ( Demokratizatsiya Journal of Post-Soviet Democratization, 1997 ), vol.5, no.3, p.423.

خطة لإغراء يهود الاتحاد السوفييتي إلى الأرض في وقت مبكر منذ بداية سنة (1924م). على الرغم من أن مجموعة من النشطاء اليهود البارزين في كومزيت والأقسام اليهودية في الحزب الشيوعي عارضوا بشدة تجربة بيروبيدجان، لأنهم اعتقدوا أنَّ المنطقة بعيدة جداً عن تطلعات اليهود لتكون قابلة للحياة والسكن فيها ، وتم تجاوزهم من قبل ستالين وأنصار المشروع الآخرين. كانت الحكومة تعتزم إيقاف حركة اليهود إلى الأرض في أوكرانيا وبيلاروسيا وشبه جزيرة القرم لإرضاء السكان الأصليين، الذين كانوا يقاومون خطط توطين المزيد من اليهود في هذه المناطق. بالإضافة إلى ذلك ، كان المسؤولون في مفوضيات الدفاع والزراعة يتطلعون أيضاً إلى إقامة وجود قوي في الشرق الأقصى السوفييتي. إذ تمتلك المنطقة موارد اقتصادية غير مستغلة ولها أهمية جيوستراتيجية بالنظر إلى المخاوف من التوسع الصيني والياباني المحتمل في عشرينيات القرن الماضي[1].

وللحديث أعلاه دلالات متعددة لعل من أبرزها:

أ- **التقت مصالح كل من قيادة الاتحاد السوفييتي واليهود ، فالطرف الأول يحتاج إلى جسم غريب يزرع في منطقة بيروبيدجان يقع على عاتقه إيقاف أي محاولة للتوسع الياباني والصيني في المنطقة ، وبالطبع كان ذلك الجسم اليهود ، أما الطرف الثاني فسيحقق له قيام كيان سياسي يتمتع بحكم ذاتي... في بيروبيدجان التي كانت الاجراءات التي اتخذها الاتحاد السوفييتي هي بداية تشكيل مقاطعة ذات حكم ذاتي ، لا يتعدى**

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.21.

**عدد سكانها سبعاً وعشرين ألف نسمة بينما كان سكان دولة فلسطين أكثر من ثمان وعشرين ضعف ذلك العدد[1].**

**ب-تحقق المصالح الاقتصادية ، فقد اشترك الطرفان في تحقيق تلك المصالح ، إذ تمتلك المنطقة موارد اقتصادية غير مستغلة ، وعملية تنظيمها واستغلالها يحقق نمواً اقتصادياً لكلا الطرفين.**

**ج- كان هناك معارضة شديدة حول إقامة تجربة بيروبيدجان من قبل بعض اليهود ، تمثلت في مجموعة من النشطاء اليهود البارزين في كومزيت والأقسام اليهودية في الحزب الشيوعي، لأنهم اعتقدوا أنَّ المنطقة بعيدة جداً عن تطلعات اليهود لتكون قابلة للحياة والسكن فيها ، وتم تجاوزهم من قبل ستالين وأنصار المشروع الآخرين. لكننا نرى أنَّ هناك سبباً آخر، هو خشية اليهود من فقدان مكانتهم ونفوذهم السياسي والاقتصادي في مختلف مدن جمهوريات الاتحاد السوفييتي.**

---

(1) أثبت تعداد السكان في فلسطين في عهد الانتداب سنة ( 1922م ) ، ثم أتبع بتعداد ثان سنة ( 1931م ) , وقد حالت ظروف بعدئذ دون إجراء تعداد ثالث حتى سنة ( 1948م ) ، حيث وضعت تقديرات لعدد السكان حتى تلك السنة. بلغ عدد سكان فلسطين سنة ( 1922م ) نحو (757.182) نسمة يمثل اليهود منهم ( 83.794 ) علماً بأن عددهم زاد بصورة غير عادية إذا ما قورن بتعداد سنة (1920م) إذ كان (66.574) نسمة. بينما في سنة (1931م) كان عدد سكان فلسطين (1.035.821 ) نسمة مثل اليهود منهم ( 174.610 ) نسمة بزيادة غير عادية إذا ما قورن بالتعداد الذي سبقه وسبب ذلك الهجرة اليهودية إلى فلسطين. للمزيد عن تأثير الهجرة اليهودية في فلسطين والتغيير الديمغرافي للسكان. ينظر: وليم فهمي ، الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ( مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 ) ، ص142-149 ؛

J.B. Barron, Palestine Report and General Abstracts of the Census of 1922, (taken on the 23rd of October, 1922), p.8 ; E. Mills, Census of Palestine 1931. Population of Villages towns and Administrative Areas, (Jerusalem, 1932 ), P.4.

**د- كان قرار تحديد مكان إعادة التوطين اليهودي بالقرب من تقاطع نهري بيرا وبيدجان على طول الحدود الصينية قائماً بشكل أساسي على المصالح العسكرية والاقتصادية الاستراتيجية العامة للمركز بالإضافة للمصالح الاستراتيجية العليا اليهود عالمياً. فقد كان ستالين حريصاً على تسريع الاستيطان في إقليم الشرق الأقصى ، هذا من أجل توفير درع بشري ضد الهجمات المحتملة من اليابان أو الصين[1].**

**هـ- كان الدافع الخفي الذي لم يكن سِرّاً لستالين ، في تحركه لتوطيد سلطته وعزل مؤيدي منافسه الرئيسي ليون تروتسكي ، هو إعادة توطين القيادة الشيوعية اليهودية في أبعد مكان ممكن عن موسكو ولينينغراد[2].**

**و- تعكس الفكرة التخطيط والدعم الاستراتيجي من السلطة الرسمية السوفييتية للقوى اليهودية المتنفذة في السلطات الشيوعية.**

**ز- الابعاد الاستراتيجية تعكس الاهداف والغايات البعيدة للقوى الرسمية الشيوعية واليهودية على صناعة قومية وشعب يهودي.**

**ح- التخطيط الاستراتيجي اليهودي عالمياً ، وخطة كوفو اليابانية لتوطين اليهودفي منطقة منشوريا الصينية ، واحتمالية صناعة قاعدة مجاورة لها على الطرف الآخر من الاتحاد السوفييتي.**

### ❖ القرار الرسمي الشيوعي:

وفي تاريخ (28 آذار/ مارس 1928م) تم تسليم قرار هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية رقم ( 23 ) لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية لدعم الاستعمار اليهودي لبيروبيدجان من أفل إنوكيدزه ( Avel S. Enukidze ) ، عضو

---

(1) Siegel, Nation Making in Russia's Jewish Autonomous Oblast,p.423.

(2) Orleck, The Soviet Jewish Americans, p.22.

اللجنة المركزية السوفييتية ، والذي ينص على ما يأتي: " تقرر: تخصيص أرض حرة في منطقة أمور في إقليم الشرق الأقصى ، التي تضم منطقة بيروبيدجان ، إلى كومزيت لتلبية احتياجات الاستيطان المترابط عن طريق إعانة اليهود. وبعد النتائج الإيجابية في التسوية المدمجة للمنطقة المحددة في المادة الأولى ، يجب أن تؤخذ في الاعتبار إمكانية تشكيل وحدة إقليمية وطنية يهودية على أراضي المنطقة المذكورة "[1]. ولم يعلن عن تشكيل " المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي " بصورة رسمية إلا في سنة (1934م)[2].

وبهذا القرار تم إنشاء منطقة بيروبيدجان لليهود ومنحها حكماً ذاتياً ، وأصبح لها علم وشعار خاص بها.

---

(1) Paul Mendes-Flohr and Jehuda Reinharz (ed), The Jew in the modern world A Documentary History, ( oxford, nd.2, 1995 ), p.446-447.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص122.

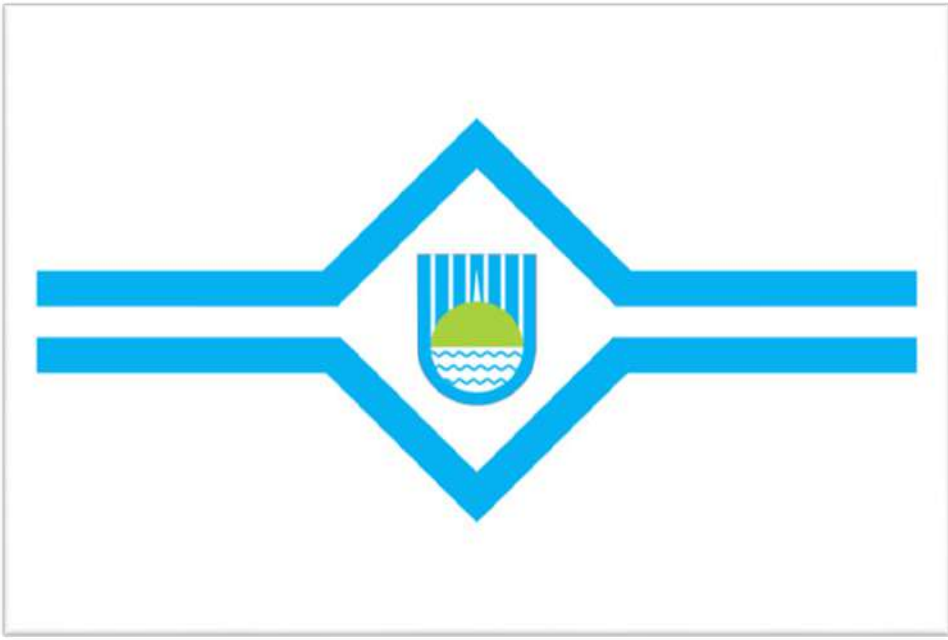

**علم بيروبيدجان – منطقة الحكم الذاتي اليهودية[1].**

(1) بيروبيـدجان ، موقـع ويكيبيـديا ، Flag of Birobidzhan – بيروبيجـان – ويكيبيـديا (wikipedia.org).

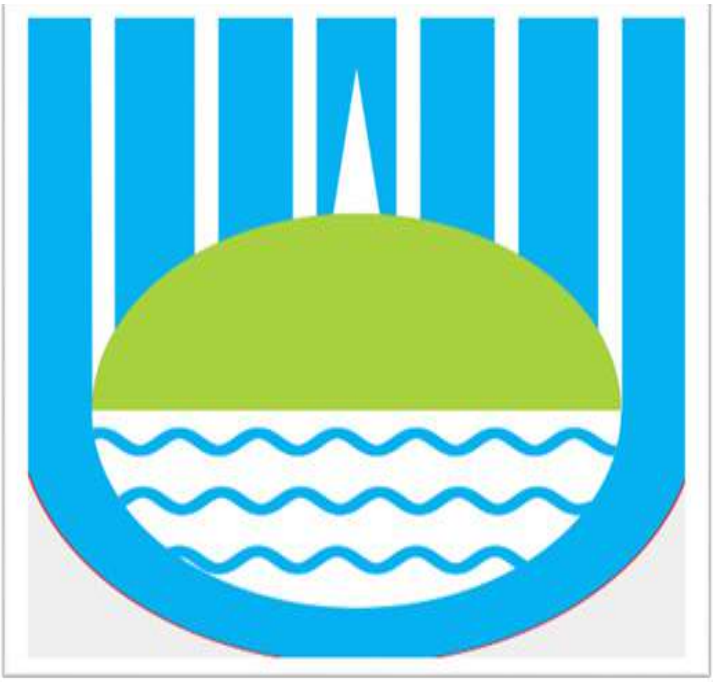

**شعار بيروبيدجان – منطقة الحكم الذاتي اليهودية**[1].

## ❖ الخطة الاستراتيجية لمشروع بيروبيدجان:

أيدت رئاسة اللجنة التنفيذية للاتحاد ضم الأراضي التي استقر فيها اليهود إلى بيروبيدجان ونص القرار ، على أن استعمار المقاطعة ، وإمكانية النجاح في تطويرها، سيحولها إلى مقاطعة قومية يهودية عندما يزداد عدد سكانها إلى الحد الذي يكفي لإقامتها . وقد أوضح كالينين ذلك عندما قال: "**هؤلاء اليهود الذين يعتزون بثقافتهم القومية اليهودية ، ويرغبون في تطوير دولتهم الاتحادية كقاعدة لهذه الثقافة اليهودية سوف ينهضون ، ويجب أن يُساعدوا في إقامة بيروبيدجان**". وستكون

(1) بيروبيدجان ، موقع ويكيبيديا ، Flag of Birobidzhan – بيروبيجان – ويكيبيديا (wikipedia.org).

الخصائص الثقافية التي سيطورها اليهود في وحدة دولتهم مختلفة تماماً ، على أن لا تكون أقل يهوديةً عن تلك التي يتمتع بها اليهود في المجتمع الرأسمالي. وستختلف جنسية يهود بيروبيدجان في خصائصها عن يهود بولندا وليتوانيا... وغيرها. وسيصبح اليهود مستعمرين اشتراكيين على أرض حرة غنية ، مستعمرين بقبضات قوية وأسنان حادة ، سيصبحون أقوياء. وسيكون اليهود مجموعة قومية داخل أسرة الأمم السوفييتية وهذه بالطبع مسألة وقت[1].

ولتنمية هذه الأرض البكر ، ستكون هناك حاجة إلى عدد كبير من المزارعين. أشار كالينين إلى ذلك بقوله: إنه لإنجاز هذه المهمة الكبيرة. لذا يجب أن يتحول قسم مهم من الشعب اليهودي إلى مجتمع زراعي يهودي مترابط ومتجذر. فهؤلاء العمال اليهود في الاتحاد السوفييتي الذين لديهم تطلعات قومية يرغبون في تحقيقها على أسس اشتراكية ، كانوا مستعدين لمواجهة كل المشاق ليروا أن اليهود السوفييت قد طوروا أراضيهم وأنشأوا أمة اشتراكية. لم يكن سكان الأراضي اليهودية معرضين للعزل عن بقية الشعوب في الاتحاد الاشتراكي السوفييتي ، وأصبح التعاون الوثيق بين جميع الشعوب ممكناً وهو ضروري لمزيد من بناء الاشتراكية. وبذلك يتمكن المستوطنون اليهود من ضمان أقصى قدر من المساعدة في تطوير أراضيهم وربطها بالمناطق الأكثر تقدماً في الاتحاد السوفييتي. سوف يلعبون دوراً مهماً في البناء الاشتراكي ، ويسهمون في تطوير سكان بيروبيدجان المتخلفين. وهكذا بدأت في سنة (1928م) مرحلة جديدة في إعادة بناء حياة يهود الاتحاد السوفييتي ، وهي بناء وحدة " الدولة اليهودية "[2].

---

(1) I. Rennap, Anti-Semitism and the Jewish Question, ( London, 1943 ), p.47-48.

(2) Rennap, Anti-Semitism and the Jewish Question, p.48.

لن يستغرق اليهود أي وقت على الإطلاق ليصبحوا أكبر مجموعة قومية منفردة، وبقليل من الجهد الاستعماري سيشكلون أغلبية الشعب. كأرض عذراء، تطلبت بيروبيدجان الاستصلاح والصرف والطرق ، ولكن هذا هو الحال مع أي أرض غير مستقرة. وكان الاختلاف هنا هو أن حكومة دولة قوية ستقوم بكل التحسينات اللازمة مع خبرائها وعلى نفقتها الخاصة. وبالمثل فإن جميع الاستثمارات الأخرى ، من التنقيب إلى معدات المزارع الجماعية ، والتعاونية الفنية ، والصناعة ستأتي من الدولة. بالإضافة إلى ذلك ستدعم الدولة المستوطن الجديد بالنقل المجاني، وهبة الأرض والأخشاب للمنزل والحديقة ، وقرض الضروريات والأدوات المنزلية. باختصار فإن جميع التكاليف التي ستنقل في ظل الظروف الرأسمالية على عاتق المستوطنين أنفسهم كانت ستتحملها الحكومة السوفييتية. وكان من المتوقع أن يوفر اليهود فقط الموارد البشرية ، والمستوطنين والرواد للذهاب إلى بيروبيدجان وإنشاء وطنهم الخاص ، وإزالة الغابات، والانخراط في الزراعة والحرف الأساسية ، وإنشاء المؤسسات الاجتماعية. أمّا بعض أصعب الوظائف ، مثل بناء الطرق ومشاريع الري والتعدين ، والتي يمكن أن يقوم بها السكان الأصليون الأكثر ثباتاً[1].

## ❖ خطوات الاستيطان العملي:

وفي ( آذار/ مارس 1928م ) كان بدء إعادة توطين اليهود في بيروبيجان. وبحلول نهاية ذلك الربيع ، أعيد توطين ( 654 ) يهودياً ، معظمهم من أوكرانيا في بيروبيدجان. في السنوات القليلة التالية ، استمرت مستويات الهجرة اليهودية في الارتفاع ، بحيث أصبح اليهود بحلول سنة ( 1930م ) يشكلون ( 8% ) (1.500 / 37.000 ) من سكان بيروبيدجان. وعندما عاش اليهود أوضاعاً صعبة في أوكرانيا

(1) B.Z. Goldberg, The Jewish Problem in the Soviet Union, An Analysis and a Solution, ( New York, 1961 ), p.172.

سنة (1932م) ، وصلت الهجرة اليهودية إلى بيروبيدجان ذروتها ، حيث قام ( 14.000 ) ألف مستوطن بالرحلة الطويلة إلى الشرق الأقصى. ولكن مع ارتفاع مستويات الاستيطان، ارتفعت كذلك أعداد المهاجرين الذين تخلوا عن الأراضي اليهودية، بعد أن قرروا على ما يبدو أن بؤس التجمع في المناطق السابقة كان أفضل من هذا الحكم الذاتي اليهودي الناشئ. وما يؤكد ذلك من بين ( 654 ) يهودياً وصلوا بحلول ربيع سنة (1928م) ، غادر ( 325 ) أي ( 49.7% ) بحلول أكتوبر بسبب الظروف القاسية التي واجهت المستوطنين الأوائل في المنطقة. بينما تختلف التقديرات حول عدد المستوطنين اليهود الذين غادروا سنة (1932م) وقد خمن أحد أعضاء أوزت بأن نسبة المغادرين بلغت (80 %) بينما قال السكرتير الأول للحزب في بيروبيدجان بأن نسبتهم ( 66 % )[1].

**عدد اليهود في بيروبيدجان خلال الفترة ( 1928-1933 )**

| 1928 | 1929 | 1930 | 1931 | 1932 | 1933 |
|---|---|---|---|---|---|
| 654 | 555 | 860 | 3.231 | 14.000 | 3.005 |

❖ **الرؤية الاستراتيجية لبيروبيدجان:**

ويشير عدد الذين استوطنوا في بيروبيدجان سنة (1932م) إلى أنَّ الحملة الدعائية السوفييتية لبيروبيدجان قد حققت بعض النجاح الأولي في جذب المستوطنين اليهود إلى المنطقة. ومن ناحية أخرى فقد كانت الوعود بالاستقلال السياسي المحدود ، والفرص الاقتصادية وسيلة فعالة لإقناع اليهود المضطهدين من قبل السكان في البلاد بالبحث عن هذه الأرض السوفييتية الموعودة. وكذلك منع السوفييت من إطلاق أي نداءات قومية أو دينية على وجه التحديد قد يكون سبباً لجذب أعدادٍ أكبر من اليهود

(1) Kochan, The Jews in Soviet Russia, p.73.

إلى المنطقة وكانت وسيلة أكثر فعالية لإلهام المهاجرين الأوائل لتحمل الصعوبات الجسدية والعاطفية من إعادة التوطين. وفي الدعاية الموجهة لتشجيع إعادة توطين اليهود في بيروبيدجان ، وتم تقييد السوفييت باستخدام الحوافز الاقتصادية والسياسية بسبب قيود أيديولوجيتهم الخاصة. والنص التالي في تريبيونا ( Tribuna ) الصحيفة الرسمية لأوزيت من اعداد سنة ( 1932م ) ، يوضح الحملة الدعائية لحث اليهود على الهجرة إلى بيروبيدجان:

"**جماهير الكادحين اليهود ، الذين يتخللهم الولاء والتفاني للنظام السوفييتي ، يذهبون إلى بيروبيدجان... إنهم لا يقاتلون من أجل بلدهم فقط ، وليس من أجل وطن جديد ، لأن الاتحاد السوفييتي بالفعل لهم ، ولكن من أجل تعزيز الاتحاد السوفييتي في الشرق الأقصى**"[1].

يوضح هذا الاقتباس أنه على الرغم من أن قادة الحزب ربما كانوا حريصين على إنشاء أول منطقة يهودية محددة في العالم ، وحاولوا القيام بذلك دون الاعتماد على الصور والخطابات الصهيونية التي كانت مكوناً رئيسياً للجهود غير السوفييتية المقبولة لتأسيس وطن يهودي[2].

ومن الجدير بالذكر أن المناخ كان قاسياً بشكل استثنائي في بيروبيدجان ، والقليل من الروس كانوا مهتمين بالاستقرار فيها. وهنا كان تصور الحكومة لتشجيع فكرة الهجرة الجماعية لليهود إلى بيروبيدجان من خلال منحهم الحكم الذاتي المجتمعي الكامل والوعد بمنح الجنسية في نهاية المطاف. ففي ( أيار/مايو 1934م ) أعلن الرئيس السوفييتي أن بيروبيدجان منطقة " يهودية " مستقلة ، ووعد بأنه إذا وصل عدد

(1) Kochan, The Jews in Soviet Russia, p.71.

(2) Siegel, Nation Making in Russia's Jewish Autonomous Oblast, p.424.

اليهود في بيروبيدجان إلى مائة ألف ، فإنها ستتحول إلى جمهورية سوفييتية يهودية ، على قدمِ المساواة مع جمهوريات الاتحاد السوفييتي القومية الأخرى[1].

### ❖ البديل الاستراتيجي لفلسطين:

وأشار غولدبرغ ( Goldberg ) ، بأن بيروبيدجان لم تكن أكثر ولا أقل من جمهورية يهودية اشتراكية بالطبع ، ولكن مع مكانة وطنية مساوية للجمهوريات الأخرى في الاتحاد السوفييتي والسجلات الرسمية صريحة في هذا الشأن. وقد شرح الرئيس كالينين المشروع لممثلي عمال موسكو والصحافة اليديشية في (5 آيار/ مايو 1934م) ، وعلى النحو الآتي: "**مبادئ السياسة الوطنية السوفييتية هي أن كل جنسية تُمنح منظمة سياسية مستقلة على أراضيها. وحتى ذلك الحين ، كان اليهود يفتقرون إلى مثل هذا التنظيم السياسي ، مما جعلهم في وضع خاص مقارنة بالشعوب الأخرى ، يتلقى اليهود الآن ما تمتلكه القوميات الأخرى ، أي إمكانية تطوير ثقافتهم الخاصة ، على المستوى القومي ، والاشتراكية في المضمون**". وعند تعيين يوسف ليبربرغ ( Yosif Liberberg ) وماتفي خافكين ( Matvei Khavkin ) كمسؤولين كبار في منطقة الحكم الذاتي اليهودية المعينة حديثاً ، أخبرهم الرئيس كالينين أنهم كانوا سيكملون مهمتهم بشكل جيد إذا قاموا بعد فترة زمنية معقولة ، بجعل مشروع إقليم بيروبيدجان يهودياً مثل أوكرانيا. وجاء في قرار تبنته اللجنة التنفيذية المركزية في (29 آب/ أغسطس 1936م) أنَّ إقليم بيروبيدجان قد برر تماماً مكانة منطقة الحكم الذاتي اليهودية التي مُنحت لها. ولأول مرة في تاريخ الشعب اليهودي تتحقق رغبتها الشديدة في إنشاء وطنها وتحقيق دولتها الوطنية الخاصة بها. **أصبحت منطقة الحكم الذاتي اليهودي بسرعة مركزاً للثقافة الوطنية لجميع الكادحين اليهود. يقابلها تزايد معاداة السامية في أوروبا والقيود المتزايدة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وقد حظي**

---

(1) Howard M. Sachar, A History of the Jews in the modern World, ( New York, Kopf Doubleday Publishing group, 2006 ), p.549.

**مشروع بيروبيدجان بالتقدير العام ، وفي كثير من الأحيان استحسان اليهود في كل مكان. بل حتى رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ، حاييم وايزمان Chaim ( Weizmann ) ، ورحب بالمشروع باعتباره منعطفًا بنّاءً في حياة يهود الاتحاد السوفييتي ، معتبراً إياه " محطة " على الطريق إلى الوطن اليهودي في فلسطين. وبالنسبة لبعض اليهود ، كان مشروع بيروبيدجان هو الصهيونية السوفييتية** ، وربما كان المقصود منه المنافسة مع الصهيونية ، ولكن لخدمة بقاء اليهود القومي[1].

**الاستنتاجات:**

وهنا لابد من القول بأن ما أشار إليه غولدبرغ غاية في الأهمية وله العديد من الدلالات لعل أبرزها:

**أ- إنَّ بيروبيدجان تعد جمهورية يهودية اشتراكية، ولكن مع مكانة وطنية مساوية للجمهوريات الأخرى في الاتحاد السوفييتي.**

**ب-إن منح يهود الاتحاد السوفييتي الجنسية يتوقف على وجود تنظيم سياسي في منطقة محددة يتلقى فيه اليهود ما يمكنهم من تطوير ثقافتهم اليهودية الخاصة ، على المستوى القومي في الظاهر ، والاشتراكي في المضمون.**

**ج- رحب حاييم وايزمان ، بالمشروع باعتباره منعطفاً بنّاءً في حياة يهود الاتحاد السوفييتي ، معتبراً إياه "محطة" على الطريق إلى الوطن اليهودي في فلسطين.**

**د- يتبين بأنه كان هناك سعي ليكون مشروع الوطن اليهودي القومي مشروعاً عالمياً لليهود.**

**هـ- الهدف الاستراتيجي للمشروع تحقيق الاستمرارية والبقاء القومي اليهودي.**

---

(1) Goldberg, The Jewish Problem in the Soviet Union, p.173-174.

### ❖ أوكرانيا وبيروبيدجان:

استنتج معظم مراقبي تجربة بيروبيدجان أنه بحلول نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، كانت الجهود المبذولة لإنشاء جيب إقليمي لليهود السوفييت على بعد نحو ( 5000 ) آلاف ميل من موسكو على طول الحدود الصينية السوفييتية بمثابة فشل ذريع. مثل السخرية من أن الإمبراطورية الرومانية المقدسة ليست مقدسة ، ولا رومانية ولا إمبراطورية ، لم تكن منطقة الحكم الذاتي اليهودية بشكل خاص وبالتأكيد ليست مستقلة. ولم يقتصر الأمر على فشل بيروبيدجان في جذب أعداد كبيرة من اليهود ، الذين بلغ عددهم في سنة (1939م) ، (17.695) ألف نسمة من سكان المنطقة البالغ عددهم ( 109.000 ) آلاف نسمة بعد العقد الأول من وجودها، ولكن على الرغم من تصريحات التهنئة الذاتية التي أطلقها المتحدثون باسم الكرملين على عكس ذلك ، فإن القليل من المعلقين استطاعوا بجدية. الجدال بأن بيروبيدجان يجسد تطلعات يهود الاتحاد السوفييتي[1].

استمرت الجهود لجذب اليهود إلى المنطقة على الرغم من الهجرة الواسعة النطاق. ونَظّم أوزيه نظام يانصيب لجمع الأموال للمنطقة الوليدة وكلف الفنان اليهودي الشهير ميخائيل دلوجاش ( Mikhail Dlugach ) بتصميم ملصقات ونشرات دعائية تروج لليانصيب والبرامج الاجتماعية المختلفة والتحديثات المتعلقة لبيروبيدجان[2].

### ❖ البنية المؤسسية لجمهورية بيروبيدجان:

حاولت الحكومة السوفييتية تعزيز الطبيعة اليهودية على وجه التحديد في المنطقة ، فاتخذت العديد من الخطوات وهي:

---

(1) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.35.

(2) Frankel, Birobidzhan: An Historical and Personal Account, p.25-26.

أ- إنشاء مدارس وصحف ومؤسسات ثقافية يديشية. جنبا إلى جنب مع المدارس اليديشية وصحيفة يومية ( Der Birobidzhaner Shtem ) ، وتم إنشاء مسرح يهودي ومكتبة بها مجموعة يهودية كبيرة. وكان تعليم اليديشية إلزامياً في المدارس إذ كانت اللغة الروسية هي لغة التدريس.

ب- وأصدرت الحكومة في سنة (1935م) مرسوماً يقضي بأن تظهر جميع الوثائق الرسمية، بما في ذلك الإخطارات العامة والإعلانات والملصقات والإعلانات ، باللغتين اليديشية والروسية...وكذا الحال فيما يخص لافتات الشوارع وإشارات محطات السكك الحديدية والخطوط البريدية باللغتين اليديشية والروسية.

ج- كما خدم اليهود بشكل بارز في المناصب الحكومية والحزبية، حيث شنت الحكومة حملة دعائية عن التلوين " اليهودي " للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في بيروبيدجان.

د- وقام كتّاب يديش مشهورون وشخصيات يهودية بارزة بزيارة بيروبيدجان ، واستقروا فيها في بعض الأحيان بشكل دائم. وأعلنوا أن المنطقة تجسد التطلعات القومية والثقافية لليهود السوفييت. على سبيل المثال ، في أوائل الثلاثينيات من القرن الماضي ، استقر الكاتب اليديشي ديفيد برجلسون ( David Bergelson ) في بيروبيدجان وأسس نادياً أدبياً كان بمثابة مكان للتجمع ومصدر إلهام للكتاب اليهود.

هـ- عندما بدأت المجلة الأدبية اليديشية فوربوست ( Forpost ) المنشورة في بيروبيدجان في الظهور سنة (1936م) ، وتم الترحيب بها باعتبارها " المجلة اليهودية المركزية السوفييتية " والتي يجب أن تكونَ العضو المركزي

ليس فقط لقوى بيروبيدجان المحلية ولكن لجميع القوى الإبداعية للمجتمع اليهودي السوفييتي مهتم ببناء منطقة الحكم الذاتي اليهودية[1].

## ❖ مرحلة العودة إلى بيروبيدجان:

وكتب إسرائيل إميوت ( Israel Emiot ) وهو كاتب يديشي يصف رحلة العودة إلى بيروبيدجان ، وكان يقيم في بيروبيدجان في الثلاثينيات من القرن العشرين ، ما نصه: " من بين اليهود الذين تم إجلاؤهم من أوكرانيا أو بيلاروسيا أو بولندا ، ذهب عدد قليل جدًا إلى بيروبيدجان. وضمن أحداث سنتي (1937–1938م) تم القبض على معظم المهاجرين اليهود من الخارج ، وكذلك العديد من المستوطنين الأصليين في بيروبيدجان ، ثم تمت " تصفيتهم " فيما بعد وكانت معروفة للجميع. وبالرغم من كل هذا ، فما يزال اليهودي يشعر وكأنه في بيته في بيروبيدجان. لم يكن سراً أنه أينما احتل الألمان منطقة من الاتحاد السوفييتي ، تم منح المعادين للسامية فرصة جديدة للحياة. كارهي اليهود ( خاصة في أوكرانيا ) الذين حتى الحرب أخفوا مشاعرهم الحقيقية وجدوا الآن ألسنتهم مرة أخرى. ولم يحدث هذا في بيروبيدجان"[2].

وأشار واينبرغ ( Weinberg )، بأنه بالرغم من هذه الجهود ، لم تصبح بيروبيدجان مركزاً للسكان اليهود، ناهيك عن الثقافة والمجتمع ، كما يروج لها مسؤولو الحزب. وبحلول أواخر الثلاثينيات من القرن العشرين ، سقطت مسألة السياسات التي كانت تمنح للأقليات القومية والعرقية والدينية المختلفة لتعبر عن ثقافتها الخاصة بها ، ولا سيما تلك المتعلقة باليهود ، على جانب الطريق. وخلال ذروة عمليات التطهير في (1936–1938م) ، أغلقت الدولة فعلياً جميع المدارس اليديشية في بيروبيدجان ،

---

(1) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.36.

(2) Israel Emiot, The Birobidzhan Affair: A Yiddish Writer in Siberia, ( vara books, New York, 2001 ), p.7.

وفككت جميع المؤسسات التي تتعامل مع الاستيطان الزراعي اليهودي ، وأنهت الجهود المتضافرة لتشجيع الهجرة اليهودية إلى المنطقة. وكان وجود جيب إقليمي يهودي على وجه التحديد في الاتحاد السوفييتي ، وهو نقطة مقابلة لتحركات الاستيطان اليهودي في فلسطين– دليلاً كافياً على الكرملين لسياسته اليهودية الناجحة. فيما يتعلق بمسؤولي الحزب والحكومة ، خدمت الثقافة اليهودية السوفييتية مصالح النظام من خلال الاحتفال بإنجازات ستالين ، والخطط الخمسية ، والبناء الاشتراكي وإنتاج اليهود. وكان الاندماج الثقافي في الحياة السوفييتية الناشئة ، تطور الإنسان السوفييتي ، بدلاً من ازدهار الهوية القومية اليهودية، هدف النظام عشية الحرب. كما كتب الشاعر اليهودي بوريس " بوزي " ميلر ( Boris " Buzi " Miller )، الذي عاش في بيروبيدجان: " **لم تحقق منطقة الحكم الذاتي اليهودي آمالنا ، أصبحت بدلا من ذلك مصنعا للاستيعاب اليهودي** "[1].

## ❖ السوفييت ودعم الصهيونية:

يتبين وبشكل واضح بأن الحكومة السوفييتية كانت من بين الذين أسهموا في اقامة الكيان الصهيوني المزعوم في فلسطين ، وإلا ماذا يفسر العمل على إفشال مشروع بيروبيدجان عن طريق اتخاذ العديد من الاجراءات ؟ فقد أغلقت الدولة فعلياً جميع المدارس اليديشية في بيروبيدجان ، وفككت جميع المؤسسات التي تتعامل مع الاستيطان الزراعي اليهودي ، وأنهت الجهود المتضافرة لتشجيع الهجرة اليهودية إلى المنطقة.

في البداية قوبل مشروع بيروبيدجان بمعارضة صريحة ونقص ملحوظ في الحماس من قبل الشخصيات المهمة والمؤسسات السوفييتية المسؤولة عن الاستيطان اليهودي ، مثل كومزيت وأوزت ، ومعارضة سرية من قبل موظفين آخرين. ومنذ سنة

(1) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.36–37.

(1932م) ، وخصوصاً من ( آيار/ مايو 1934م ) عندما قررت هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي تحويل بيروبيدجان من منطقة ( RAION ) إلى منطقة حكم ذاتي يهودية أوبلاست ، توقفت هذه المعارضة تماماً. ثم ألقى جميع المعنيين بأنفسهم في الحملة لتسريع تدفق المهاجرين اليهود إلى بيروبيدجان. ومع ذلك، تكشف بيانات الهجرة عن السنوات (1932–1937م) أنه مع كل الحماس الرسمي، كان من بين ( 36.000 ) ألف شخص وصلوا إلى بيروبيدجان ، من بينهم نحو ألف مهاجر من الخارج ، بقي أقل من النصف. تم توجيه الضربة الأولى لمشروع بيروبيدجان – الذي واجه على أي حال صعوبات موضوعية هائلة للتغلب عليها – في ( آب/ أغسطس 1936م ) ضمن سياق عمليات التطهير الكبرى ، وتم القبض على معظم قادة منطقة الحكم الذاتي اليهودية بتهمة التروتسكية[1] ( Trotskyism ) والقومية والتجسس لصالح القوى الأجنبية. وجاءت الضربة الثانية في سنة (1938م) ، عندما تم إغلاق جميع المؤسسات الخاصة التي تعاملت مع الاستيطان اليهودي في الاتحاد السوفييتي منذ منتصف العشرينيات. ومع ذلك بمجرد انتهاء موجة التطهير ، ولا سيما بعد ضم مناطق جديدة إلى الاتحاد السوفييتي في سنتي (1939–1940م) ، وكانت تضم عدداً كبيراً من اليهود بين سكانها ، ونشأت آمال جديدة في التنمية

(1) التروتسكية: هي الأيديولوجية السياسية وفرع الماركسية الذي طوره الثوري الروسي ليون تروتسكي وبعض الأعضاء الآخرين في المعارضة اليسارية. ووصف تروتسكي نفسه بأنه ماركسي أرثوذكسي ، ماركسي ثوري ، وبلشفي لينيني ، من أتباع ماركس وإنجلز وفلاديمير لينين وكارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ. لقد أيد تأسيس حزب طليعي للبروليتاريا ، الأممية البروليتارية ، وديكتاتورية البروليتاريا ، على أساس التحرر الذاتي للطبقة العاملة والديمقراطية الجماهيرية. للمزيد ينظر:

Mavrakis, Kostas;MacKenzie, Norman Ian, On Trotskyism Problems of Theory and History, ( Routledge, New York, 2010 ) ; Bela Kun, The Ideological Principles of Trotskyism, ( International Press Correspondence, 1925 ).

المتجددة لمنطقة الحكم الذاتي اليهودي. وبالرغم من إعداد الخطط لنقل ما بين ثلاثين وأربعين ألف عائلة يهودية إلى بيروبيدجان ، لم يأتِ هذا المشروع الضخم بأي شيء. في الواقع وصل عدد قليل جداً من المهاجرين اليهود إلى المنطقة بين سنتي (1939 و 1941م) ، وتوقفت الهجرة إلى بيروبيدجان تقريباً مع اندلاع الحرب السوفييتية الألمانية ( الحرب العالمية الثانية ) ، ولم يتم تجديدها إلا في سنة (1945م) [1].

## ❖ انطلاقة جديدة لمشروع بيروبيدجان:

لقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية بمثابة بداية جديدة لمشروع بيروبيدجان ، كما حدث في الثقافة والمجتمع اليهودي السوفييتي بشكل عام. وبالرغم من أن أعوام الحرب شهدت استمراراً لاتجاهات ما قبل الحرب في بيروبيدجان ، حيث ظلت الحياة الثقافية اليهودية متوقفة ، إلا أن نهاية الأعمال العدائية في سنة (1945م) شهدت عودة الهجرة اليهودية إلى " صهيون السوفييتية ". لم يقتصر الأمر على تهجير عشرات الآلاف من يهود الاتحاد السوفييتي بسبب الدمار الذي أحدثه الألمان ، ولكن العديد من اليهود العائدين إلى ديارهم واجهوا أحياناً ترحيباً عدائياً من جيرانهم في اوكرانيا وبيلاروسيا. عملت هذه العوامل المحلية جنباً إلى جنب مع الرغبة في تحويل انتباه يهود الاتحاد السوفييتي عن فلسطين لتوليد تجديد للهجرة اليهودية إلى بيروبيدجان. بين سنتي (1946 و 1948م) ، ربما انتقل ما يصل إلى ( 10.000 ) آلاف يهودي إلى جمهورية التشيك ، حيث استقر الكثيرون في المزارع الجماعية والحكومية كعمال غير مهرة ومهنيين مهرة مثل المهندسين والفنيين والمهندسين الزراعيين ، والمعلمين. وبحلول

(1) Benjamin Pinkus, The Soviet Government and the Jews, 1948-1967: A Documented Study ( Cambridge, 1984 ), P.371.

نهاية سنة (1948م) ، فإن التقديرات تشير إلى أن ما يصل إلى (30.000) ألف يهودي كانوا يعيشون في بيروبيدجان[1].

لقد أشار أحد الباحثين إلى أعداد المهاجرين بأنَّ العدد الدقيق لليهود الذين انتقلوا إلى بيروبيدجان بين سنتي (1946 و 1948م) غير معروف ، وكذلك إجمالي السكان اليهود في المنطقة. بينما صرح أحد المسؤولين في بيروبيدجان أن حوالي ( 20.000 ) ألف يهودي انتقلوا إلى المنطقة بين سنتي (1946م) ومنتصف سنة (1948م) ، وهو رقم يرفضه معظم المؤرخين باعتباره مبالغاً فيه. لاحظ مسؤول آخر مطلع أن ( 2000 ) عائلة ( ليس من الواضح ما إذا كانوا جميعهم من اليهود ) قد وصلت في سنة (1947م) وحده ، على الرغم من أن إحدى الصحف أكدت أن ( 2000 ) ألفي أسرة انتقلت إلى هناك خلال سنتي (1947 و 1948م). يقدر المؤرخون أن ما بين ( 6.000 و 10.000 ) آلاف يهودي قد انتقلوا إلى بيروبيدجان خلال هذه السنوات ، مما يعطي ما مجموعه ( 30.000 إلى 35.000 ) ألف يهودي يعيشون هناك بحلول نهاية سنة (1948م)[2].

ويستدل من الحديث المتقدم بعض المسائل منها:

**أ- هناك تأثير بسبب الإجراءات الحكومية على أعداد المهاجرين اليهود إلى منطقة الحكم الذاتي في بيروبيدجان ، مما أدى إلى تناقص أعداد المهاجرين اليهود من الخارج ، فمن بين ( 36.000 ) ألف كان فقط ( 1000 ) ألف يهودي من خارج الاتحاد السوفييتي.**

**ب- ربما كان للحرب العالمية الثانية بعض التأثيرات ليس على اليهود فحسب بل على جميع أرجاء العالم ومن مختلف الديانات بلا استثناء ،**

---

(1) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.37.

(2) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.37.

**الأمر الذي جعل الاتحاد السوفييتي ، يتخذ بعض الإجراءات ، ومنها القبض على معظم قادة منطقة الحكم الذاتي اليهودية بتهم التجسس ، وإغلاق المؤسسات الخاصة التي تعاملت مع الاستيطان اليهودي في الاتحاد السوفييتي.**

**ج- قلة أعداد اليهود الواصلين على بيروبيدجان أقل بكثير مما هو مخطط له ، بل وتوقفت الهجرة بصورة نهائية حتى نهاية الحرب سنة (1945م).**

**د- بالرغم من استمرار المشروع بصورة موازية مع مشروع اغتصاب فلسطين في نهاية الاربعينيات وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية انطلاقة جديدة لمشروع بيروبيدجان ، كبديل استراتيجي لحفظ استمرارية اليهودي.**

## المبحث الثاني: البعد الدولي وهجرة يهود العالم إلى بيروبيدجان

كانت الغاية من مشروع بيروبيدجان في البداية أن تكون هذه المقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي مركزا ثقافيا ، ووحدة قومية ، اقليمياً وإدارياً ، ليس ليهود الاتحاد السوفييتي فحسب ، بل ليهود العالم أجمع ، ولذلك لم تكن النداءات الصادرة عن السلطات القائمة بتنفيذ المشروع ، لتشجيع اليهود على الهجرة الى بيروبيجان ، موجهة إلى الاتحاد السوفييتي وحدهم ، بل إلى جميع الجاليات اليهودية الخارج. وقد قامت السلطات السوفييتية بنشاط اعلامي كبير في الخارج لترويج فكرة المشروع[1].

إن الدعاية لمشروع بيروبيدجان اجتذبت عددا المستوطنين غير السوفييت من يهود ، وكانت قد صدرت نشرة سوفيتية بالإنجليزية تظهر للقارئ إنجازات الاتحاد السوفييتي ، وكان بين ذلك نشرة خاصة بالحديث عن الإقليم اليهودي المستقل في بيروبيدجان ، وقد أثمر ذلك عن وَفَدَ أكثر من ( 1000 ) ألف يهودي إلى الإقليم[2].

وربما كان استقبال مشروع بيروبيدجان في بعض الأوساط اليهودية في الخارج حماسياً أكثر منه في موسكو أو كييف. فالتيار المعادي لليهود الذي كان يتصاعد في بعض الأقطار الأوروبية، والقيود المعينة التي كانت تفرض على الهجرة إلى فلسطين في بعض الفترات ، جعلت المشروع يبدو فرصة جديدة لحياة قومية لجميع اليهود في العالم ، بالإضافة إلى عن كونه أملاً جديداً ليهود الاتحاد السوفييتي [3].

---

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص130-131.

(2) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص43.

(3) Goldberg, The Jewish Problem in the Soviet Union, p.174. ؛ صفوة ، بيروبيدجان التجربة السوفيتية ، ص131.

ولكن اليهود ، بالرغم من ترحيبهم بالمشروع ، ومنحه تأييدهم الشفوي ، كانوا مترددين في الهجرة ، وقد أشار الى ذلك أحد مراسلي إيميس ( Emes ) في ( نيسان/ ابريل 1928م ) منتقدا ، فقال: " لقد رفع اليهود أيديهم لمشروع بيروبيدجان بسهولة ، ولكنهم لم يحركوا اقدامهم". ومع ذلك، فقد ذهب الى بيروبيدجان في سنة (1932م) عدد من العمال من البلاد الرأسمالية بلغ مجموعهم ( 784 ) عاملاً. وقد احتل ارسال هؤلاء العمال من الخارج أهم محل في عمليات الهجرة في تلك السنة ، وكان بينهم ( 119 ) شخصاً من الأرجنتين ، و ( 101 ) من ليتوانيا ، و ( 83 ) من لاتفيا، و ( 88 ) من فرنسا ، و ( 74 ) من فلسطين ، و ( 65 ) من المانيا ، و (11) من بلجيكا ، و ( 30 ) من بولونيا... الخ "[1].

وفي سنة (1935م) صدر قرار يلزم الأجانب بدفع مئتي دولار بدل مواصلات داخل الاتحاد يتم دفعها للوكالة المعنية بتنظيم عملية الاستيطان كومزيت (Komzet)، وكان أغلب الوافدين من أصول روسية ، وهم مصابون بخيبة أمل مما كانوا يعانونه ، إذ كانوا يعيشون في أوروبا وأمريكا ، وقد دفعهم إلى ذلك رغبتهم بالعمل في بناء الاشتراكية والإفلات من كبت النظم الرأسمالية التي كانوا يعيشون في ظلها ، وكان من دوافعهم الرغبة المحمومة للعمل في الزراعة[2].

### ❖ دعم المنظمة الصهيونية العالمية:

وكانت الخطة الاصلية التي رسمتها منظمة كومزيت ، في سنة (1932م) تقضي بأن يكون مستوطني بيروبيدجان من اليهود الأجانب ، ولكنَّ خطة التوطين لسنة (1939م) افترضت أن يكون (40) بالمائة من جميع المستوطنين القادمين إلى بيروبيدجان من يهود البلاد الرأسمالية. غير أن العدد الحقيقي للمستوطنين الأجانب

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص131-132.

(2) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص43.

بقي بعيداً جداً عن ذلك الهدف وبعد ذلك تقدمت بعض المنظمات اليهودية في الخارج الى الحكومة السوفييتية طالبة موافقتها على فتح بيروبيدجان لدخول يهود أوربا الشرقية الذين كانوا يلاقون ضغطاً في بلادهم ، ويضطرون الى مغادرتها. وقد تبين فيما بعد أن الحكومة السوفييتية لا تنوي السماح بهجرة اليهود من خارج الاتحاد السوفييتي اعتباطاً ، أو تركها للصدف ، وانما كان المفروض أن تنظمها الحكومة بصورة دقيقة ، وقد تبنت الهيئة المركزية لمنظمة أوزيت ، عند اعلان المنطقة مقاطعة ذات حكم ذاتي في سنة (1934م) قرارا جاء فيه:

" **إننا نرى من المصلحة أن تُجلبَ من الخارج كتائب معينة من العمال اليهود من ذوي الأهلية والكفاية للعمل في الميادين التي توجد فيها أزمة في الأيدي العاملة ليقوموا بدور فعّال في البناء الاشتراكي للمقاطعة اليهودية ذات الحكم الذاتي ، وذلك مع مراعاة التيارات التي تسود العمال في البلدان الرأسمالية** "[1].

## ❖ دعم يهود الدول الغربية وأمريكا:

لقد ثار جدل واختلاف وسط يهود العالم حول مشروع بيروبيدجان ، حيث عارضه فريق منهم، لأنه برأيهم لا يلبي التطلعات اليهودية ، وقسم منهم كان متحمساً له ، إذ كان يستثير مشاعر يهود أوروبا وأمريكا لدعمه الأسماء البارزة الداعمة للمشروع، كالكاتب الألماني اليهودي ليون فوشتوان غلير ( Feuchtwan Gler ) الذي سافر إلى موسكو في سنة (1937م) ، وقال يومها: " **إن الجمهورية الاشتراكية اليهودية في بيروبيدجان حقيقة واقعة** "[2].

(1) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص132-133.

(2) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص44.

وفي سنة (1936م) صرح رئيس " أوزيت " ، بأن عددا من اليهود الأجانب سيقبلون في المقاطعة على أن تتوافر فيهم شروط معينة ، وأن يكونوا ذوي اتجاه سياسي سليم ، وانتشرت الاشاعات في خارج الاتحاد السوفييتي ، ولاسيما في الولايات المتحدة وبريطانية وفرنسية ، كانت الأخيرة ما تزال في مرحلة الخروج من الأزمة الاقتصادية الخانقة ، وشديدة القلق بسبب تدفق اللاجئين عليها ، أن بيروبيدجان تهيأ لتوطين اليهود البولونيين على نطاق واسع وأعلنت " اللجنة الأمريكية لتوطين اليهود في بيروبيدجان" ، أمبيجان[1] ( Ambijan ) في سنة (1936م) أن ( 100.000 ) ألف يهودي في بولونيا أعربوا عن رغبتهم في الهجرة الى بيروبيدجان. وتمكنت هذه المنظمة في السنة نفسها من استحصال موافقة الحكومة السوفييتية على دخول ألف عائلة من بولونيا مبدئيا ، للتوطن في المقاطعة اليهودية وبالرغم من أن هذا الاتفاق لم يفسخ بصورة رسمية، ولكن لم يسمح لأي من هذه العائلات بالدخول[2].

---

(1) أمبيجان ، مؤسسة لها اسهام في تسهيل هجرة اليهود إلى بيروبيدجان ، وبالذات بعد أن أصبحت الفكرة القائلة بأن بيروبيدجان قد تكون مكاناً للجوء السياسي وكذلك مركزًا للتجديد الاقتصادي والثقافي اليهودي أكثر وضوحًا بعد صعود هتلر إلى السلطة ، وستشكل أساس عمل أمبيجان. تم إنشاء المنظمة في اجتماع عقد في نيويورك في ( 27 شباط/ فبراير 1934م ) حيث اقترح مارلي على ويليام دبليو كوهين، عضو الكونغرس الديمقراطي ، أن يتم تشكيل لجنة من أجل استكشاف استيطان اليهود الأجانب في بيروبيدجان. وبعد سنة بدأ العمل من خلال أمبيجان. وتم تعيين مارلي الرئيس الفخري والرئيس المؤسس ، على الرغم من أن جوزيف مردخاي ( جيه إم ) بوديش هو الذي قاد اللجنة، وهو شيوعي روسي المولد لكنه تلقى تعليمه في الولايات المتحدة وكان له دور أساسي في إنشاء أمبيجان. للمزيد ينظر:

Henry F. Srebrnik, An idiosyncratic fellow-traveller: Vilhjalmur Stefansson and the American committee for the settlement of Jews in Birobidzhan, (East European Jewish Affairs ), vol. 28, Iss.1, p.38.

(2) صفوة ، بيروبيجان التجربة السوفيتية ، ص133.

❖ **دعم غير يهودي:**

كل هذا كان جهداً يهودياً لدعم مشروع إقليم يهودي مستقل ، ولكن أضيف إلى ذلك جهود غير يهودية منها نشاط دودلي مارلي أمان ( Dudley Leigh Aman ) ،

البارون مارلي الأول ( First Baron Marley ). الذي أصبح زميل لاشتراكي يدعى فابيان ( Fabian )، وانضم إلى حزب العمال البريطاني ، إذ قام مارلي بعدد من الرحلات إلى الاتحاد السوفييتي وسافر إلى بيروبيدجان ، وكانت تقاريره عاملاً فعالاً في إثارة اهتمام يهود العالم في بيروبيدجان كمنفذ محتمل لليهود المضطهدين في الأراضي الأخرى. بعد أن تم تعيينه رئيساً فخرياً لمجلس أمبيجان المشكل حديثاً في سنة (1934م) ، لاحظت تلك المنظمة " جهوده من أجل تحرير المظلومين ، ودعوته المستمرة للعدالة الاجتماعية ". شخص آخر من هذا القبيل ، أصبح نائباً لرئيس أمبيجان في سنة (1936م) ، كان مستكشف القطب الشمالي والعالم والمؤلف فيلجالمور ستيفانسون ( Vilhjalmur Stefansson ) ، وكان مؤيداً دؤوباً للاستيطان في بيروبيدجان ، وظهر في اجتماعات لا حصر لها يسرد المآثر ، الحقيقية والمتخيلة، للمستوطنين اليهود الذين يحاولون بناء جمهورية اشتراكية في التندرا في الشرق الأقصى السوفييتي. ونظراً لشهرته ومكانته ، فقد أثبت أيضاً أنه مورد لا يقدر بثمن لقيادة أمبيجان[1].

ومن بين الجهود الأخرى ، دور بوديش ( Budish ) ، رئيس اللجنة الإدارية لأمبيجان ، كواحد من اثنين من ممثلي أمبيجان الذين سافروا إلى الاتحاد السوفييتي في سنة (1935م) ، وحصل على موافقة من قبل الروس عندما سأل عما إذا كان الروس سيسمحون لليهود غير السوفييت بالاستقرار في بيروبيدجان؟ وآنذاك كانت الولايات

(1) Srebrnik, An idiosyncratic fellow - traveller, vol. 28, Iss.1, p.38.

المتحدة قد اعترفت بالنظام السوفييتي في سنة (1933م)، وفي سنة (1934م) تلقى ألكسندر ترويانوفسكي ( Aleksandr Troyanovsky )، السفير السوفييتي، وعداً بأن يقدم المؤيدون اليهود لبيروبيدجان ( 200 ) دولار نقداً ، والمرور إلى الحدود السوفييتية، لكل عائلة يهودية مؤهلة ترغب في الهجرة إلى بيروبيدجان من البلاد

المجاورة للاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية. وزار ترويانوفسكي ، بيروبيدجان في ربيع سنة (1935م) ، وعند عودته التقى بوفد أمبيجان. ونقل رسالة مفادها أن الحكومة السوفييتية ستقبل " عدداً معيناً " من غير الروس على اليهود للاستقرار في " منطقة الحكم الذاتي اليهودي ". وفي سنة (1935م) ، أعلنت أمبيجان أنها حصلت على إذن من الحكومة السوفييتية لمساعدة العائلات اليهودية غير الروسية المعوزة ، والتي سيتم اختيارها بشكل رئيسي من بولندا وليتوانيا ورومانيا وألمانيا للاستقرار في بيروبيدجان ، وسيتم اختيار المهاجرين من قبل أمبيجان ممثلين بالتعاون مع المسؤولين السوفييت. وستقدم أمبيجان ( 350 ) دولار لكل عائلة يتم اختيارها ، لتغطية تكاليف النقل وإعادة التوطين. وفي (10 تشرين الأول/ أكتوبر 1935م) ، كتب كوهين إلى فيلجالمور ستيفانسون( Vilhjalmur Stefansson ) يحدد أهداف اللجنة ويخبره أنَّ "عدداً من اليهود وغير اليهود البارزين" سبق أن قَدَّموا أسماءهم كجهات راعية. وتمت دعوة ستيفانسون لحضور مأدبة غداء في نادي المصرفيين الذي تم تنظيمه لتعريف الراعين بالتقدم الذي أحرزته لجنتنا. وقد كتب كوهين لاحقاً أن وجوده ساعد في إنجاحها[1].

وفي ( ايلول/ سبتمبر 1936م ) ، عاد مارلي إلى الولايات المتحدة ، وخلال ثلاثة أشهر ، نجح في جمع مبالغ كبيرة لبيروبيدجان. وفي عشاء الوداع الذي أقيم في فندق كومودور ( Commodore ) في ( 22 كانون الأول/ ديسمبر ) ، تم التعهد

(1) Srebrnik, An idiosyncratic fellow - traveller , vol. 28, Iss.1, p.41.

بـأكثر مـن ( 100.000 ) ألـف دولار، وهـو مبلـغ يعكـس الموقـف الجديـد تجـاه بيروبيدجان من جانب يهود أمريكا ، الذين أدركوا أن هذا هو الملجأ " **المكان الوحيد لليهود** " ، حيث تكون الحكومة مستعدة للمساعدة بطريقة مادية. وأسهمت أمبيجان في اصدار كتاب سنوي من خمسين صفحة ، مليئاً بالشهادات وخطابات الدعم، ومن بين الخطابات كان احدها لستيفانسون ، الذي تم إدراجه كعضو في مجلس إدارة وحكام أمبيجان: " **يبدو لي أن مشروع بيروبيدجان يقدم إسهاماً كرجل دولة في مشكلة إعادة تأهيل يهود أوروبا الشرقية والوسطى**". لم تكن بيروبيدجان يوتوبيا ، كما أخبر ستيفانسون ، ولكن بالنسبة لليهود المنكوبين في بولندا ورومانيا وليتوانيا ودول أوروبية أخرى ، فإن بيروبيدجان كانت تمثل بالفعل تقدماً إلى مستوى معيشة أعلى ، ناهيك عن عدم ذكر أي شيء عن درجة أكبر بما لا يقاس من الأمن والأمل في المستقبل[1].

**يؤكد الحديث المتقدم مدى اهتمام يهود امريكا بمنطقة الحكم الذاتي اليهودي في بيروبيدجان ، وبأنها تمثل " المكان الوحيد لليهود " الذي يمكن من خلاله تأهيل يهود أوروبا الشرقية والوسطى ، ولكن ليست كما أشار ستيفانسون بأنها مجتمع مثالي ، بل تمثل مستوى أفضل لدول اليهود المشار إليها.**

وأمـا فـي سـنوات (1941–1945م) وقبـل الهجـوم الالمـاني علـى الاتحـاد السوفييتي لجأ عشرات الآلاف إلى منطقة الحكم الذاتي اليهودي في بيروبيدجان. ليس هناك شك في أن توطين عدة آلاف من هؤلاء اللاجئين اليهود في بيروبيدجان وأماكن أخرى في الاتحاد السوفييتي لعب دوراً مهماً في حل مهام إعادة الإعمار التي لا مثيل لها ، والتي سيواجهها اليهود عند انتهاء الحرب. كتب بوديش: " **يتوقع أمبيجان ، مع الاستعداد بشكل صحيح ، أنه سيكون محظوظاً مرة أخرى للتعاون في توطين اليهود**

(1) Srebrnik, An idiosyncratic fellow - traveller , vol. 28, Iss.1, p.42.

**في بيروبيدجان وأماكن أخرى في الاتحاد السوفييتي بمجرد أن تسمح الظروف بذلك"**[1]

وتجند فنانون لدعم المشروع في أوروبا وأمريكا ، وعملوا على التعريف بالإقليم والقرار الاستيطاني ، من خلال عروضهم الفنية ، وأقاموا لذلك معارض في بوسطن ونيويورك وموسكو في سنة (1936م) ، على أن ينتهي المطاف بهذه الأعمال الفنية في الإقليم ، ولكن ذلك لم يحصل ، هذا واكتنف الغموض ما حصل. والسؤال هل أخفى ذلك مجموعة من الصهاينة الذين كانوا يعملون لاغتصاب فلسطين وصرحوا بأنهم لا يريدون بديلاً منها ؟ أم أن الحاجة الأوروبية لزرع جسم غريب في قلب الأمة العربية بفلسطين ، وهي حاجة استعمارية ، عملت لذلك ؟ أم أن يهود والذين لم يكونوا يرغبون بالتحول إلى العمل الزراعي فعلوا ذلك ؟[2].

إلا أن مجريات الأحداث تشير إلى أنَّ الأسباب الأنفة الذكر ربما كانت هي التي سببت الفشل ، لكن كان يمكن تجاوزها ومعالجتها ، كما جرى الحال في مواجهة العقبات التي واجهت الاحتلال البريطاني والصهيونية ومناصريهم عندما أقدموا على احتلال فلسطين ، فقد كانت العقبات وما زالت مستمرة إلى الآن ، وهي أصعب بكثير مما هو عليه الحال في إقليم بيروبيدجان.

**استنتاجات:**

أ- **جميع يهود العالم ، إن المشروع اليهودي في بيروبيدجان لم يكن من أجل إقامة مقاطعة يهودية ذات الحكم الذاتي ليهود الاتحاد السوفييتي فحسب ، بل ليهود العالم أجمع.**

---

(1) Srebrnik, An idiosyncratic fellow - traveller, vol. 28, Iss.1, p.43-45.

(2) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص46.

**ب- كان استقبال مشروع بيروبيدجان في بعض الأوساط اليهودية في الخارج حماسياً أكثر منه في موسكو أو كييف. والسبب في ذلك بأن موسكو وكييف تحت سيطرة اليهود على العكس من بيروبيدجان التي كانت تمثل خطوة نحو السيطرة الكاملة على الاتحاد السوفييتي.**

**ج- الدعم المالي والمعنوي ، حظي المشروع بدعم غير مسبوق من قبل المنظمة الصهيونية العالمية ، وكذلك دعم بريطاني وأمريكي.**

**د- السيطرة على أوربا ، والسبب في ذلك إن اهتمام يهود امريكا بمنطقة الحكم الذاتي اليهودي في بيروبيدجان ، كونها تمثل " المكان الوحيد لليهود " الذي يمكن من خلاله تأهيل يهود أوروبا الشرقية والوسطى ، ولكن ليست كما أشار ستيفانسون بأنها مجتمع مثالي ، بل تمثل مستوى أفضل لدول اليهود المشار إليها.**

# الفصل الخامس :

## جمهورية بيروبيدجان واستراتيجية البدائل

المبحث الأول: نهاية مؤقتة لتجربة بيروبيدجان ( 1985 )

المبحث الثاني: عودة بيروبيدجان ( ما بعد الاتحاد السوفيتي- 1991 )

المبحث الثالث: بيروبيدجان وفلسطين

## المبحث الأول: نهاية مؤقتة لتجربة بيروبيدجان ( 1985 ):

انتهى إحياء بيروبيدجان بشكل مفاجئ في أواخر سنة (1948م) وبداية سنة (1949م) عندما أطلق ستالين حملة لتدمير النشاط الفكري والثقافي اليهودي في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي. أعد صياغة تفاصيل الحملة ضد الكوزموبوليتانيين

( cosmopolitans ) الذين لا جذور لهم ، والتي بلغت ذروتها في "مؤامرة الأطباء" لسنة (1953م) ، والتي وجهت ضربة قاتلة لتجربة بيروبيدجان[1]. **وتم إغلاق المسرح اليهودي ، وتم إغلاق القسم اليهودي في المتحف، ومنع التدريس باللغة اليديشية في المدارس مرة أخرى ، وأغلق الكنيس أبوابه ثم احترق في سنة (1956) بعد اندلاع حريق في مصنع مجاور. ولعل الضربة الأشد خطورة تم حرق حوالي ( 30.000 ) ألف كتاب من مجموعة الكتب اليهودية ( Judaica ) في المكتبة العامة في بيروبيدجان ، وفي سنة (1994) ، ذكر افيم كوديش ( Efim Kudish )، أحد سكان بيروبيدجان منذ سنة (1946) ، " عملية حرق الكتاب وكيف خاطر بحياته بإخفاء عشرات الكتب اليديشية تحت ملابسه في المكتبة ونقلها إلى المنزل لحفظها "**[2].

وهنا لا بد من الاشارة إلى أن حكومة الاتحاد السوفييتي وعلى رأسها ستالين العمل على اتخاذ بعض القرارات التي من شأنها تعطي انطباع بأن المشروع اليهودي في بيروبيدجان قد انتهى ، لكن في حقيقة الأمر حتى لا تنافس فلسطين التي تم اعلان قيام الكيان الصهيوني على أراضيه.

---

(1) Pinkus, The Soviet Government and the Jews, p.49-50.

(2) Weinberg, Stalin's forgotten Zion: Birobidzhan, p.84.

وفي بيروبيدجان فإنّ كبار المسؤولين في الحزب والحكومة اعتقلوا إلى جانب النخبة الثقافية اليهودية ، واتهموا بأنهم عملاء وجواسيس صهاينة للولايات المتحدة. ومن المفارقات ، أنهم أدينوا لاقتراحهم أن تُمنح المنطقة وضعاً كمنطقة حكم ذاتي ، ولتعزيز الثقافة اليهودية في منطقة يسكنها بشكل أساسي غير اليهود ومثل المفكرين اليهود البارزين في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي ، تعرض أولئك الذين يعيشون في بيروبيدجان للهجوم على أنهم " كوزموبوليتان بلا جذور" وأتباع الثقافة البرجوازية الغربية والقوميون البرجوازيون. وهكذا تم اتهام بوريس ميلر( Boris Miller ) ، الذي هوجمت مسرحيته هو من بيروبيدجان ، بسبب " **حدودها الوطنية** "، إلى جانب المسرحيين الآخرين بأنه " **انفصل عن الحاضر السوفييتي** " وبأنه يكتب حول بيروبيدجان كما لو كانت هي البقعة الوحيدة في الاتحاد السوفييتي حيث يمكن لليهود الازدهار فيها. وتم انتقاد قصيدة " **بلدي أوبلاست** " لـ إسرائيل إميوت ( Israel Emiot ) بسبب عيوبها الأيديولوجية ، لأن " الدوافع القومية تهيمن على موضوع الوطنية السوفييتية لجميع شعوب " الاتحاد السوفييتي. بالإضافة إلى ذلك تعرض مقال بوريس سلوتسكي ( Boris Slutsky ) حول الحياة الثقافية في بيروبيدجان للهجوم لأنه كان " مهتماً فقط بذكر أعمال الكُتّاب اليهود " في مجموعة المكتبة ، متجاهلاً ذكر مجموعتها من " كلاسيكيات الماركسية اللينينية ، الأدب الروسي والكتاب السوفييت ". ومن الواضح أنَّ هؤلاء الفنانين مذنبون بأخذ هدف منطقة الحكم الذاتي اليهودي خطير للغاية ، وفشل في إيلاء الاهتمام الكافي لإنجازات الشعب الروسي العظيم. فدفعوا ثمن جرائمهم بالسجن وأحياناً الموت[1].

(1) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.51.

**استنتاجات:**

**أ- إخفاء متعمد ، لجأ اليهود كعادتهم إلى إخفاء التواجد اليهودي في بيروبيدجان تحت غطاء بأن ستالين أطلق حملة لتدمير النشاط الفكري والثقافي اليهودي في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي.**

**ب-تقاسم الادوار ، خلط الأوراق وإيهام العالم بأن هناك صراع سوفييتي – امريكي ، وأن النخبة المثقفة من يهود بيروبيدجان عملاء وجواسيس صهاينة للولايات المتحدة. ويعطي ذلك مبرراً أمام العامة بأنه لا وجود لتأثير يهودي بدليل اعتقالهم مع كبار المسؤولين في الحزب والحكومة ، ومن المفارقات أنهم أدينوا لاقتراحهم أن تُمنح المنطقة وضعاً كمنطقة حكم ذاتي.**

**ج- التجميد لمشروع بيروبيدجان ، يبدو واضحاً بأن هناك تنسيق ورؤية استراتيجية ليهود العالم تحدد البدائل في المشاريع اليهودية ، وتعمل على تنشيطها أو إيقاف العمل مؤقتاً متى ما تشاء ، وهو ما جرى لمشروع بيروبيدجان.**

**ما يشاع بين مختلف الأوساط السياسية والأكاديمية وكذلك العامة بأن مشروع بيروبيدجان قد انتهى وبصورة نهائية ، إلا أن الحقيقة على العكس تماماً فما يزال إقليم بيروبيدجان قائماً وما يؤكد ذلك دستور الاتحاد الروسي لسنة (1993م) والمعدل حتى سنة (2008م) ، فقد نص الدستور ضمن المادة ( 65 ) الفقرة الأولى على وجود ( إقليم الحكم الذاتي اليهودي )[1] ، وكذلك أشار الدستور**

(1) Russian Federation's Constitution of 1993 with Amendments through 2008, p.15.

**المعدل نفسه لسنة (2014م) على أن الإقليم مازال قائماً[1] ، واستمر الإقليم قائماً وفق الدستور بتعديلاته التي وافق عليها تصويت عموم روسيا في (1 يوليو/ تموز 2020م)[2]. وهنا يتبين مقدار عملية التجهيل التي تمارس وبشكل ممنهج ومقصود لإخفاء المعلومات التي تشير إلى الكيانات السياسية الخاصة باليهود في مختلف بقاع العالم قبل إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين.**

نص المادة الدستورية لمنطقة الحكم الذاتي اليهودي ضمن دستور سنة (1993) والمعدل في سنة (2020):

**مادة 65:**

**( يتألف الاتحاد الروسي من الكيانات التالية المكونة للاتحاد الروسي:... موسكو ، وسانت بطرسبرغ ، وسيفاستوبول – مدن ذات أهمية فيدرالية ؛ الأوبلاست اليهودي المتمتع بالحكم الذاتي ...)**

**Article 65:**

**( The Russian Federation shall be composed of the following constituent entities of the Russian Federation: ... Moscow, St. Petersburg, Sevastopol' – cities of federal significance; the Jewish autonomous oblast ...)**

---

(1) Russian Federation's Constitution of 1993 with Amendments through 2014, p.14-15.

(2) The Constitution of The Russian Federation adopted by popular vote on 12 December 1993, with amendments approved by all Russian vote on 1 July 2020, (European Commission for Democracy through Law, Venice Commission, Strasbourg 4,February,2021 ),p.15.

## المبحث الثاني:عودة بيروبيدجان (ما بعد الاتحاد السوفييتي) (1991):

تم بث الحياة في بيروبيدجان ، ومع ذلك بقيت الصبغة الثقافية اليهودية هي المعتمدة رسمياً والمتأصلة في اليديشية ، وساعدت في الحفاظ على الوعي حياً بمنطقة الحكم الذاتي كمركز مزعوم للحياة اليهودية. ولم يتم تعليق نشر صحيفة شترن بيروبيدجانر (Shtern Birobidzhaner ) ، وهي صحيفة صدرت باللغة اليديشية لأول مرة في سنة ( 1930م ). وتم نشر خمسة اعداد منها في الأسبوع ، نصفها باللغة اليديشية ، والنصف الآخر باللغة الروسية ، إذ تم توزيع ( 4000 ) آلاف عدد منها منذ ستينيات القرن الماضي ، ورعت الحكومة فرقتين مسرحيتين في الغالب باللغة اليديشية. علاوة على ذلك ، تم تقديم تدريس اللغة اليديشية مرة أخرى كموضوع اختياري في العديد من المدارس في بيروبيدجان من أواخر السبعينيات فصاعداً. وحفز ظهور كلاسنوست ( glasnost ) والبيريسترويكا ( perestroika )[1] جهود المسؤولين والنشطاء اليهود في بيروبيدجان لإحياء الثقافة اليهودية. وأن تأخذ الحكومة

(1) كلاسنوست ( glasnost ) ، هي سياسة الانفتاح والشفافية في أنشطة جميع المؤسسات الحكومية في الاتحاد السوفييتي، بالإضافة إلى حرية الحصول على المعلومات. أما البيريسترويكا (perestroika ) ، هي حركة سياسية للإصلاح داخل الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي خلال الثمانينيات من القرن العشرين مرتبطة على نطاق واسع بالزعيم السوفييتي ميخائيل جورباتشوف وإصلاح سياسته التي تعني الانفتاح. للمزيد ينظر:

Brian Mcnair, Glasnost, Perestroika and the Soviet Media, ( Routledge, London, 2001 ), p.43-63.

والمجتمع اليهودي في منطقة الحكم الذاتي اليهودي على محمل الجد مكانة المنطقة كأرض يهودية[1].

### ❖ إعادة البعد الديني ودعمه:

من الواضح أنه ليس كل السكان اليهود في منطقة الحكم الذاتي تركوا وراءهم تقاليدهم اليهودية وقيمهم والتزاماتهم ، بما في ذلك الشعائر الدينية ، إذ خفف الكرملين من القيود المفروضة على سكان الإقليم بما في ذلك الحياة الدينية التي شهدت انتعاشاً ملحوظاً في المنطقة خلال الحرب. وفي أواخر سنة (1946م) قدم اليهود التماساً يطلبون فيه السماح لهم بفتح كنيس يهودي في بيروبيدجان. وقد وافق مجلس شؤون العبادات الدينية على الالتماس ، وصرحوا بأن الكنيس كان نشطاً قبل الحرب. ونظراً لعدم وجود كنيس يهودي في الثلاثينيات من القرن الماضي، كان المجلس يشير بوضوح إلى التجمعات غير الرسمية لليهود ، الذين يلتقون للاحتفال بالعطلات اليهودية المختلفة في شقق ودور خاصة مؤقتة للصلاة. ومع عدم وجود حاخام ، وكانت تتلى الترانيم فقط ، وكان كنيس بيروبيدجان هو الكنيس اليهودي الوحيد المسجل في ذلك الجزء من الشرق الأقصى السوفييتي ، وتلقى الكنيس هدية نسخة من التوراة تبرعت بها الجالية اليهودية في إيركوتسك ( Irkutsk ). وأشارت الشرطة السرية إلى أن حكومة المدينة ساعدت في إصلاح المبنى الذي أصبح كنيساً يهودياً ، باستخدام الأموال

(1) Robert Weinberg, Stalin's forgotten Israel: Birobidzhan experiences Jewish cultural renaissance, ( East European Jewish Affairs, 1992 ), vol. 22, Iss.2, p.42.

المخصصة في الأصل لإصلاح المدارس[1]. ويؤكد ذلك بأن السماح ببناء الكنيس ترافقه الخطوات الداعمة لهذا المشروع[2].

وتم افتتاح الكنيس في سنة (1947م) ، وحضر ما يقرب من ( 400 إلى 500 ) شخص قداس رأس السنة اليهودية في ذلك العام... وانزعج مسؤولو الحزب الشيوعي من هذا الاحتفال الديني ، مما دفعهم إلى ملاحظة أن إدارة العديد من المؤسسات وحتى قادة الأحزاب في مدينة بيروبيدجان لم تتخذ تدابير كافية لمواجهة التأثير الذي ما تزال اليهودية تمارسه على اليهود في المنطقة. ومما أدى إلى ذلك القلق بشكل خاص من أن العديد من العمال من جميع الأعمار من مجموعة متنوعة من المصانع الذين قرروا عدم الذهاب إلى العمل في السنة اليهودية الجديدة ويوم الكفارة ، وفضلوا بدلاً من ذلك الذهاب إلى الكنيس. والأكثر إزعاجاً لهم هو حقيقة أن الآباء المسنين للعديد من مسؤولي الحزب البارزين ذهبوا إلى الكنيس ، ومن الواضح أنهم لم يشعروا بأي ندم على الإطلاق بشأن أفعالهم[3].

وأدى ذلك إلى زيادة قلق المسؤولين ، فقد قال رئيس الشرطة السرية في أوائل سنة (1948م): " أنا لا أدعو إلى استخدام القمع ، لكن من الضروري إخراج عمالنا من تحت تأثير الكنيس والمتدينين اليهود ". وهكذا ضاعفت الحكومة من دعايتها المعادية للدين وضغطت على العديد من الأشخاص الذين كانوا أعضاءً رسميين في الجالية اليهودية أوبشينا ( Obshchina ) للاستقالة من مناصبهم. بينما في سنة (1947م) ، انتمى ( 300 ) يهودي إلى أوبشينا ، وانتمى ( 43 ) فقط في السنة التالية. وفي سنة (1948م) اختار العديد من اليهود الذهاب إلى المسرح ، أو مشاهدة

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.77.

(2) السحمراني ، اسرائيل الأولى ، ص65.

(3) Weinberg, Jewish Revival in Birobidzhan, p.42.

الأفلام بدلاً من حضور الأعياد في الكنيس. ومع ذلك ، بالرغم من هذا النجاح من وجهة نظر الحزب ، استمر العديد من اليهود في ممارسة شعائرهم الدينية ، إذ حضر نحو (300) يهودي مثل هذه المناسبات في سنة (1950م). وبمقابل تلك الاجراءات احتشد المجتمع اليهودي الدولي لدعم مشروع الإقليم اليهودي ، كما في الثلاثينيات ، وضاعفت أمبيجان حملتها الدعائية ، وساعدت منظمات مماثلة في جميع أنحاء العالم في جمع التبرعات المالية والعينية ، وتم إرسال المواد الغذائية والملابس والآلات بين سنتي (1945 و 1948م) بقيمة ستة ملايين روبل[1]. وما تزال المنظمات الداعمة لمشروع الإقليم اليهودي وعلى رأسها أمبيجان تسعى إلى اقامته ودعمه بكل الامكانيات المتاحة أو التي يمكنهم الحصول عليها من المتبرعين.

وقد وجّه ستالين في سنواته الأخيرة حملة واسعة ضد يهود إقليم بيروبيدجان. كما أشارت باسيا سبيفاك ( Basya Spivak ) ، يهودية سوفييتية من أوكرانيا ، في سنة (1952م) على نحو غريب عن إقليم بيروبيدجان اليهودي ما نصه: " **أنا أعرف فقط أن المناخ فظيع هناك ، نعم لقد اختاروا أفضل مكان لليهود... بيروبيدجان**"[2].

إنّ معظم اليهود السوفييت في حقبة ما بعد الحقبة الستالينية ، رأوا بأن صهيون السوفييتية خدعة ، إن لم تكن مزحة صريحة. ولا يمكن للمنطقة أن تصبح مركزاً للثقافة والحياة اليهودية في غياب الصحافة اليهودية ، والمسرح ، والمدارس ، والنشطاء الفكريين ، والثقافيين. وتم تعليق الهجرة إلى بيروبيدجان مرة أخرى ، على الرغم من أن الحكومة عرضت على غير اليهود الذين انتقلوا إلى المزارع الجماعية في المنطقة النقل المجاني ، ومجموعة من الحوافز الأخرى مثل مبالغ نقدية وحوافز ضريبية وقروض

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.78.

(2) Basya Spivak, Oral History Memoir, ( William E. Wiener Oral History Library of the American Jewish Committee at New York, 1979 ), p.3.

بفائدة مخفضة. لقد خشي اليهود الذين بقوا من التعبير عن يهوديتهم. وسيبقى بقايا إقليم بيروبيدجان اليهودي محتجز في أذهان كل من الأجانب والسوفييت ولن يتعافى أبداً [1].

## ❖ تجديد مشروع بيروبيدجان سنة (1990):

لقد تضاءل عدد اليهود في بيروبيدجان ، ففي سنة (1989م) وتم تصنيف أقل من ( 9.000 ) آلاف من سكان منطقة الحكم الذاتي من اليهود والبالغ عددهم ( 214.000 ) ألف نسمة رسمياً على أنهم يهود والطبيعة المحتضرة للمجتمع اليهودي. إنَّ إحياء ثقافة اليديشية في المنطقة متجذرة في الفخر ، وكذلك في استراتيجية سياسية مصممة لحماية المكانة الذاتية للمنطقة. وكان المسؤولون المحليون يأملون في الاستفادة من هذا الوضع في الفوائد الاقتصادية لجماعة الحكم الذاتي اليهودي من خلال التجارة والسياحة[2]. وفي الواقع حاول مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في سنة (1990م) إحياء الاستيطان اليهودي في المنطقة من خلال تقديم المساعدة المالية والإسكانية للأفراد الذين يتلقون دعوة رسمية من منطقة الحكم الذاتي اليهودي. كما قال فلاديمير بيلنكر ( Vladimir Belinker )، محرر جريدة بيروبيدجانر شترن لهذا المؤلف في مارس: " **هذا هو المكان الوحيد في روسيا حيث ترعى الحكومة صحيفة والثقافة اليهودية اليديشية... وهكذا بدلاً من إنهاء خيال الوطن اليهودي لستالين من خلال حله بالكامل ، يحاول المسؤولون الحكوميون ( وكثير منهم من غير اليهود ) والنشطاء اليهود بث الحياة في منطقة**

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.84.

(2) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.87.

**الحكم الذاتي اليهودي. إذ أصبحت مهمتهم أسهل بسبب الإرث المؤسسي والأيديولوجي لسياسة الجنسية السوفييتية "**[1].

وأشار فلاديمير بيلنكر إلى أنه في أوائل سنة (1992م) كان نحو ( 150 ) طفلاً ومراهقاً ( ليس كلهم يهوداً ) كانوا يحضرون مدرسة الأحد ، التي تقدم دروساً في التاريخ والثقافة اليديشية والعبرية واليهودية. وأخبرني العديد من الطلاب أنهم درسوا اليديشية ، لأنها " لغتهم الأم " ، وتستحق البقاء على قيد الحياة. وظهرت مجموعة متنوعة من المنظمات اليهودية ، منها مجموعة شبابية صهيونية تنتمي إلى " نادي الرياضة المكابي". بالإضافة إلى أنه تم الكشف عن الالتزام الرسمي بالحفاظ على اللغة اليديشية كلغة حية في عروض الدورات التي يقدمها معهد المعلمين المحلي. ويدرس نحو ستين طالباً في قسم اللغة الإنجليزية اليديشية ، حيث يلزم تعلم اللغة اليديشية جنباً إلى جنب مع اللغة الإنجليزية[2].

وأضاف بيلنكر مشاهداته في احتفال عيد المساخر[3] (Purim celebration): هذا العام ، شاهدت كيف احتشد مئات المتفرجين في قاعة

---

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.42.

(2) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.42-43.

(3) عيد البوريم ( פורים ) ، ( النصيب أو المساخر) ، يحتفل بهذا العيد في الرابع عشر من شهر آذار "مارس" ، ويبدأ بصوم الثالث عشر اقتداء بالفاتنة " استير" التي نذرت بصوم ذلك اليوم، و يمثل يوم الرابع عشر ذكرى إنقاذ اليهود من إبادة الملك الفارسي أحشويروش ( 486 ق.م-464 ق.م)" الذي توعد بقتل عدد كبير منهم. وفي هذا اليوم انقذت فيه استير يهود فارس من المؤامرة التي دبرت لذبحهم ، اما في " إسرائيل " (المزعومة) فيطلق عليه حرفيا عيد حتى لا تميز شيئا ومن مظاهر الاحتفال بالعيد في اسرائيل تلاوة قصة استير في الاذاعة ويسمي العلمانيون في " إسرائيل " هذا العيد "بكرنفال بوريم" يتنكرون ويتقمصون شخصيات اخرى. للمزيد ينظر:=

المحاضرات الرئيسية في بيروبيدجان لمشاهدة فرقة من الممثلين المحترفين ، مدفوعة من أموال البلدية ، وهم يؤدون " بوريم شيبيل " التقليدي الذي تم بثه على التلفزيون المحلي. واحتفل المحتفلون بالأغاني والرقصات اليهودية الشعبية وتذوقوا الطعام والشراب. كان الكشف التام عن الجهد الواعي للتأكيد على الطابع اليهودي لبيروبيدجان هو تقديم مجموعة من الأوكرانيين المحليين كـ "ضيوف على مدينتنا" ، الذين غنوا العديد من الأغاني التقليدية باللغة اليديشية. ومن الواضح أن أمسية الاحتفالات كانت احتفالاً بالطبيعة اليهودية المزعومة[1].

## ❖ الرؤية المستقبلية لمشروع بيروبيدجان:

والراجح بأن إعادة الحياة إلى بيروبيدجان تتعلق برؤية مستقبلية ، فمن المؤكد أنَّها تتعلق باليهود ، لكن تحتاج إلى المزيد من البحث للتمكن من إطلاق حكم نهائي عليها ، وثمة بعض الملحوظات حول ما ذكر أعلاه ولعل من أهمها:

**أ- محاولة مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في سنة (1990م) إحياء الاستيطان اليهودي في المنطقة من خلال تقديم المساعدة المالية والإسكانية للأفراد الذين يتلقون دعوة رسمية من منطقة الحكم الذاتي اليهودي.**

---

= عمرو زكريا خليل ، الأعياد اليهودية ، ( المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع إمدكو ، القاهرة ، ط2، 2017)، ص83-92 ؛ غازي السعدي ، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود ، ( دار الجليل ، عَمان ، 1994 ) ، ص14 ؛ عبد الهادي بن رحمون ، الأعياد في الديانة اليهودية ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، 2015 ) ، ص80-82.

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.43.

**ب- الاستمرار في إصدار صحيفة شترن بيروبيدجانر وهي صحيفة باللغة اليديشية ، لأول مرة في سنة (1930م) ، والإبقاء على الصبغة الثقافية اليهودية في بيروبيدجان ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تم تقديم دروس في التاريخ والثقافة اليديشية والعبرية واليهودية ، والابقاء على اللغة اليديشية كلغة حية في معهد المعلمين المحلي.**

**ج- بذل الجهود من قبل المسؤولين والنشطاء اليهود في بيروبيدجان ؛ لإحياء الثقافة اليهودية. وأن تأخذ الحكومة والمجتمع اليهودي في منطقة الحكم الذاتي اليهودي على محمل الجد مكانة المنطقة كأرض يهودية ، بالرغم من تضاؤل عدد اليهود ، وذلك يشير إلى وجود مكان رؤية لدى اليهود لإيجاد أكثر من كيان لهم في العالم.**

**د- جميع الإجراءات التي قامت بها حكومة الاتحاد السوفييتي والقوى الأخرى، سواء الصهيونية أم الداعمة لها توحي بأنَّ هناك عملية تجميد لمشروع إقليم بيروبيدجان وليس إفشاله ، وذلك خشية انتهاء مشروعهم المغتصب لفلسطين.**

لقد كان العديد من سكان المدينة – اليهود والأغيار على حد سواء – متحمسون لإحياء الثقافة اليهودية. فقد رحبو بإنشاء مركز للجالية اليهودية يوحد جميع يهود المنطقة ، ويخدم احتياجاتهم الثقافية والدينية عن طريق تدريس اليديشية والعبرية ، فكلاهما يقدمان التدريب الديني، ويعززان المعرفة بالثقافة والتاريخ اليهوديين. وكان أملهم أن إنشاء مركز ثقافي يهودي ، واستمرار وجود إرادة لسلطة الحكم الذاتي لتلبية الاحتياجات الروحية للشباب اليهود. وفي الواقع عبر العديد من المدافعين عن قرار سلطات الحكم الذاتي اليهودية في سنة (1991م) طلب رفع مكانتها إلى حالة جمهورية مستقلة كوسيلة لتسهيل تطوير الثقافة والتقاليد اليهودية في الإقليم. بالرغم من أن هيكل

المركز الثقافي لم يتم تحديده بعد ، إلا أنَّ السلطات المحلية والوطنية منحته مباركتها (وربما) دعمها المالي ، الأمر متروك ليهود بيروبيدجان لإعطائها الشكل النهائي[1].

وقال روبرت وينبرغ: ذكر العديد من الطلاب أنهم درسوا اليديشية لأنها " لغتهم الأم" ويجب الحفاظ عليها. ومنذ سنة (1996م) كانت هناك مدرسة نهارية يهودية تدعمها الدولة ومدرستان تفتحان يوم الأحد. فضلاً عن ذلك نشأت مجموعة متنوعة من المنظمات اليهودية الرسمية وغير الرسمية في أوائل التسعينيات بدءاً من " نادي المكابي الرياضي" إلى مجموعة الشباب الصهيوني. وتم استخدام الكنيس الذي أعيد افتتاحه في سنة (1984م) للاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس منطقة الحكم الذاتي في بيروبيدجان ، وبشكل أساسي من قبل مجموعة من السبتيين ، ولكنه أيضاً موطن لتجمع صغير ، ولكنه متزايد من الشباب اليهود المهتمين باليهودية. ومع ذلك فإن خطط بناء مركز ثقافي يهودي لإيواء مكتبة يهودية وكنيس جديد لم تتحقق في سنة (1996م) ، ومع القليل من الأمل في أن الأموال اللازمة وغيرها من المساعدات المادية كانت وشيكة. إنَّ والاتصال بين يهود منطقة الحكم الذاتي ( بيروبيدجان ) والعديد من المؤسسات المجتمعية والأكاديمية اليهودية في " إسرائيل " والولايات المتحدة قد عزز المعرفة باليهودية والثقافة اليهودية والتاريخ والأدب بين سكان بيروبيدجان ، وكانت المعسكرات الصيفية اليهودية والدورات التعليمية هي المركبات الأساسية[2].

### ❖ بعث الثقافة والبعد العقدي اليهودي:

وأضاف بأنه في سنة (1994م) ، قضى حاخام إسرائيلي عدة أشهر في بيروبيدجان في محاولة لتوسيع فهم اليهود المحليين لليهودية والعادات والطقوس

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.43.

(2) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.88.

اليهودية... كما تم بث الإضاءة الأسبوعية لحلويات السبت على التلفزيون اعتباراً من سنة (1994م). وفي منتصف التسعينيات اقدمت السلطات الإقليمية على إنشاء قسم الثقافة اليهودية لتحفيز تطوير الحياة اليهودية ، ولا سيما الاحتفال بالأعياد اليهودية في منطقة الحكم الذاتي ( بيروبيدجان ) ، كما أرسل القسم أيضاً العديد من الطلاب إلى مدرسة دينية في موسكو على أمل تعزيز الثقافة اليهودية واليهودية في مدرسة منطقة الحكم الذاتي ( بيروبيدجان )[1].

ويستنتج مما ذكر آنفاً العديد من النقاط المهمة وهي:

**أ- دعوة سكان بيروبيدجان لإنشاء مركز ثقافي يهودي كان بدعم السلطة الحاكمة في الإقليم هناك ، بل إن قيامها بتقديم طلب لتحويل الإقليم إلى جمهورية مستقلة ، وبأن ذلك الأمر متروك ليهود بيروبيدجان فيه دلالة واضحة بأن الإقليم تحت سيطرة اليهود . وهم مَن يقرر ما سيكون عليه شكل الحكم فيها. وعلى الرغم من عدم فتح المركز في سنة (1996م) بسبب الدعم المادي إلا أنه لم ينقطع النشاط اليهودي بشقيه الثقافي والديني.**

**ب- كان نشاطاً صهيونياً واضحاً لم ينقطع ، فقد نشأت مجموعة متنوعة من المنظمات اليهودية الرسمية ، وغير الرسمية في أوائل التسعينيات.**

**ج- نرى أنَّ كل ما ذكر يؤكد أنَّ هناك إمكانية لإعادة مشروع بيروبيدجان كـ" دولة يهودية "، في حال زوال الكيان الصهيوني ، وعودة فلسطين إلى وضعها الطبيعي.**

---

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.88.

## المبحث الثالث: بيروبيدجان وفلسطين:

في (28 آذار/ مارس 1928م) ، منحت هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي بيروبيدجان ، مقاطعة الشرق الأقصى من الاتحاد السوفييتي ، مكانة " **المقاطعة القومية اليهودية** ". وما يزال إقليم بيروبيدجان اليوم المركز الإداري لمنطقة الحكم الذاتي اليهودي ( أوبلاست ) داخل الاتحاد الروسي. هذا هو الكيان السياسي الوحيد ، بصرف النظر عن " دولة إسرائيل " ( الكيان الصهيوني ) ، والذي تم تصميمه خصيصاً ليكون وطناً لليهود. وقد أصبحت المنطقة وجهة شهيرة لليهود السوفييت خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين ، ويشكل اليهود اليوم أقل من واحد في المائة من جميع سكان منطقة الحكم الذاتي اليهودية [1]. ويرى الباحث بأن هناك أسباب متعددة أدت إلى تهميش أو تجميد بيروبيدجان كوطن قومي يهودي ، وهي:

**أ- إن هذا المشروع خططت له القيادة السوفييتية وليس من المعقول أن توصف سياسة لينين ومن بعده ستالين بأنها قمعية وأن هناك تغيير في المواقف تجاه مشروع بيروبيدجان بحلول صيف سنة (1948م). وكذلك حملة معاداة السامية ظاهرياً في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي ما هو إلا ذر الرماد في العيون وإيهام للعالم أجمع بأنه لا وجود لدولة يهودي قائمة في بيروبيدجان.**

**ب- إن الرؤية الاستراتيجية لمشروع بيروبيدجان تنطلق من أن الاتحاد السوفييتي بلد لليهود ، وبالتالي يكون مشروع بيروبيدجان هو نواة**

(1) Gökçek, A Failed Soviet Attempt for Jewish Settlement, vol.1, Iss.1, p.62.

**استكمال السيطرة على جميع أجزاء الاتحاد السوفييتي ، ومن ثم فرض سيطرة اليهود على أوربا الشرقية والوسطى.**

**ج- إن الموارد الطبيعية والظروف الجغرافية والمناخية للمقاطعة مناسبة للزراعة والصناعة. إلا أنها لم تستغل عن عمد وليس عن عدم خبرة ، لإبقاء الوضع على ما هو عليه في بيروبيدجان لتبقى بديلاً استراتيجياً بعيد المدى في حال الحاجة إليه.**

**د- إن مشروع بيروبيدجان جاء بعد فشل مشاريع البدائل اليهودية في شبه جزيرة القرم وأوديسا والتي اندثر الكلام عنها نسبياً بينما استمر الكلام عن بيروبيدجان حتى الآن ، وذلك يؤكد نجاح المشروع وليس فشله.**

**هـ- إن استمرار الاهتمام اليهودي العالمي بالمشروع وخاصة أنه مرتبط بقضية أوكرانيا كثقل يهودي ، مما يمهد لمشاريع مستقبلية كمشروع (أورشاليم السماوية).**

**و- بعد ما ذكر أعلاه يمكن القول بأن الرؤية الحقيقية لمشروع بيروبيدجان كانت ومازالت استراتيجية عالمية ومستقبلية أوسع من تواجدهم في فلسطين ، بل وأهم من فلسطين وذلك ما يؤكد الحفاظ عليه.**

كما أنه جرى تفعيل الاتصالات بين يهود الإقليم والمؤسسات الصهيونية الإسرائيلية في فلسطين المحتلة ، أو تلك الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتركز النشاط على نشر الثقافة اليهودية بين سكان الإقليم. ومن النشاطات التي أقاموها، خدمة لهذا الهدف ، المخيمات الصيفية أو زيارات بعض القادة الصهاينة إلى الإقليم للقيام بنشاط ثقافي. وقد أمضي أحد الحاخامات الإسرائيليين سنة (1994م) عدة شهور في بيروبيدجان عاملاً في نشر المعارف اليهودية ، وبدأوا يمارسون

طقوسهم علناً وبتمويل من البلدية ، ففي سنة (1992م) ، مثلاً ، احتفل اليهود الإقليم بعيد الفوريم ( Fourim ) ، وتم عرض الاحتفال في التلفزيون المحلي للإقليم[1].

لقد انبعثت مظاهر صهيونية ويهودية في الإقليم مع تسعينيات القرن العشرين ، وجرت محاولات لنشر الثقافة اليهودية واللغة اليديشية ، وبذلك تكون الجهود التي بذلها قادة الكرملين إبان الحكم الشيوعي ، من أجل القضاء على الخصوصية اليهودية في المجتمع ، قد باءت بالفشل. ولكن هناك عقبات منعت من تحقيق حركة البعث الجديدة لمشروع يهودية الإقليم أبرزها نقص عدد يهود الإقليم ، حيث كان قسم كبير منهم قد نزح إلى فلسطين المحتلة ، ففي سنة (1996م) ، وخلال خمسة شهور ، غادر بيروبيدجان أكثر من ( 900 ) يهودي إلى فلسطين المحتلة ، وهذا يوصلنا إلى سؤال هو: ما مستقبل إقليم يتقلص عدد سكانه بشكل دائم وفي كافة الظروف ؟ فاليهود أنفسهم لم يعودوا متحمسين للمشروع ، على الرغم من تفكك الاتحاد السوفييتي ، حيث بات الجو مهيأ لممارسة حياة تقوم على الثقافة اليهودية. إن واقع الإقليم الاقتصادي الاجتماعي ، مع من فيه من اليهود ، لم يعد يسمح بتنفيذ مشروع لوطن يهودي ( في بيروبيدجان ) ، وبهذا تكون " إسرائيل الثانية " قد أصبحت منسية لينصب الجهد العنصري الصهيوني على دعم مشروع " إسرائيل الأولى " في فلسطين المحتلة.. وجوارها[2].

### ❖ مستقبل استراتيجية البدائل:

بعد ما تم التطرق له في ثنايا هذا الكتاب يتبين نجاح استراتيجية البدائل في المشروع اليهودي الصهيوني ، وما زالت هذه الاستراتيجية مستمرة بدليل إن جمهورية

(1) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.88.

(2) Weinberg, Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan, p.92.

بيروبيدجان ما زالت قائمة كبديل ، وهناك مشاريع أخرى قيد التنفيذ منها المشروع الذي طرحه الصحفي إيغور فيتاليفيتش ، مشروع أورشاليم السماوية ( اسرائيل الجديدة ) الكيان اليهودي الصهيوني الرديف والبديل في اوكرانيا. ويرى الباحث بأن ما يجري من أحداث الحرب الاوكرانية الروسية هي تمهيد لذلك[1].

وهنا لا بد من الإشارة إلى مشروع أورشاليم السماوية ( اسرائيل الجديدة ) يحمل بين طياته أحياءً لمشروع بيروبيدجان سواء أعلن عن ذلك أم لا ؟

(1) لمزيد عن المشروع ينظر: مجموعة باحثين ، مشروع أورشاليم السماوية ( اسرائيل الجديدة ) الكيان اليهودي الصهيوني الرديف والبديل ، ( مركز جذور ، اسطنبول ، ط2 ، 2022 ).

**خريطة مشروع أورشاليم السماوية** ، ص21

**استنتاجات:**

**أ- إن مشروع من بدايته وإلى الآن هو من تخطيط القيادة السوفييتية وكل ما يقال عن عمليات الاضطهاد التي قامت بها الدولة السوفييتية ضد اليهود ما هو إلا محظ افتراء وكذب من أجل إخفاء أمر بيروبيدجان.**

**ب- إن الرؤية الاستراتيجية لمشروع بيروبيدجان تنطلق من أن الاتحاد السوفييتي بلد لليهود ، وبالتالي يكون مشروع بيروبيدجان هو نواة استكمال السيطرة على جميع أجزاء الاتحاد السوفييتي ، ومن ثم فرض سيطرة اليهود على أوربا الشرقية والوسطى.**

**ج- تمتلك بيروبيدجان الكثير من الموارد الطبيعية والمناخ المناسب للزراعة والصناعة. إلا أنها لم تستغل عن عمد وليس عن عدم خبرة ، لإبقاء الوضع على ما هو عليه في بيروبيدجان لتبقى بديلاً استراتيجياً بعيد المدى في حال الحاجة إليه.**

**د- إن مشروع بيروبيدجان جاء بعد فشل مشاريع البدائل اليهودية في شبه جزيرة القرم وأوديسا والتي اندثر الكلام عنها نسبياً بينما استمر الكلام عن بيروبيدجان حتى الآن ، وذلك يؤكد نجاح المشروع وليس فشله.**

**أ- الإخفاء متعمد ، لجأ اليهود كعادتهم إلى إخفاء التواجد اليهودي في بيروبيدجان تحت غطاء بأن ستالين أطلق حملة لتدمير النشاط الفكري والثقافي اليهودي في جميع أنحاء الاتحاد السوفييتي.**

**ب- كان هناك تقاسم للأدوار ، وخلط الأوراق وإيهام العالم بأن هناك صراع سوفييتي – امريكي، وأن النخبة المثقفة من يهود بيروبيدجان عملاء وجواسيس صهاينة للولايات المتحدة. ويعطي ذلك مبرراً أمام العامة بأنه لا وجود لتأثير يهودي بدليل اعتقالهم مع كبار المسؤولين في الحزب**

**والحكومة ، ومن المفارقات أنهم أدينوا لاقتراحهم أن تُمنح المنطقة وضعاً كمنطقة حكم ذاتي.**

**ج- كان هناك تجميد لمشروع بيروبيدجان ، يبدو واضحاً بأن هناك تنسيق ورؤية استراتيجية ليهود العالم تحدد البدائل في المشاريع اليهودية ، وتعمل على تنشيطها أو إيقاف العمل مؤقتاً متى ما تشاء ، وهو ما جرى لمشروع بيروبيدجان.**

# الخاتمة

## الخاتمة:

تمثل تجربة إقامة منطقة أو إقليم الحكم الذاتي لليهود في بيروبيدجان محطة مهمة في التاريخ اليهودي ، والاطلاع عليها ومعرفة خباياها سيوفر رؤية علمية ودقيقة للمشروع الصهيوني القائم في فلسطين ، ولعل أهم ما توصل إليه البحث ما يلي:

**أولاً: فلسفة المشروع اليهودي** ، إن فلسفة المشروع اليهودي قائمة ثلاث محاور أساسية ، هي المحور الاول **فكرة المشروع** التي كانت وما تزال قائمة للحفاظ على استمرارية اليهودية من حيث الجوانب العقدية ( الدينية ) ، السياسية ، الاجتماعية ، الثقافية... وغيرها ، وثاني المحاور **القدرات** تمثل الجوانب المادية والمعنوية ، أما ثالثها **الزمن** الذي يمثله التاريخ اليهودي على مر العصور وتطويعه عن طريق التلاعب به لتحقيق ما يصبون إليه.

**ثانياً: استراتيجية البدائل اليهودية** ، تعد استراتيجية البدائل في المشروع اليهودي من بين أبرز الأساليب المتبعة من قبل اليهود ، من خلال استخدام القدرات السياسية ، وترتب على ذلك ضمان الاستمرارية لهم ، ليس كأفراد فحسب بل ككيانات سياسية مازال بعضها قائماً مثل بيروبيدجان والبعض الأخر يسيطر عليه اليهود من دون الظهور وهو ما يندرج تحت ( سياسة الاخفاء ) التي يتبعها اليهود وهو ما أشرنا في ثنايا الكتاب.

**ثالثاً: دور الاتحاد السوفييتي** ، كان للاتحاد السوفييتي دوراً أساسياً في صناعة المشروع اليهودي وذلك ليس من قبيل الصدفة ، بل بتخطيط مسبق ويعود ذلك إلى سيطرة اليهود على مجريات الأحداث السياسية في الاتحاد ، وتسخيرها في بناء استراتيجية البدائل اليهودية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر في داخل ما يطلق عليه الاتحاد السوفييتي ( سابقاً ) ، مشروع شبه جزيرة القرم ، ومشروع أوديسا ، وجمهورية

بيروبيدجان ، جميعها كان يخطط لها وتسير بالتوازي مع مشروع احتلال فلسطين وإقامة كيان لهم فيه.

**رابعاً: السوفييت والمشروع اليهودي في فلسطين** ، من الواضح للعيان بأن الاتحاد السوفييتي كان المحور الذي استند عليه اليهود لإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ، وما يؤكد ذلك الدعم العسكري بالأسلحة والعتاد السوفييتي للكيان الصهيوني وخصوصاً قبل سنة ( 1948 ) والدعم البشري من خلال المهاجرين ، حيث ان الغالبية العظمى من منظري المشروع اليهودي الصهيوني هم من اليهود الروس ، واخيرا الدعم السياسي من خلال الاعتراف السوفييتي بتأسيس ما سمي بـ" اسرائيل" بالمؤسسات الدولية (هيئة الامم المتحدة) سنة 1948.

**خامساً: يهود الخزر** ، ان اليهود المتواجدين في روسيا القيصرية ووريثتها الاتحاد السوفييتي هم من يهود الخزر والذين انتشروا إلى مختلف بقاع العالم ( أوروبا وأمريكا... ) مع التركيز على الهجرة لفلسطين، وهؤلاء لا علاقة لهم بأي شكل من الأشكال بالسامية فهم متهودون وليسوا ساميين.

**سادساً: أثر الثورة البلشفية** ، إن معاملة اليهود في الاتحاد السوفييتي أعقاب الثورة البلشفية في اكتوبر سنة (1917) اختلفت اختلافاً جذرياً، وما يؤكد ذلك هو إقامة جمهورية خاصة بهم في بيروبيدجان مع احتفاظهم بخصوصيتهم الدينية، وكذلك السماح لهم بوجود حزب خاص بهم وهو البوند الحزب الاشتراكي اليهودي وهذه ميزة أخرى لهم حصراً وليس لغيرهم من الطوائف والأعراق الدينية الأخرى. واصبح الاتحاد السوفييتي البديل لرعاية المشاريع اليهودية بعد فشل النظام الرأسمالي في ايجاد حل للمسألة اليهودية.

**سابعاً: شمولية المسألة اليهودية** ، إن الكثير من الباحثين يناقشون الموقف من اليهود وتاريخهم مركزين على الجانب المادي دون غيره ، وذلك أمر غير دقيق بل ينبغي النظر إلى تاريخ اليهود بجوانبه الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بغية التوصل إلى رؤية واضحة وشمولية عن اليهود.

**ثامناً: الخطاب السياسي والبدائل اليهودية المتعددة،** كانت هناك مناطقٌ عديدة لليهود ذات حكم ذاتي في روسيا القيصرية أو المناطق التي سيطرت عليها وكانت تسمى بالأراضي اليهودية ، ومنها شبه جزيرة القرم وأوديسا وغيرها وسعت القيادات السوفييتية لإقامة كيانات سياسية يهودية صهيونية فيها ، ويجب على ذوي الشأن استغلال ذلك لإعادة صياغة الخطاب تجاه القضية الفلسطينية.

**تاسعاً: دور اللوبي اليهودي الامريكي** ، أشارت الوثائق التي نشرت بعد تفكك الاتحاد السوفييتي بأن هناك سعياً حثيثاً من قبل يهود الولايات المتحدة الامريكية لإقامة جمهورية يهودية اشتراكية سوفييتية في شبه جزيرة القرم، مقابل مبالغ مالية تقدر بعشرين مليون دولار يقدمها اليهود على شكل ديون تسدد على شكل دفعات لدعم المجهود العسكري السوفييتي ، إذ عدَّ اليهود الاتحاد السوفييتي بلدهم الأم.

**عاشراً: استراتيجية بدائل التوطين** ، كانت هناك محاولاتٌ لتوطين اليهود في – بروسيا الجديدة – من قبل الحكومة الروسية ، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل كانت هناك محاولات من قبل اليهود لإقامة كيان خاص بهم في أوديسا ، وتلا ذلك مشروع بيروبيدجان الذي كان مدار البحث.

**احد عشر: المشروع اليهودي واستكمال السيطرة** ، هناك دوافع عدة لمشروع بيروبيدجان ، منها رد الجميل لليهود لمشاركتهم في الثورة البلشفية للحفاظ على

الاستمرارية اليهودية ومعالجة ما سمي بالمسألة اليهودية ، وكذلك استكمال السيطرة اليهودية على الاتحاد السوفييتي كوطن يهودي.

**اثنا عشر: خلاف حول تحديد مكان لدولة يهودية** ، إن حسم أمر إيجاد منطقة خاصة لليهود سواء في الاتحاد السوفييتي آنذاك كان محل جدل وخلاف بين اليهود أنفسهم ، وتحديداً مشروع بيروبيدجان ، ولم تكن قضية فلسطين محل نقاش آنذاك فقد كانت من بين الدول التي وضعت تحت الانتداب ( الاحتلال ) البريطاني.

**ثلاث عشر: خصائص فلسطين وبيروبيدجان** ، قام بعض الباحثين بالمقارنة بين مميزات كل من فلسطين وبيروبيدجان ، وما تمتلكه كل منطقة من الموارد الطبيعية ومساحة الاراضي ، وكانت النتيجة بأن بيروبيدجان هي المكان المثالي لإقامة الوطن القومي لليهود.

**اربع عشر: بيروبيدجان منعطف لليهود** ، كانت الصهيونية العالمية تعد مشروع بيروبيدجان منعطفاً بنّاءً في حياة يهود الاتحاد السوفييتي لكونها أحد مشاريعها الاستراتيجية ، وهو ما حدث بالفعل فالصهاينة المتواجدون في فلسطين أكثر من ( 90 % ) من يهود الخزر وهم من جمهوريات الاتحاد السوفييتي.

**خمس عشر: بيروبيدجان المشروع الاستراتيجي البديل** ، إن كل ما جرى من الأحداث يثبت بأن كلا المنطقتين فلسطين وبيروبيدجان قد خطط لتكون إحداهما وطناً قومياً لليهود ، إذ ان مشروع بيروبيدجان كان يمثل مشروعاً سياسياً احتياطياً عندما أقر في سنة ( 1928 ) قبل التقدم في مشروع اغتصاب فلسطين وتحقق ذلك في سنة (1948)، وإنَّ كِلا المشروعين حققا نجاحاً على أرض الواقع لكنه كان أكثر من حيث الانجاز والتأثير في فلسطين ، أما مشروع بيروبيدجان فلم يفشل بالمعنى الحقيقي وإنما جُمِّد منذ سنة ( 1948 ) بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني ، وتم الحفاظ على بعد

تفكيك الاتحاد السوفييتي (1984م–1990) كمكون في الفيدرالية الروسية الذي أقر بموجب دستور سنة ( 2020 ) المعدل ، وربما كانت بيروبيدجان هي البديل السياسي اليهودي المستقبلي في حال زوال الكيان الصهيوني من فلسطين وهوما توقع حدوثه كبار السياسيين ( ومنهم قادة العدو وهنري كسينجر ) ، وجميع المعطيات المستقبلية تؤكد ذلك ويؤيده التفكير اليهودي بخيارات أخرى دولية ( مشروع اورشاليم السماوية ).

**ست عشر: رد الجميل لليهود** ، كل ما قام به الاتحاد السوفييتي لأمرين ، الاول اسهام اليهود في الثورة البلشفية ، والثاني ارضاء الصهيونية العالمية لقاء ما قدمته من قروض عن طريق الولايات المتحدة الامريكية.

**سبع عشر: فلسطين كانت خارج الحسابات** ، ثبت وبلا أدنى شك ، لا وجود لفلسطين في حسابات اليهود ولو كان هناك أي نص ديني قطعي يتحدث عن الأرض الموعودة لما رضي اليهود بغيره , ليس ذلك فحسب بل كان دعاة المشروع اليهودي الصهيوني كانوا يعملون على إقامة كيانهم المزعوم في امريكا اللاتينية وغيرها.

**ثمان عشر: الهاجس الامني** ، مثل الهاجس الأمني ( الخوف ) أهم مميزات المشروع اليهودي الصهيوني ، لذا كان سعيهم إقامة كيان لهم يكون بعيداً عن أوروبا وعسكرة روسيا ، ولهذا السبب كان رفض هرتزل لمشروع "الكيان في فلسطين" لشدة العداء الفلسطيني والعربي والاسلامي المتوقع للاستيطان اليهودي فيها.

**تسع عشر: الأمن القومي السوفييتي** ، من بين مهام جمهورية بيروبيدجان هو حماية الأمن القومي السوفييتي ، وذلك ما أكده " وعد لينين " على أهمية الدفاع عن الشرق الاقصى السوفييتي، وذلك من أجل توفير درع بشري ضد الهجمات المحتملة من اليابان أو الصين.

**عشرون: واجهات صهيونية متعددة:** إن مشروع جمهورية بيروبيدجان أحد المشاريع الصهيونية اليهودية وليس بمعزل عنها ، وبأن الصهيونية اليسارية أو اليمينية ليست إلا واجهات للمشروع اليهودي.

# ملحق رقم ( 1 )

**On the ' Jewish problem '**

This interview appeared in Class Struggle, February 1934. The journal was the organ of a short-lived group, the Communist League of Struggle, led by Albert Weisbord.

**QUESTION:** Does the Left Opposition have to make special demands to win the Jewish working class in America ?

**ANSWER:** The role of the foreign-born Jewish worker in the American proletarian revolution will be a very great one, and in some respects decisive. There is no question but that the Left Opposition must do all it can to penetrate into the life of the Jewish workers.

**QUESTION:** What is your attitude towards the Jewish lan- guage? Why do you in your autobiography characterize it as "jargon ?"

**ANSWER:** My attitude towards the Jewish language is similar to that of all languages. If I really used in my autobiography the term " jargon," it is because in the years of my youth in Odessa the Jewish language was not called Yiddish, as to- day, but "jargon." Such was the expression of Jews them- selves, who did not consider it a sign of superciliousness. The word Yiddish is in universal use for the last fifteen or twenty years. I can see this even in France.

**QUESTION:** In the Jewish circles you are considered to be an "assimilator." What is your attitude towards assimilation ?

**ANSWER:** I do not understand why I should be considered as an "assimilator." I do not know, generally, what kind of a meaning this word holds. I am, it is understood, opposed to Zionism and all such forms of self-isolation on the part of the Jewish workers. I call upon the Jewish workers of France to better acquaint themselves with the problems of French life and of the French working class. Without that it is difficult to participate in the working class movement of that country in which they are being exploited. As the Jewish proletariat is spread in different countries it is necessary for the Jewish worker, outside of his own language, to strive to know the language of other countries as a weapon in the class struggle. What has that to do with "assimilation ? "

**QUESTION:** The official Communist Party characterized, without question, the Jewish-Arab events in 1929 in Palestine as the revolutionary uprising of the oppressed Arabian masses. What is your opinion of this policy ?

**ANSWER:** Unfortunately, I am not thoroughly familiar with the facts to venture a definite opinion. I am now studying the question. Then it will be easier to see in what proportion and in what degree there were present those elements such as national liberationists (anti-imperialists) and reactionary Mohammedans and anti-Semitic pogromists. On the surface, it seems to me that all these elements were there.

**QUESTION:** What is your attitude about Palestine as a possible Jewish "homeland" and about a land for the Jews generally? Don't you believe that the anti-Semitism of German fascism compels a different approach to the Jewish question on the part of Communists ?

**ANSWER:** Both the fascist state in Germany, as well as the Arabian-Jewish struggle, bring forth new and very clear verifications of the principle that the Jewish question cannot be solved within the framework of capitalism. I do not know whether Jewry will be built up again as a nation. However, there can be no doubt that the material conditions for the existence of Jewry as an independent nation could be brought about only by the proletarian revolution. There is no such thing on our planet as the idea that one has more claim to land than another.

The establishment of a territorial base for Jewry in Pales tine or any other country is conceivable only with the migrations of large human masses. Only a triumphant socialism can take upon itself such tasks. It can be foreseen that it may take place either on the basis of a mutual understanding, or with the aid of a kind of international proletarian tribunal which should take up this question and solve it.

The blind alley in which German Jewry finds itself as well as the blind alley in which Zionism finds itself is inseparably bound up with the blind alley of world capitalism, as a whole. Only when the Jewish workers clearly see this interrelationship will they be forewarned against pessimism and despair.

**Reply to a question about Birobidjan**

The translations of the replies below were found among the papers of the late John G. Wright. The inquiry was sent to the Paris editorial office of the Bulletin of the Opposition, organ of the Russian Bolshevik Leninists, by a group of Jewish Left Oppositionists, who signed themselves "Ykslagor," working within the Soviet Union under conditions of severe repression. Trotsky's reply was written in October 1934. The reply by "Schwartz" (pen name of Leon Sedov, Trotsky's son) refers to the "Gezerd," which was the Yiddish name for the OZET, or "Association for the Rural Placement of

Jewish Toilers," set up in 1926 to handle Jewish settlement in Birobidjan and dissolved by Stalin in 1938-39 as a "hotbed" of Trotskyist and other opposition elements.

**Letter by Leon Trotsky**

WITH RESPECT TO THE LETTER by Ykslagor: the statement that Birobidjan is "Left Zionism" seems to me to be completely incorrect. Zionism draws away the workers from the class struggle by means of unrealizable hopes of a Jewish state under capitalist conditions. But a workers' government is duty bound to create for the Jews, as for any nation, the very best circumstances for cultural development. This means, inter alia: to provide for those Jews who desire to have their own schools, their own press, their own theatre, etc., a separate territory for self-administration and development. The international proletariat will behave in the same way when it will become the master of the whole globe. In the sphere of the national question there must be no restraint; on the contrary there must be an all-sided material assistance for the cultural needs of all nationalities and ethnic groups. If this or that national group is doomed to go down (in the national sense) then this must proceed in the same way as a natural process, but never as a consequence of any territorial, economic, or administrative difficulties.

L. Trotsky

Editorial Office

Opposition Bulletin of the Bolshevik Leninists Ykslagor:

Dear Comrades,

Your letter was duly received and if we did not answer you immediately, this was due only to the fact that we are working under exceptionally difficult conditions. In connection with your question about Birobidjan we wanted to give you an authoritative reply. The author of this re- ply, as you know, lives and works under the most difficult conditions. This is the explanation for the lateness of our reply to you. With regard to your other question of rejoining the Gezerd-we are not in a position to give our opinion, due to scanty information. We shall try our best to reply on this question as soon as we receive the necessary information….

With comradely greetings, Schwartz

**Leon Trotsky, On The Jewish Question, ( Pathfinder Press, Canada, Thirteenth printing, 2017), p.28-33.**

# ثبت المصادر والمراجع

# ثبت المصادر والمراجع


- **القرآن الكريم.**

**الوثائق:**

1- Constitution ( Fundamental Law ) of the Union on Soviet Socialist Republics, Adopted at the Extraordinary Eighth (Congress of Soviets, U.S.S.R, 5. December, 1936 ).

2- Russian Federation's Constitution of 1993 with Amendments through 2008, ( Constitutions Project, Russian Federation 1993, rev. 2008 ).

3- Russian Federation's Constitution of 1993 with Amendments through 2014, ( Constitutions Project, Russian Federation 1993, rev. 2014 ).

**المصادر:**

- ابن جعفر ، قدامة أبو الفرج ( ت 337هـ/948م )

4- الخراج وصناعة الكتابة ، ( دار الرشيد للنشر ، بغداد، ط1، 1981م ).

- البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ( ت 487هـ/1094م)

5- المسالك والممالك ، ( دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1992م ).

- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ( ت 626هـ/1229م )

6- معجم البلدان ، ( دار صادر، بيروت ، ط2 ، 1995م ).

- شيخ الربوة ، محمد أبي طالب الانصاري الدمشقي (ت654هـ/1256م)

7- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق: أ. مهرن ، ( دار ومكتبة بيبليون ، جبيل ، لبنان ، 2008م ).

- القلقشندي , أحمد بن علي بن أحمد ( ت 821هـ / 1418م )

8- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء , ( دار الكتب العلمية ، بيروت , د.ت ).

- اللاوي ، ابو الحسن يهودا بن صموئيل (536هـ/1141م)

9- الكتاب الخزري ، ترجمة وتحقيق: نبيه بشير، ( منشورات الجمل ، بيروت ، ط1 ، 2012م).

- مجهول ( توفي: بعد 372هـ/982م )

10- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، تحقيق وترجمة: السيد يوسف الهادي ، (الدار الثقافية، القاهرة ، ط1 ، 1423هـ).

- المسعودي ، ابي الحسن علي بن الحسين بن علي ( ت 346هـ/957م )

11- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: يوسف البقاعي ، ( دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط1 ، د.ت ).

**المراجع:**

- أوبرين ، لي.

12- المنظمات اليهودية الأميركية ونشاطاتها في دعم إسرائيل ، ( مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ط1 ، 1986 ).

- أمين ، بديعة.

13- المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية، (دار الطليعة , بيروت ، ط1 ، 1974).

- التكريتي ، هاشم صالح.

14- روسيا ( 1700-1914 ) ، ( بغداد ، د.ت ).

15- اليهود في روسيا القيصرية ، ( دار الجواهري ، بغداد ، 2013 ).

- جبارة ، تيسير.

16- تاريخ فلسطين ، ( دار الشروق ، عمان - عمان ، ط1 ، 1998 ).

- جبر ، دندل.

17- الشيوعية منشأً ومسلكاً ، ( مكتبة المنار ، الزرقاء ، الاردن ، ط2 ، 1403هـ/1983م ).

- صبري جريس.

18- تاريخ الصهيونية 1862-1917 ، ( مركز الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ط2، 1981).

- حمزة ، سامية السيد.

19- العرب في الشعر العبري في الاندلس ، ( دار النابغة ، طنطا ، ط1 ، 1438هـ/2017م ).

- حجاوي ، سلافة.

20- اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي ، ( مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، 1980 ).

- حسن ، محمد خليفة.

21- الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي ، ( دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ، 1981م ).

- الخالدي ، محمد روحي.

22- السيونيزوم أي المسألة الصهيونية ، ( المكتبة الخالدية ، القدس ، 2020 ).

- خليل ، عمرو زكريا.

23- الأعياد اليهودية، (المؤسسة المصرية للتسويق والتوزيع إمدكو، ط2 ، 2017).

- دباغ ، صلاح.

24- الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين , ( منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت، 1968 ).

- دنلوب ، د.م.

25- تاريخ يهود الحزر ، ترجمة: سهيل زكار، (دار قتيبة ، دمشق ، ط1 ، 2005).

- ديورانت ، ويليام جيمس.

26- قصة الحضارة ، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين ، ( دار الجيل، بيروت ، 1408هـ /1988م ).

- السحمراني ، اسعد.

27- اسرائيل الأولى ( بيروبيجان) ، ( دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 1425هـ/2004م ).

- السعدي ، غازي.

28- الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود ، ( دار الجليل ، عَمان ، 1994).

- سعيد ، إدوارد.

29- الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها ، ( دار شفق ، الكويت ، ط1 ، 2019 ).

- ستيوارت ، ديز موند.

30- هرتزل أول دراسة موضوعية عن حياة هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ، ترجمة: فوزي وفا وإبراهيم منصور ، ( المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1974 ).

- شعشوع ، سليم.

31- العصر الذهبي صفحات من التعاون اليهودي العربي ، ( مطبعة دار الشرق ، فلسطين ، ط2 ، 1990م ).

- شفريفتش ، إيغر.

32- لغز عمره ثلاثة آلاف عام تاريخ اليهود من منظور روسيا المعاصرة ، ترجمة نوفل نيوف وعادل اسماعيل، ( الهيئة السورية العامة للكتاب ، دمشق ، 2010 ).

- صفوة , نجدة فتحي.

33- بيروبيجان التجربة السوفيتية لإنشاء وطن قومي يهودي ، ( مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ط1 ، 1973 ).

- العامري ، عنان.

34- التطور الزراعي والصناعي في فلسطين 1900-1970 "بحث احصائي"، (منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، 1974).

- عمارة ، سامي.

35- موسكو – تل أبيب وثائق وأسرار، (دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 2021)

- فريدمان ، بنيامين.

36- يهود اليوم ليسوا يهوداً ، ترجمة: زهدي الفاتح ، ( دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 1403هـ/1983م ).

- فهمي ، وليم.

37- الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1974).

- القشطيني ، خالد.

38- تكوين الصهيونية، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986).

- كوستلر ، آرثر.

39- امبراطورية الخزر وميراثها القبيلة الثالثة عشرة ، ترجمة: حمدي صالح ، (دار اليوسف ، بيروت ، 2004).

- مجموعة باحثين.

40- مشروع أورشاليم السماوية ( اسرائيل الجديدة ) الكيان اليهودي الصهيوني الرديف والبديل، ( مركز جذور ، اسطنبول ، 2022 ).

- محمود ، أمين عبدالله.

41- الاتحاد السوفييتي وتأسيس دولة إسرائيل ، ( عين للدراسات والبحوث الاجتماعية، القاهرة، ط1 ، 1434هـ/2013م ).

**الرسائل:**

- بن رحمون ، عبد الهادي.

42- الأعياد في الديانة اليهودية ، ( رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمار ثليجي الاغواط ، 2015 ).

## المراجع الأجنبية:

- Abramowicz, Hirsz,

43- Profiles of A lost World Memoirs of East European Jewish Life before World War II, ( NEW YORK, 1999 ).

- Abramson, Glenda (ed).

44 - Encyclopedia of Modern Jewish culture, ( London and New York, 2006 ).

- Abramowicz, Hirsz.

45 - Profiles of a lost World Memoirs of East European Jewish Life before World War II, ( NEW YORK, 1999 ).

- Aleksandr Musin.

46 - The Rise of Novgorod Revisited, ( Slavia Antiqua, Rocznik poświęcony starożytnościom slowiańskim, 2018, 59 ).

- Andreas E. Buss.

47 - Russian-Orthodox Tradition and Modernity, ( Koninklijke Brill, Leiden. Boston, 2003 ).

- Aptekman, Marina.

48 - To the Holy Land and Back: The Opposition of Two Zions in Russian-Jewish Literature of the 1930s, ( Tufts University, U.S.A, 2021).

- Backhaus, Jurgen Georg (ed).

49 - The European Heritage in Economics and the Social Sciences, (Springer New York, Heidelberg Dordrecht London, 2012).

- Barron, J.B.

50 - Palestine Report and General Abstracts of the Census of 1922, (taken on the 23rd of October, 1922 ).

- Bullock, David.

51- The Russian Civil War 1918-22, (Osprey Publishing, Oxford, 2008).

- Baumgaryen, Jean.

52 - Introduction to Old Yiddish Literature, ( Oxford, 2005 ).

- Bein, Alex, Translated BY Haray Zohn.

53 - A The Jewish Question Biography of a World Problem, (Associated University Presses, 1990).

- Blanning, T. C. W. (ed.).

54 - The Oxford History of Modern Europe, ( Oxford University Press, 2000 ).

- Csaba Csaki and Zvi Lerman.

55 - Land Reform and the Restructuring of Kolkhozes and Sovkhozes, In book: Food and Agricultural Policy Reforms in the

Former USSR: An Agenda for Transition, ( World Bank, Europe and Central Asia Region, (edt) Mohinder S. Mudahar, 1992 ).

- Burbank, Jane, Mark Von Hagen, Anatolyi Remnev ( ed ),

56- Russian Empire: Space, People, Power, 1700-1930, (Indiana University Press, 2007 ).

- David M. Goldfrank.

57 - Burn, Baby, Burn: Popular Culture and Heresy in Late Medieval Russia, ( The Journal of Popular Culture1998 Vol. 31, Iss. 4 ).

- David Vital.

58- The origins of Zionism, ( Oxford University Press, 1975 ).

- Dubnow, S. M.

59 - History of the Jews in Russia and Poland from the earliest times until the present day, ( Varda book, U. S. A, 2001 ).

- Edward W. Said.

60 - Zionism from the Standpoint of Its Victims, ( Duke University Press, No.1 Winter, 1979 ).

- Eric Schluessel.

61 - An Introduction to Chaghatay: A Graded Textbook for Reading Central Asian Sources, ( u.s.a, 2018 ).

- Evliya Çelebi.

62 - Seyahatnamesi, ( in Turkish ), ( Istanbul, 1985 ).

- Epstein, Melech.

63 - Pages from My Stormy Life-An Autobiographical Sketch, (American Jewish Archives, November 1962 ).

- Faber, Eli.

64 - Jews, Slaves , and the Slave Trade: Setting the Record Straight , (New York University press, 1998 ).

- Fisher, Alan.

65 - The Ottoman Crimea in the Sixteenth Century, ( Harvard Ukrainian Studies Vol. 5, No. 2, June 1981 ).

66 - The Ottoman Crimea in the Mid-Seventeenth Century: Some Problems and Preliminary Considerations, ( Harvard Ukrainian Studies, 1979-1980 ).

- Frank L. Britton.

67 - Behind communism, with special 1994 update by Lawrence Patterson ( Criminal Politics Book Club, 1998 ).

- Frankel, Marc J.

68 - Birobidzhan: An Historical and Personal Account of the Jewish Autonomous Region, ( Russian Studies at Colgate University, 2006 ).

- Martin Gilbert.

69 - The Routledge Atlas of Jewish History, ( Routledge, London and New York, 2010 ).

- Gitelman, Zvi.

70 - The Emergence of Modern Jewish Politics Bundism and Zionism in Eastern Europe, ( University of Pittsburgh press, 2003).

- Golda Akhiezer.

71 - The History of the Crimean Karaites During the Sixteenth to the Eighteenth Centuries, in Karaite Judaism A guide to its history and literary sources, Meira Polliack (ed), ( Brill Leiden, Boston, 2003 ).

- Goldberg, B.Z.

72 - The Jewish Problem in the Soviet Union, An Analysis and a Solution, ( New York, 1961 ).

- Henrik Birnbaum.

73 - Lord Novgorod The Great Essays in the History and Culture of a Medieval City-State, ( Slavica Publishers, U.S.A, 1981 ).

- Hirsch, Francine,

74- Empire of Nations: Ethnographic Knowledge and the Making of the Soviet Union, ( Cornell University Press, 2005 ).

- Hyman, Joseph C.

75 - Twenty-Five years of American aid to Jews Overseas: A Record of the Joint Distribution Committee, in The American Jewish Year Book, (September 14, 1939 to October 2, 1940 ).

- Israel Emiot.

76 -The Birobidzhan Affair: A Yiddish Writer in Siberia, ( vara books, New York, 2001 ).

- Jacob, Mann.

77 -Texts and Studies in Jewish History and Literature: Ḳaraitica, vol.2, (Philadelphia, 1935 ).

- John Athanasios Mazis.

78 - The Greeks of Odessa: Diaspora Leadership in Late Imperial Russia, ( Boulder East European Monographs, 2004 ).

- Joseph Coleman Carter, Melba Crawford, Paul Lehman, Galina Nikolaenko and Jessica Trelogan.

79 - The Chora of Chersonesos in Crimea, Ukraine, ( American Journal of Archaeology, Vol. 104, No. 4. Oct., 2000 ).

- Joseph, Nedava.

-80 - Trotsky and the Jews, ( The Jewish Publication Society of America Philadelphia, U. S. A, 1971 ).

- Kleemann, Nicolaus Ernst.

81 - Voyage de Vienne a Belgrade et a Kilianova, Dans le pays des Tartares Budziacs and Nogais dans la Crimee, ( Société typographique de Neuchâtel, France, 1780 ).

- Koestler, Arthur.

82 - The Thirteenth Tribe the Khazar Empire and its Heritage, (The Anchor, Printed in Great Britain, Second impression, 1976).

- Kostas, Mavrakis, MacKenzie, Norman Ian.

83 - On Trotskyism Problems of Theory and History, (Routledge, New York, 2010).

- Kun, Bela.

84 - The Ideological Principles of Trotskyism, ( International Press Correspondence, 1925 ).

- Ken Koltun-Fromm.

85 - Moses Hess and Modern Jewish Identity, ( Indiana University Press, 2001 ).

- Klier, John Doyle.

86 - Imperial Russia's Jewish Question: 1855-1881, (Cambridge,1995).

- Kochan, Lionel, (ed).

87 - The Jews in Soviet Russia Since 1917, ( London Oxford, 1972 ).

- Marina Sapritsky.

88 - Negotiating Traditions: Transformations of Jewish Identities and Community Building in Post -Soviet Odessa, Ukraine, (London, 2010 ).

- Mcnair, Brian.

89 - Glasnost, Perestroika and the Soviet Media, (Routledge, London, 2001 ).

- Mendes-Flohr, Paul, and Jehuda Reinharz (ed).

90 - The Jew in the modern world A Documentary History, (oxford, nd.2, 1995 ).

Michael Adams and Christopher Mayhew.-

91 - Publish it not... The Middle East cover-up, ( Great Britain, London, 1975 ).

- Mills, E.

92 - Census of Palestine 1931. Population of Villages towns and Administrative Areas, ( Jerusalem, 1932 ).

- Mikhail Kizilov.

93 - The Karaite Communities of Chufut - Kale and Mangup : History and Topography of the Settlements, , in Karaite Judaism. A guide to its history and literary sources, Meira Polliack (ed), (Brill Leiden, Boston, 2003 ).

94 - The Krymchaks: Current State of the Community, In Euro-Asian Jewish Yearbook, 2007/ 2008,( Moscow, 2009 ).

- Nathans, Benjamin.

95 - Beyond the Pale The Jewish Encounter with Late Imperial Russia, (Berkeley Los Angeles, London, 2002 ).

- Orleck, Annelise.

96- The Soviet Jewish Americans, ( London, Greenwood Press, 1999 ).

- Patri/cia Herlihy.

97 - Odessa: A History, 1794-1914, ( Cambridge, Harvard University press, 1986 ).

- Peretz, Merhav.

98- The Israeli Left: History, Problems, Documents, ( U.S.A, 1980).

- Pinkus, Benjamin.

99 - The Soviet Government and the Jews, 1948-1967: A Documented Study ( Cambridge, 1984 ).

100 - The Jews of the Soviet Union: The History of a National Minority, (Cambridge University Press, 1988 ).

- Pinsker, Leon

101 - Auto-Emancipation: An appeal to his people by a Russian Jew, in book, Arthur Hertzberg, The Zionist idea: a historical analysis and reader, ( Jewish Publication Society, Year: 1997 ).

- Pmwkov, Oleg.

102 - The Mensheviks in 1917, ( Oklahoma State University, 1992 ). Radzinsky, Edvard.-

103 - Alexander II: The Last Great Tsar, ( Simon & Schuster, New York, 2005 ).

- Rennap, I.

104- Anti-Semitism and the Jewish Question, ( London, 1943 ).

- Robert Weinberg.

105 - The Revolution of 1905 in Odessa blood on the steps, (Indiana university, U.S.A, 1993 ).

- Ruppin, Arthur.

106- The Jews In The Modern World, ( London, 1934 ).

- Robert Bonfil, Oded Irshai, Guy G. Stroumsa, and Rina Talgam (ed).

107 - Jews in Byzantium Dialectics of Minority and Majority Cultures, ( Brill, Leiden, Boston, 2012 ).

- Robert M. Seltzer.

108 - Jewish People, Jewish Thought: The Jewish Experience In History, ( U S A, 1980 ).

- Sachar, Howard M.

109 - A History of the Jews in the modern World, ( New York, Kopf Doubleday Publishing group, 2006 ).

- Sachar, Abram Leon.

110- A history of the Jews, ( Publisher Knopf, New York, 1967).

- Shmuel Safrai Executive and Peter J. Tomson (ed).

111 - The Literature of the Sages, Part One: Oral Torah, Halakha, Mishna, Tosefta, Talmud, External Tractates, (Philadelphia, 1987 ).

- Shternshis, Anna.

112 - Soviet and Kosher: Jewish Popular Culture in the Soviet Union, 1923-1939, ( Indiana University Press , U.S.A, 2006 ).

- Skinner, Frederick.

113 - Odessa and the Problem of Urban Modernization. In The City in Late Imperial Russia, Michael F. Hamm, (ed). 209-249. (Bloomington: Indiana University Press, U.S.A, 1986 ).

- Schreiber, Mordecai ( ed ).

114 - The Shengold Jewish Encyclopedia, (U.S.A, 2003 ).

- Schiltberger, Johannes.

115 - The Bondage and Travels of Johann Schiltberger, a Native of Bavaria, in Europe, Asia, and Africa, 1396-1427, ( ed ) Philip Brunn, J. Buchan Telfer ( Translator ), ( London, 1879 ).

- Shneer, David.

116 - Through Soviet Jewish Eyes Photography, War, and the Holocaust, (Rogers University Press. New Brunswick, New Jersey and London, 2011 ).

- Siegel, William R.

117 - Nation Making in Russia's Jewish Autonomous Oblast : Initial Goals and Surprising Results, ( Demokratizatsiya Journal of Post-Soviet Democratization, 1997 ).

- Slezkine, Yuri.

118 - The Jewish Century, ( Princeton University , 2004 ).

- Spivak, Basya.

119 - Oral History Memoir, ( William E. Wiener Oral History Library of the American Jewish Committee at New York, 1979 ).

- Tanny, Jarrod.

120 - City of Rogues and Schnorrers: Russia 's Jews the Myth of Old Odessa, ( Indiana University Press, U.S.A, 2011 ).

- Tardy, Lajos.

121 - Kaukazusi magyar túkor: Magyarok, grúzok, cserkeszek, a kezdetektól 1848-ig, ( in Hungarian ), ( Budapest, Akademiai Kiado, 1988 ).

- Theodor Herzl.

122 - The Complete Diaries of Theodor Herzl, Edited Raphael Patai, ( U.S,A, 1960 ).

- Trotsky, Leon.

123 - On The Jewish Question, ( Pathfinder Press, Canada, Thirteenth printing, 2017 ).

- Weinberg, Robert.

124 - Stalin's Forgotten Zion : Birobidzhan and the Making of a Soviet Jewish Homeland : an Illustrated History, 1928 -1996, (University of California Press, 1998 ).

- William A Wood.

125 - A Collection of Tarkhan Yarliqs From the Khanate of Khiva, (Bloomington, Indiana, 2005 ).

- Zipperstein, Steven J.

126 - Odessa Jew cultural history, 1794-1881, (Stanford, California, 1985).

**الدوريات:**

- Andre, Liebich.

127 - Mensheviks, Then and Now, Vol. 48, No. 1, (Russian Review, Jan, 1989 ).

- Caro, Adrian Del.

128 - Dionysian Classicism, or Nietzsche's Appropriation of an Aesthetic Norm, ( Journal of the History of Ideas, 1989, Vol.50, No.4 ).

- Gökçek, Mustafa.

129 - A Failed Soviet Attempt for Jewish Settlement: The Project, vol.1, Iss.1, ( IZU Journal of Social Science, Istanbul Sabahattin Zaim University ).

- Gwyn Jones.

130 - A History of the Vikings, ( Oxford University Press 1969).

- Hadar, David Lilac Hadar.

131 - Leon Pinsker's Ghosts, Vol.39, NO.1, (Shofar: An Interdisciplinary Journal of Jewish Studies, Spring. 2021).

- Haimson, Leopold H.

132 - The Mensheviks after the October Revolution, Vol. 38, No. 4, ( The Russian Review, Oct., 1979 ).

- Kagedan, Allan L,

133 - American Jews and the Soviet Experiment: The Agro-Joint Project, 1924-1937, ( Jewish Social Studies Vol. 43, No. 2. Spring, 1981 ).

- Srebrnik, Henry F.

134 - An idiosyncratic fellow-traveller: Vilhjalmur Stefansson and the American committee for the settlement of Jews in Birobidzhan, vol. 28, Iss.1, (East European Jewish Affairs).

- Warren Green.

135 - The Fate of the Crimean Jewish Communities: Ashkenazim, Krimchaks and Karaite, Vol. 46, No. 2, ( Jewish Social Studies, Spring, 1984 ).

- Weinberg, Robert.

136 - Stalin's forgotten Israel: Birobidzhan experiences Jewish cultural renaissance, vol. 22, Iss.2, ( East European Jewish Affairs, 1992 ).

137 - Jewish Revival in Birobidzhan in the Mirror of Birobidzhanskaya zvezda, 1946-49, ( East European Jewish Affairs, Routledge Journals, U.K, 1996 ).

138- Wright, Thomas Edmund Farnsworth, and Anne Kerr; Edmund Wright. A Dictionary of World History, ( Oxford Quick Reference, 2018 ).

**الموسوعات:**

139 - Trilals of War Criminals Before the Nuernberg Military Tribunals under Control Council Law No. 10, Nuernberg, October 1946-April, 1949, ( U.S.A, 1950 ).

140 - Encyclopedia Judaica, (Thomson, USA, 2 EDITION, 2007).

141 - Constitution ( Fundamental Law ) of the Union on Soviet Socialist Republics, Adopted at the Extraordinary Eighth Congress of Soviets, (U.S.S.R, 5. December, 1936 ).

**تم بحمد الله وتوفيقه**

مركز جذور
للبحوث والدراسات

Encyclopedia of the tracks of the Jewish project
Encyclopedic studies - the political courses (1)

# The Jewish project and the strategy of alternatives in the Soviet Union

# The Republic of Birobidjan as a study case

## ( 1928 - to present )

**Dr. Khudhr Elias Jalo**

Guraba Yayınları: Sabahattin Zaim Cad. No: 8/G Başakşehir / İstanbul Tel: (0212) 526 06 05
Baskı: Step Ajans, İnönü Cad, No: 78 Bağcılar / İstanbul